العتبة العباسية المقدسة
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

سلسلة دراسات كلامية

المعاد في القرآن

المجلد الثاني

المرجع الديني
الشيخ عبد الله الجوادي الآملي

ترجمة
الدكتور محمد ترمس

سلسلة دراسات كلامية

المعاد في القرآن

(المجلد الثاني)

المرجع الديني الشيخ عبد الله الجوادي الآملي

ترجمة:

الدكتور محمّد ترمس

العتبة العباسية المقدسة

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

العتبة العبّاسيّة المقدّسة
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

جوادي آملي، عبد الله، 1350 هجري- مؤلف.
المعاد في القرآن. الجزء الثاني / المرجع الديني الشيخ عبد الله الجوادي الاملي ؛ ترجمة الدكتور محمد ترمس.-الطبعة الأولى.-النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٣.
مجلد ؛ ٢٤ سم.-(سلسلة دراسات كلامية)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠١٦٣
١. المعاد في القرآن. أ.ترمـــس، محمد، مترجم. ب. العنوان.

LCC : BP134.R4 J39 2023
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

المعاد في القرآن (المجلد الثاني)

تأليف: المرجع الديني الشيخ عبد الله الجوادي الآملي

ترجمة: الدكتور محمّد ترمس

الناشر: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيَّة

الطبعة: الأُولىٰ، ٢٠٢٣م

Website: www.iicss.iq
E-Mail: islamic.css@gmail.com
Telegram: @iicss

المحتويات

الفصل الخامس عشر: الشّفاعة ١٥

معنى الشّفاعة ١٥

الشّفاعة في القرآن الكريم ١٦

الأولى: الآيات النافية لفائدة الشّفاعة ١٦

الثانية: آيات تحصر الشّفاعة في اللّه ٢٠

الثالثة: آيات تُنكر شفاعة الأصنام ٢١

الرابعة: آيات شفاعة المأذونين ٢٤

شاهد الكلام ٢٦

الخامسة: آياتٌ تبيّن أوصاف الشفعاء والمشفوع لهم ٢٩

السادسة: آيات حرمان الظالمين من الشّفاعة ٣١

السابعة: آياتٌ ناظرة إلى الشّفاعة ٣٣

بيان الأستاذ العلاّمة الطباطبائي ٣٥

الشّفاعة في الروايات ٣٨

الشفعاء ٤١

شفاعة القرآن الكريم ٤٢

المحرومون من الشّفاعة ٤٥

بحث كلاميّ في الشفاعة ٤٦

إشكالات الشّفاعة ٥٠

الإشكال الأوّل ٥١

الإشكال الثاني ٥٢

الإشكال الثالث ٥٤

الإشكال الرابع ٥٥

الإشكال الخامس ٥٧

الإشكال السادس ٥٨

الاشكال السابع ٥٩

الفرق بين الشّفاعة وعلاقات الواسطة ٦٠

نطاق الشّفاعة ٦٢
الفصل السادس عشر: العقوبة والثواب ٦٥
العقاب والثواب........ ٦٥
نفي الظلم عن اللّٰه ٦٥
قبح مخالفة الوعد ٦٦
الأجر والثواب العظيم ومن دون حساب ٦٨
عقوبة الذنوب الكبيرة........ ٦٩
مراحل الثواب والعقوبة ٧١
العقوبات المعجّلة........ ٧٢
أقسام العقوبة ٧٤
تحليل العقوبة في مجموعتين من الآيات ٧٥
القيامة هي مكان العقاب والثواب الكامل........ ٧٧
آيات الجزاء والثواب الكامل ٧٧
الجزاء والثواب في الروايات........ ٧٧
مراحل الأجر والثواب........ ٨٠
الفصل السابع عشر: الميزان........ ٨٣
الميزان في آيات القرآن والروايات ٨٣
روايات الميزان والنكات البارزة ٨٥
الفصل الثامن عشر: الصراط........ ٨٩
الصراط في اللغة والقرآن والروايات ٨٩
الفصل التاسع عشر: الأعراف وأصحابها ٩٥
الأعراف وأصحابها في القرآن ٩٥
آراء المفسّرين حول الأعراف وأصحابها........ ٩٥
الأعراف في الروايات ٩٨
الفصل العشرون: الجنّة وطريق الوصول إليها........ ١٠١
خصائص الجنّة وأهلها........ ١٠١
الخِلقة الحالية للجنّة والنّار من منظار علم الكلام ١٠٣

الخِلقة الحاليّة للجنّة والنّار في آيات القرآن ١٠٤
خِلقة الجنّة والنّار في الروايات ١٠٨
منزلة الجنّة ١١١
أسباب الجنّة في آيات القرآن ١١٦
الأولى: الإيمان والعمل الصالح ١١٦
الثانية: التقوى ١١٧
الثالثة: اتّباع اللّٰه ورسوله ﷺ ١١٩
الرابعة: الصدق والصادقين ١٢٠
أوصاف الصادقين ١٢٠
الخامسة: الإحسان ١٢١
السادسة: الصبر في سبيل اللّٰه ١٢٣
السابعة: إقامة الصلاة وحفظها ١٢٤
الثامنة: الإنفاق في سبيل اللّٰه ١٢٤
التاسعة: العبادة ١٢٥
العاشرة: الإخلاص ١٢٦
الحادية عشرة: الاستقامة والثّبات ١٢٦
الثانية عشرة: الخوف والخشية من اللّٰه ١٢٨
الثالثة عشرة: الإحسان ١٢٩
الرابعة عشرة. القلب المطمئن ١٣٠
الخامسة عشرة: الهجرة والجهاد ١٣١
السادسة عشرة: الشهادة والتضحية بالنفس ١٣٢
السابعة عشرة: بناء النفس والتزكية ١٣٣
الثامنة عشرة: التولّي والتّبري ١٣٤
التاسعة عشرة: الصفات الحسنة ١٣٥
أسباب الجنّة في الروايات ١٣٦
التوحيد، الولاية والإخلاص، من أهم الأسباب ١٣٧
أبواب الجنّة ١٣٩

أسماء أبواب الجنّة ١٤٠
خصائص أبواب الجنّة ١٤٣
الفصل الواحد والعشرين: نِعم الجنّة ١٤٧
النِعم الجسمانيّة والحسّيّة ١٤٧
الحدائق ١٤٧
الأنهار ١٤٨
الأشربة والسُقاة ١٤٩
الشراب الخاصّ ١٤٩
ساقي الأبرار والمقرّبين ١٥٠
الأواني والكؤوس ١٥١
الألبسة والزينة ١٥٢
الأسرّة والأرائك والفرش ١٥٢
الأزواج ١٥٣
الخدم ١٥٥
المساكن والقصور ١٥٦
الفاكهة ١٥٧
لحم الطيور ١٥٨
حوض الكوثر ١٥٩
ساقي الكوثر ١٦٠
عين تسنيم ١٦٣
حِكمة اللّذّات الجسمانيّة في الجنّة ١٦٣
النِعم الروحانيّة والمعنويّة ١٦٤
١. السلام والتحيّة ١٦٥
٢. التنازع الممدوح ١٦٧
٣. عدم الكذب، اللغو والإثم ١٦٨
٤. نفي الحزن والخوف والألم ١٦٩
٥. حمد أهل الجنّة وثناؤهم ١٧٠

٦. أصدقاء الجنّة ١٧٣
٧. مقام الرضوان ١٧٤
٨. النضارة والسرور ١٧٦
٩. نعمٌ تفوق التصوّر ١٧٧
درجات ومقامات الجنّة ١٧٩
أعظم درجةٍ ١٨١
جنّاتٌ متنوعة ١٨٢
وُسع الجنّة ١٨٧
سيماء الجنّة وأهلها في كلام عليّ عليه السلام ١٨٩
شجرة طوبى ١٩٠
الفصل الثاني والعشرين: جهنّم وأسباب دخولها ١٩٣
أسماء جهنّم ١٩٣
معنى جهنّم ١٩٣
سـر خلق جهنّم ١٩٤
جهنّم من منظار الإمام عليّ عليه السلام ١٩٧
أوصاف جهنّم في القرآن ١٩٨
أسباب جهنّم ١٩٩
الأول: الذنب ١٩٩
الثاني: الكفر والنفاق ٢٠١
الثالث: غضب اللّه ٢٠٣
الرابع: الصدّ عن سبيل اللّه ٢٠٣
الخامس: القتل العمد للمؤمن ٢٠٣
السادس: اتّباع سبل الانحراف ٢٠٤
السابع: اتّباع الشيطان ٢٠٤
الثامن: كنز الذّهب والفضّة ٢٠٦
التاسع: العداء للّه والرسول صلى الله عليه وآله ومعارضتهما ٢٠٧
العاشـر: التكبّر ٢٠٧

الحادي عشـر: الشرك وعبادة الأوثان ٢٠٨
الثاني عشـر: الاستهزاء بالقيم ٢٠٩
الثالث عشـر: خِفّة الموازين ٢١٠
الرابع عشـر: العُتوّ ٢١١
الخامس عشـر: الظلم ٢١٢
السادس عشـر: عدم التوبة من إثارة الفتن ٢١٣
السابع عشـر: الآمال البعيدة والطويلة ٢١٤
الثامن عشـر: تكذيب الآيات الإلهيّة ٢١٥
التاسع عشـر: الغفلة ٢١٥
العشرون: تكلفة الصدّ عن القيم ٢١٧
الواحد والعشرون: الفرار من الجهاد والتخلّف عنه ٢١٧
الثاني والعشرون: الميل إلى الباطل ٢١٩
الثالث والعشرون: كفران النعمة ٢١٩
الرابع والعشرون: طلب الدنيا ٢٢٠
الخامس والعشرون: كتمان الحقّ وبيع الدين ٢٢٠
السادس والعشرون: الركون إلى الظالمين ٢٢١
السابع والعشرون: نسيان القيامة ٢٢١
الثامن والعشرون: ترك الصلاة ٢٢٢
التاسع والعشرون: التصرّف بمال اليتيم ٢٢٢
الثلاثون: أكل الربا ٢٢٣
إحدى وثلاثون: التطفيف ٢٢٤
الثاني والثلاثون: البحث عن عيوب الآخرين ٢٢٤
الثالث والثلاثون: الإسراف والتبذير ٢٢٥
الرابع والثلاثون: الخسران ٢٢٦
الخامس والثلاثون: الشهوانيّة والانغماس في الترَف ٢٢٦
الفصل الثالث والعشرين: أوصاف أهل النّار ٢٢٨
العلاقة ما بين أبواب جهنّم والملكات النفسانيّة ٢٢٨

أسماء طبقات جهنّم وأبوابها ٢٢٩
إحضار جهنّم ٢٣٣
تأثير ذكر جهنّم في التربية وبناء الذات.. ٢٣٥
صوت أهل جهنّم ٢٣٦
عذاب النساء اللامباليات.. ٢٣٦
المكانة الضيّقة لأهل جهنّم.. ٢٣٨
نزاع التّابع والمتّبوع في جهنّم.. ٢٣٨
أطعمة وأشربة أهل جهنّم.. ٢٣٩
لباس أهل جهنّم ٢٤٢
عذاب الجنّ والإنس ٢٤٣
الاحتراق الظاهريّ والاحتراق الباطنيّ.. ٢٤٤
العذابات والآلام الروحيّة والعقليّة.. ٢٤٥
سرّ خلق أهل جهنّم ٢٤٩
الفصل الرابع والعشرون: العقاب الخالد.. ٢٥٢
أنواع العذاب ٢٥٢
المهدّدون بالعذاب الخالد ٢٥٥
الأوّل: الكافرون ٢٥٦
الثاني: المشركون ٢٥٦
الثالث: المنافقون.. ٢٥٦
الرابع: المرتدّون ٢٥٧
الخامس: المكذّبون بآيات اللّه.. ٢٥٧
السادس: أعداء اللّه والنبيّ صلى الله عليه وآله.. ٢٥٧
السابع: عصيان أمر اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله.. ٢٥٧
الثامن: الظالمون.. ٢٥٨
التاسع: الأشقياء ٢٥٨
العاشر: المجرمون والمذنبون.. ٢٥٨
الحادي عشر: قاتل المؤمن ٢٥٨

الثاني عشـر: آكلو الربا.. ٢٥٩
الثالث عشـر: المعرضون عن القرآن ٢٥٩
الرابع عشـر: الخفيف ميزانهم... ٢٥٩
الخامس عشـر: أتباع الظالمين... ٢٥٩
السادس عشـر: المتكبّرون... ٢٥٩
الآراء المختلفة حول خلود العذاب ٢٦٠
أ) أقوال المحدّثين (الرواة)... ٢٦٠
١. عدم خلود أهل الإيمان في النّار.. ٢٦٠
٢. نجاة شيعة أهل الولاية ٢٦١
٣. العذاب الخالد... ٢٦٢
٤. الخروج من جهنّم ٢٦٣
ب) أقوال المتكلّمين.. ٢٦٤
ج) أقوال المفسّرين.. ٢٦٧
نتيجة البحث.. ٢٦٩
تأويل الخلود في النّار.. ٢٧٠
شاهدٌ آخر على الخلود في جهنّم ٢٧١
عدّة شبهاتٍ حول خلود أهل جهنّم ٢٧٢
الأولى: الرحمة الواسعة والعذاب الخالد ٢٧٢
الثانية: خبو جهنّم.. ٢٧٦
سرّ الخلود ٢٧٨
الثالثة: خدمات الأشقياء ٢٨٠
الرابعة: العذاب الأبديّ والانتقام الإلهيّ ٢٨١
الخامسة: هناءة العذاب... ٢٨١
السادسة: فناء المادّة ٢٨٤
السابعة: إغلاق باب جهنّم.. ٢٨٥
العذاب السرمدي ٢٨٦
د) أقوال العرفاء ٢٩١

نزاع الشعراء العرفاء والحكماء ٢٩٣
نهاية العالم وبداية عالمٍ جديد ٢٩٨
مصير مادّة الأرض والأجرام الفلكيّة ٣٠٠
عدّة نكاتٍ ٣٠٢
المصادر ٣٠٥

الفصل الخامس عشر

الشّفاعة

معنى الشّفاعة

الشّفاعة في اللغة بمعنى الانضمام والعون والمساعدة، الالتماس والطلب، الوساطة والتوسّط، التماس العفو والمغفرة.

ويقول الراغب مشيراً إلى المعنى القرآنيّ للشفاعة:

«الشفع ضمّ الشيء إلى مثله... والشّفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه؛... أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفاعًا له أو شفيعًا في فعل الخير والشرّ فعاونه وقوّاه وشاركه»[1]

ويُظهر البحث في الشّفاعة محورين أساسين: الأوّل في الانتفاع والخير؛ والثاني في صدّ الأذى والشرّ؛ أي أنّ مسألة الشّفاعة لا تطرح بالمعنى الاصطلاحيّ في الظواهر التكوينيّة؛ مثلاً إذا احتاج إلى طبيبٍ فإنّه يتداوى عن طريق الأسباب المادّيّة، وإذا جاع أو عطش فإنّه يلجأ إلى الوسائل الطبيعيّة لدفع ذلك ورفعه، كذلك في مواجهة البردّ فإنّه يستعين بالعوامل المادّيّة من أجل توقّيه. وإن كان للشفاعة بالمعنى اللغويّ سبيلٌ إلى هذا النوع من القضايا أيضًا وينطبق معها.

ولكن عندما تحدث الظواهر غير الطبيعية ويتم طرح موضوع الخير والشرّ والفرار من القانون أو التوسّل به والكلام عن الأمر والنهي، العقوبة والثواب، وكذلك الأمر في المشكلات الاجتماعيّة والتعاقديّة، فإنّه يتمّ حينئذٍ التوجّه إلى وسيطٍ وشفيع.

---

١. *مفردات الراغب*، «ش ف ع».

يقول العلاّمة الطباطبائي:

«فإذا أراد الانسان أن ينال كمالاً وخيراً ماديًّا أو معنويًّا وليس عنده ما يستوجب ذلك بحسب ما يعينه الاجتماع، ويعرف به لياقته، أو أراد أن يدفع عن نفسه شرًّا متوجّهًا إليه من عقاب المخالفة وليس عنده ما يدفعه، أعني الامتثال والخروج عن عهدة التكليف. وبعبارةٍ واضحة إذا أراد نيل ثوابٍ من غير تهيئةِ أسبابه، أو التّخلّص من عقابٍ من غير إتيانِ التكليف المتوجّه إليه، فذلك مورد الشّفاعة»[١]

من جهةٍ أخرى، الشّفاعة هي أصلُ الأمل بالنجاة والعودة إلى الأعمال الصالحة ونافذةٌ لتغيير مصير الحياة الدنيا والآخرة، وربما ودّ المفسدون متأمّلين بالشّفاعة العودةَ إلى الطريق الصحيح وتقوية علاقتهم مع معبودهم أكثر من ذي قبل، وهذا في حال لم تكن هذه العلاقة قد قُطعت تمامًا.

وينبغي القول إنّه إذا تمّ تقويم الشّفاعة بشكلٍ صحيح، وتمّ استخراج رسالتها جيّدًا من الآيات والروايات، فلن يبقى مجال بعد ذلك لأيّ إشكالٍ، ولن تكونَ معارضةً للعقل، بل يُثبِت العقل إمكان الشّفاعة؛ لذا اعتبر علماء المسلمين إمكان الشّفاعة مسلّمةٌ من أصول الإسلام؛ على الرغم من وجود اختلافٍ بين بعض الفرق الإسلاميّة في تفسير الشّفاعة؛ والتي ذُكرت بالتفصيل في الكتب الكلاميّة.

الشّفاعة في القرآن الكريم

استخدم القرآن الكريم كلمة الشّفاعة ومشتقاتها إحدى وثلاثين مرّة، ويمكن تقسيم تلك الآيات إلى عدّة مجموعات:

الأولى: الآيات النافية لفائدة الشّفاعة

الآيات التي تنفي الشّفاعة لبعض الجماعات، منها:

١. ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٢]؛ هؤلاء قد

---

١. *الميزان*، ج١، ص١٥٨.

٢. المدّثّر: ٤٦ـ٤٨.

قطعوا سلسلة ارتباطهم باللّه وبأحكامه؛ كما جاء في الآيات التالية ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[١]. ولذلك يقول المفسّرون:

٢. ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٢].

ويُستفاد من الروايات التي وردت في ذيل الآية المذكورة كثيرٌ من النكات؛ من جملتها:

الف) لا تُقبل الشّفاعة لمن يعادي الإمام عليًّاعليه السلام ويشاققه.

ب) يشفع أدنى المؤمنين لثلاثين نفرًا يوم القيامة.

ج) يقول الإمام الصادقعليه السلام: لا تزهدوا في فقراء شيعتنا، فإنّ الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضـر.

د) المراد من الشافعين؛ الأئمّة المعصومونعليهم السلام، المؤمنون والصدّيق من المؤمنين.

هـ) يوم القيامة، لكلّ صديقٍ حق الشّفاعة لصديقه المؤمن.

و) يقول الإمام الصادقعليه السلام: واللّه إنّنا نشفع لشيعتنا ثلاث مرّات

ز) يحق للمؤمن الشّفاعة لجاره يوم القيامة.[٣]

٣. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٤].

تبصرة: هذا النوع من الأماني هو ذلك الظهور لملكات التمنّي وطول الأمل الدنيويّ لأولئك الذين قضوا حياتهم في الرغبات والتمنّيات الكاذبة.

٤. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا

---

١. المدّثّر: ٤٢ـ٤٥.

٢. الشعراء: ٩٨ـ١٠١.

٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص٦٠ـ٦٢، ح٥٩ـ٦٩.

٤. الأعراف: ٥٣.

هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[١]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٢].

والجدير ذكره أنّ دور الشّفاعة في الواقع هو تتميم قابليّة القابل وجبران نقص نِصاب قبوله، لا أن يُعتبر الناقص كاملاً مع نقصه وانعدام الشروط، حتى لا يقع انتهاكٌ للقانون، وفرارٌ من العدالة في العقاب وتحدث عندئذٍ العلاقات غير المعقولة. كذلك، ليست الشّفاعة في المسائل التشريعيّة بمعنى اللغو وإبطال قانون العدل والإفلات من العقاب. في الحقيقة، إنّ قانون الشّفاعة هو من قبيل «التخصّص»، وليس «التخصيص»؛ مثلاً إذا قيل في التشريع «لا شفيع أنجح من التّوبة»[٣]، فهذا لا يعني أنّه رغم خضوع الإنسان لقانون العقاب والجزاء سوف يُعفى عنه من دون حساب، بل بمعنى أنّ التوبة تُخرج الإنسان من استحقاقه للعذاب وتجعله لائقًا لعفو اللَّه؛ مثل ما هو مطروحٌ بخصوص الدعاء، التوسّل، صلاة الاستقساء وتقديم القرابين في الأمور التكوينيّة.

إذا كان لصلاة الاستقساء من أثرٍ في هطول المطر، فذلك بسبب أنّ اللَّه يهيىء أسباب هطول المطر، إذ يحركُ الرياحَ بالاتّجاه المطلوب، ويأمر السّحاب الحامل للمطر بالتوجه نحو الأراضي القاحلة: ﴿...أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾[٤]. إذن، يهطل المطر بعد طيّه للطريق العاديّ.

على هذا الأساس، الشّفاعة مثل الصدقة، والاستسقاء، وصلة الرحم، أو مثل تجاوز صاحب الحقّ وعفوه عن حدّ السرقة الذي يُنفّذ بحق أصابع السارق. في النهاية، يتخلّى الخاسر ماله أحيانًا عن حقّه المشروع ويعفو عن السارق. إذن، يبقى قانون ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[٥] راسخًا على حاله، وكذلك بالنسبة إلى الخاسر لماله، فهو حرٌّ في استيفاء حقّه أو التجاوز عنه؛ لذلك لم يعد ثمّة من عقابٍ أمام المجرم المعفوّ

---

١. البقرة: ٤٨.

٢. البقرة: ١٢٣.

٣. *نهج البلاغة*، الحكمة ٣٧١.

٤. السجدة: ٢٧.

٥. المائدة: ٣٨.

عنه، ولن يستحقّ العذاب؛ والغرض من ذلك، أنّ الغبار والأوساخ التي لوّثت قلب العاصي على أثر المعصية، تُغسل بماء التوبة وعندها يتخلّص من العذاب: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١]. فالذنوب والمعاصي التي اكتسبوها تقبع على قلوبهم كالرين وتتطهّر بواسطة الشّفاعة لتصبح تحت ظلّ الرحمة (ويخرجون تخصّصًا من أهل جهنّم).

فضلاً عن ذلك، عندما يموت الإنسان، ورغم انقطاع عمله القلبيّ والبدنيّ ـ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث»[٢] ـ ، إلّا أنّ ثمّة أمورًا مستثناة، وهي تعتبر في الحقيقة تتمّةً لعمله وسببًا لتكامله؛ كما أنّ استغفار الأنبياء والأولياءعليهم السلام هو نوعٌ آخر من الشّفاعة في الدنيا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[٣]؛ أي أنّ اللّه سبحانه يتجلّى باسم «التوّاب والرحيم»، فيأخذ بيد العبد ويعامله بـ «الإحسان والكرم»، وقد ثبت في محله أنّ الإحسان والكرم للاسم الإلهيّ الشريف «التوّاب والرحيم» فوق الاسم المبارك «العادل». من هنا، فقد ورد في الدعاء: «**إلهنا عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك**»، وكما جرى على لسان أئمة الدين في مقام التضرّع: «عُبيدك بفنائك مسكينك بفنائك»[٤]؛ أي اجعل ضعف عبدك ومسكنته سببًا لتجاوزك عنه. ويقول أحيانًا شفيعٌ وجيهٌ وذو مكانةٍ عند اللّه: إلهي، بحقّ كرامتي ومكانتي لديك إلّا ما نظرت إلى فقر ومسكنة هذا الجاني، أو اشمله بإحسانك وتجاوز عن تقصير عبدك، وهكذا سوف يشمل الفيض الخاصّ حال المشفوع له، وسيرتقي بدرجاته وينتقل من الشقاء إلى السعادة. على هذا الأساس، إذا أُحضر العبد العاصي وحده إلى محكمة «العدل» الإلهيّ، فإنّه محكومٌ لا محالة، ولكن عندما يكون معه مصاحبٌ مثل التوبة، الاسم المبارك التوّاب الرحيم، أو مصاحبٌ كإنسانٍ كريمٍ شريفٍ ينضمّ إليه، فسوف تتحقّق الشّفاعة.

يقول النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله: «وأمّا شفاعتي ففي أهل الكبائر ما خلا أهل الشرّك والظّلم»[٥].

---

١. المطفّفين: ١٤.

٢. *البحار*، ج٢، ص٢٣، ح٧٠.

٣. النساء: ٦٤.

٤. *البحار*، ج٥٢، ص٨، ح٥.

٥. *نور الثقلين*، ج١، ص٧٧.

ويعدّد الإمام الصادقؑ خصائص الشفيع كالتالي:

«ثلاثٌ من كنّ فيه، استكمل خصال الإيمان: من صبر على الظلم وكظم غيظه واحتسب وعفا وغفر، كان ممّن يدخله اللَّه تعالى الجنّة بغير حسابٍ ويشفعه في مثل ربيعة ومضر»[١].

الثانية: آيات تحصر الشّفاعة في اللّه

تحصر بعض الآيات الشّفاعة باللَّه؛ مثل:

١. ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٢]

٢. ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[٣].

وفي روايةٍ رائعة عن الإمام الصادقؑ: «أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربّهم ترغّبهم فيما عنده، فإنّ القرآن شافعٌ مشفّع»[٤]، ويُفهم جيّدًا من هذه الرواية أنّ شفاعة القرآن ليست جزافًا ومن دون قانون، بل سيشفع لأولئك الذين تلوثّوا بالمعصية، لكنّهم مع ذلك لديهم أملٌ باللَّه وأعينهم تحدّق إلى رحمته الواسعة، ولا يزال في زوايا قلوبهم أملٌ بالوصول إلى اللَّه، ولديهم نافذةٌ من الفطرة الطاهرة لينعكس منها نور الرحمة والمغفرة إلى داخل أرواحهم، فهؤلاء يعلمون أنّ لديهم عند اللَّه فضلٌ وإحسان ومقاماتٍ مشرّفة كثيرًا، وقد علّقت قلوبهم آمالاً للوصول إليها. في ظلّ مثل هذه الأجواء، يشفع القرآن ويقبل اللَّه سبحانه شفاعته. بناءً لما تقدّم، تصبح الأصول والنطاقات الأصيلة للشفاعة واضحة إلى حدٍّ ما.

تبصرة: إنّ المطروح في مثل هذه الأحاديث حول شفاعة القرآن وأمثال ذلك، يرجع إلى شفاعة اللَّه، وقد أصبح من الواضح ضمنًا أيضًا شرط استحقاق المشفوع له.

١. ن.م.

٢. الأنعام: ٥١.

٣. الأنعام: ٧٠.

٤. *نور الثقلين*، ج١، ص٧٢٠، ح٩٢.

٣. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

٤. ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

وتقع هذه المجموعة من الآيات مقابل نظرة الذين كانوا يعتقدون أنّ للأصنام حقّ الشّفاعة، ويرون أنّ لها مقامًا ومنزلةً، والقرآن يجيبهم بوضوح أنّ الشّفاعة ملكٌ للّه فقط، ولا أحدٌ شريكٌ معه في هذا الأمر، وإذا أُعطي حقّ الشّفاعة إلى أحدٍ أو إلى شيءٍ مثل القرآن، فإنّ كلّ ذلك سيكون بإذن اللّه. إذن الشّفاعة ليست أمرًا بسيطًا حتى يُتصور أنّ أيّ موجودٍ، حتى الصنم الذي لا شعور له، يستطيع تحمّل مسؤوليّة ذلك.

الثالثة: آيات تُنكر شفاعة الأصنام

يقف القرآن في المجموعة الثالثة من الآيات بوجه هذه العقيدة المُشركة، وينتقد عبادة الأوثان بشدّة، ويرفض أنّ يكون لديهم استحقاق القيام بمثل هذا العمل العظيم، ويسفّه الذين تعلّقت قلوبهم بمثل هذه الفكرة الباطلة:

١. ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٣].

وكان يقول عابدو الأوثان مستندين إلى عاداتهم وتقاليدهم الجاهليّة: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[٤] أو كانوا يقولون: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[٥].

ويقول القرآن أيضًا في الإجابة عليهم، إنّ هذه الأوثان لا تستطيع الإتيان بأيّ عملٍ، وإذا سرق امرؤٌ منهم شيئًا، فإنّهم لا يستطيعون استرداده، بل نجد أنّهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ

---

١. السجدة: ٤.

٢. الزمر: ٤٤.

٣. الأنعام: ٩٤.

٤. الزخرف: ٢٣.

٥. الأنبياء: ٥٣.

اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[١] .

ولكن كان وجهاؤهم وعلماؤهم يستدلّون في تبريرهم لعبادة الأوثان بالتالي: بما أنّ اللَّه سبحانه حقيقةٌ غير محدودة ونحن لا يمكننا الوصول إلى معرفته، وجب أن يكون بيننا وبين اللَّه علل وسطيّة حتى يوصلوا لنا فيض اللَّه، وهذه الوسائط والعلل الوسيطة المقرّبة عند اللَّه هي الملائكة، الكواكب، العظماء من البشر وأمثال ذلك، أمّا الأوثان فهي تماثيل للتذكير بتلك العلل الوسيطة، لا أنّه يتم عبادة الخشب والحديد، وهم يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[٢]. ولكن رويدًا رويدًا بعد ذلك، تمّ نسيان هذا التبرير وقام عربُ الجاهليّة أو أقوامٌ غيرهم بعبادة الأوثان مباشرةً ونظروا إليهم بنظرةٍ مستقلّة.

والقرآن قد واجه هذا الاعتقاد الباطل، وأرشدهم إلى العقل والفطرة من خلال استدلالات متنوّعة؛ إذ يقول أحيانًا: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ...﴾[٣]

كذلك يقول القرآن إنّ اللَّه ليس ببعيدٍ حتى يحتاج إلى وسائط؛ فهو الأول، الظاهر، الباطن ومحيطٌ بكلّ شيء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، والأصنام لا تعلم ما ينفعها وما يضرّها، وهي أعجز من أن تقوم بعملٍ للآخرين بصفتها «شفيع»، فالمُلك والملكوت بيد اللَّه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]

٢. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٥] .

٣. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ

---

١. الأنبياء: ٥٣.

٢. يونس: ١٨.

٣. الأعراف: ١٩٥ وما بعدها

٤. الملك: ١.

٥. الروم: ١٣.

اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

وقال عليّ بن إبراهيم في تفسير هذه الآية حول دليل عبادة الأوثان:

«كانت قريش يعبدون الأصنام ويقولون إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى اللّه زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة اللّه، فردّ اللهُ عليهم فقال قل لهم يا محمّد: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ...﴾».[٢]

تبصرة: ١. علم اللّه هو عين ذاته اللامتناهية وغير المحدودة.

٢. يتعلّق العلم اللامتناهي بأي شيءٍ يكون مصداقه شيئًا: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

٣. المعدوم هو «لا شيء»، وليس مصداق «الشيء».

٤. إذا لم يقع شيءٌ ضمن علم اللّه، فيتّضح أنّه معدومٌ محض ولا نصيب له من الوجود ولو قليلاً.

٥. لأنّ شريكيّة وشفيعيّة الأصنام ليست من معلوم اللّه، فيتّضح أنّ هذه الأسطورة عدم محض.

٦. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٤]

٧. ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾[٥].

يرى المفسّرون أنّ هذا كلام حبيب النّجار الذي أعرض عن الأوثان وعبادتها، وقد قاله في معرض حمايته لرُسل النبيّ عيسى عليه السلام.[٦] وعلى كلّ حال، لقد دارت معظم فلسفة عبادة الأصنام حول شفاعة الأصنام، وقد أنكرت الآيات الآنفة الذّكر هذه العقيدة بشدّة، وجعلت عابدي الأوثان يلتفتون إلى الفطرة النقيّة.

---

١. يونس: ١٨.

٢. *تفسير القمّيّ*، ج١، ص٣١٠.

٣. الشورى: ١٢.

٤. الزمر: ٤٣.

٥. يس: ٢٣.

٦. *الميزان*، ج١٧، ٧٦.

الرابعة: آيات شفاعة المأذونين

تدلّ بعض الآيات على أنّ الشّفاعة منحصرةٌ بيد اللّه فقط، وليس لأحدٍ حقّ الشّفاعة من دون إذنه، وقد تمّ التعريف بأولئك الذين أذن اللّه لهم بالشّفاعة.

١. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[١].

٢. ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٢].

٣. ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٣].

وقد نُقل في ذيل هذه الآية روايات عن بيت أهل العصمة عليهم السلام تُبيّن بعض مصاديق أصحاب العهد، ومنها أن أبا بصير سأل الإمام الصادق عليه السلام حول ذلك، فقال: «إلّا من دان اللّه بولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده، فهو العهد عند اللّه»[٤]. بناءً عليه، من كان لديه ولاية عليّ عليه السلام وأهل بيته المعصومين، فسوف يكون صاحب عهدٍ وإذنٍ للشفاعة.

٤. ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[٥]

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

> «ما من أحدٍ من الأوّلين والآخرين إلّا وهو محتاجٌ إلى شفاعة رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوم القيامة... إنّ لرسول اللّه صلى الله عليه وآله الشّفاعة في أمّته، ولنا الشّفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم... وإنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإنّ المؤمن ليشفع حتى لخادمه، يقول: يا ربّ، حقّ خدمتي كان يقيني الحرّ والبرد»[٦].

٥. ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[٧]

---

١. البقرة: ٢٥٥.

٢. يونس: ٣.

٣. مريم: ٨٧.

٤. *نور الثقلين*، ج٣، ص٣٦٢، ح١٥٩.

٥. طه: ١٠٩.

٦. *نور الثقلين*، ج٤، ص٣٣٥، ح٥٧.

٧. سبأ: ٢٣.

٦. ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] (عزير، عيسى والملائكة)

على هذا الأساس، من الممكن أن يُطرح السؤال التالي، إنّ مضمون مجموعةٍ من الآيات خاصٌ وتعتبر الشّفاعة ملكًا للّه وتنكرها على الآخرين، في حين أنّ مضمون مجموعةٍ أخرى من الآيات عامٌّ وهي تُثبت الشّفاعة للغير أيضًا، لكن مع الإذن، فهل مفاد هاتين المجموعتين من الآيات متعارض؟

الإجابة: لا يوجد أيّ تعارض أو عدم تجانس بين مفاد المجموعتين من الآيات؛ لأنّ الشّفاعة حقّ اللّه، واللّه هو من يستطيع إعطاء إذن الشّفاعة إلى الغير. إذن تتّخذ الشّفاعة حول اللّه عنوان الاستقلال والأصالة، وتتحقّق في غير اللّه بعنوان «التعلّق» باللّه و«التبعيّة» له، أي تكون مشروطة بـ«الإذن» من اللّه.

ويقول العلاّمة الطباطبائي:

... النسبة بين هذه الآيات كالنسبة بين الآيات النافية لعلم الغيب عن غيره، وإثباته له تعالى بالاختصاص ولغيره بارتضائه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[4]، وكذلك الآيات الناطقة في التوفيّ والخلق والرزق والتأثير والحكم والمُلك وغير ذلك، فإنّها شائعة في أسلوب القرآن، حيث ينفي كلّ كمال عن غيره تعالى، ثمّ يثبته لنفسه، ثمّ يثبته لغيره بإذنه ومشيّته، فتفيد أنّ الموجودات غيره تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها واستقلالها، وإنّما تملكها بتمليك اللّه لها إيّاها، حتى أنّ القرآن يثبت نوعًا من المشيّة في ما حكم فيه وقضى عليه بقضاءٍ حتم، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

١. الزخرف: ٨٦.

٢. النمل: ٦٥.

٣. الأنعام: ٥٩.

٤. الجنّ: ٢٦ـ٢٧.

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[١]، فقد علّق الخلود بالمشيّة، وخاصة في خلود الجنّة، مع حكمه بأنّ العطاء غير مجذوذ، إشعارًا بأنّ قضاءه تعالى بالخلود لا يُخرج الأمر من يده، ولا يُبطل سلطانه وملكه عزّ سلطانه كما يدلّ عليه قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[٢]...

من هنا يظهر أنّ الآيات النّافية للشّفاعة، إن كانت ناظرة إلى يوم القيامة فإنّما تنفيها عن غيره تعالى بمعنى الاستقلال في الملك، والآيات المثبِتة تثبِتها للّه سبحانه بنحو الأصالة، ولغيره تعالى بإذنه وتمليكه، فالشّفاعة ثابتةٌ لغيره تعالى بإذنه...[٣]

شاهد الكلام

إنّ بعض الآيات شاهدٌ بليغٌ ومعبرٌ عن أنّ حقّ الشّفاعة ملكٌ للّه أوّلًا وبالأصالة، ويستفيد منها المقرّبون من الساحة الإلهيّة بإذن اللّه ثانيًا وبالعرض. ويقول القرآن حول ذلك: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٤]

وفي حديثٍ يسأل محمّد بن أبي عمير الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

> يا ابن رسول اللّه فالشّفاعة لمن تجب من المذنبين؟ فقال: حدّثني أبي عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: أمّا شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون منهم فما عليهم من سبيل، قال ابن أبي عمير: فقلتُ له: يا ابن رسول اللّه كيف يكون الشّفاعة لأهل الكبائر واللّه تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ومن يرتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟ فقال: يا أبا محمد ما من مؤمنٍ يرتكب ذنبًا إلّا ساءه ذلك وندم عليه، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «كفى بالنّدم توبة»، وقال عليه السلام: من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمنٌ، فمن لم يندم على ذنبٍ يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشّفاعة، وكان ظالمًا واللّه تعالى ذِكْره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

---

١. هود: ١٠٦، ١٠٨.

٢. هود: ١٠٧.

٣. *الميزان*، ج١، ص١٥٧.

٤. الأنبياء: ٢٨.

حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1] فقلت له: يا ابن رسول اللَّه وكيف لا يكون مؤمنًا من لم يندم على ذنبٍ يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحدٍ يرتكب كبيرةً من المعاصي وهو يعلم أنّه سيُعاقب عليها إلاّ ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائبًا مستحقًّا للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرًّا والمصرّ لا يغفر له؛ لأنّه غير مؤمنٍ بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمنًا بالعقوبة لندم، وقد قال النبيّ ﷺ: «لا كبيرة مع الاستغفار»، ولا صغيرة مع الإصرار، وأمّا قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فإنّهم لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى اللَّه دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيّئات، فمن ارتضى اللَّه دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة».[2]

ويقول العلاّمة الطباطبائي في معنى هذا الحديث:

... وقوله (الإمام الكاظم عليه السلام): فتكون تائبًا مستحقًّا للشفاعة، أي راجعًا إلى اللَّه ذا دين مرضيّ مستحقًّا للشفاعة، وأمّا التوبة المصطلحة فهي بنفسها شفيعة منجية...[3]

وعلاوة على ذلك، يُستنتج من تعاليم القرآن أنّه إذا شفع الإنسان في سبيل الخير، وخطا خطوةً في سبيل ذلك، فسوف يكون له نصيبٌ من هدف الخير؛ لأنّ هدفه الخير، كما لو شفع في سبيل الباطل فسوف يصيبه نصيبٌ من هذا الباطل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾[4]؛ لأنّ اللَّه ناظرٌ إلى حُسن عمل الإنسان وسيّئه.

تبصرة: إنّ الاختلاف بين النظرة التوحيديّة للإسلام ونظرة عابدي الأوثان حول الشّفاعة يقع في أنّهم ـ عابدي الأوثان ـ يعتقدون أنّ لأصنامهم حقَّ الشّفاعة بالاستقلال بصفتهم

---

١. غافر (المؤمن): ١٨.

٢. *نور الثقلين*، ج٣، ص٤٢٣ـ٤٢٤، ح٥٠.

٣. *الميزان*، ج١، ص١٨١ـ ١٨٢.

٤. النساء: ٨٥.

«آلهة»، وهم يعتبرون عبادتها سببًا للتقرّب من اللَّه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[١]، ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[٢]. فهم كانوا يؤمنون أنّه قد تمّ تفويض حقّ الشّفاعة إلى الأصنام، ولكن الإسلام يعتبر الشّفاعة ثابتة لمجموعةٍ خاصّة من خلال الإذن وعلى نحو عدم الاستقلال. فالإسلام، يعتبر الأصنام آلهة كاذبة وأصلاً لا يعطيهم حقّ الشّفاعة. ومن منظار الإسلام، الشفعاء عبارة عن الأنبياء، الأولياء، الملائكة، القرآن والأماكن المتبرّكة.

٧. الآية السابعة من الآيات التي تعتبر الشّفاعة ملكًا للَّه بالأصالة وللمأذونين الإلهيّين بالعَرض، هي: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

٨. ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٤].

ورغم أنّ الملائكة معصومون عن الخطأ بصريح نصّ القرآن، وهم من البارزين في عالم الخلقة وقدّيسيه، إلّا أنّهم لا يستطيعون الشّفاعة لأحدٍ إلّا بإذن اللَّه سبحانه. بناءً لما تقدّم، لا يدع المبنى القرآنيّ الراسخ مجالاً من أجل تصوّر الشّفاعة للأوثان الفاقدة للشعور؛ لأنّ القرآن في خطابه لعابدي الأوثان يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٥].

ونقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول النبيّ صلى الله عليه وآله:

«...إنّ اللَّه تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكلّ شيءٍ يُعبَدُ من دونه من شمسٍ أو قمرٍ أو غير ذلك، ثمّ يسأل كلّ انسانٍ عمّا كان يعبد، فيقول كلّ من عبد غير اللَّه: ربّنا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى، قال: فيقول اللَّه تبارك وتعالى للملائكة: اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى النّار ما خلا من استثنيت، فأولئك عنها مبعدون».[٦]

---

١. الزمر: ٣.
٢. يونس: ١٨.
٣. يونس: ٣.
٤. النجم: ٢٦.
٥. الأنبياء: ٩٨.
٦. *نور الثقلين*، ج٣، ص٤٦٠، ح١٧٢.

على هذا الأساس، إنّ ما يكون حصب جهنم ويحترق لا يمكنه أن يكون شفيعًا لغيره.

وعلى الرغم من ادعاء عابدي الأوثان أنهّم كانوا يعبدون الملائكة، ولكنّ اللّٰه لا يقبل منهم ذلك، والملائكة ستعدّ ادّعاء المشركين باطلاً وعبثيًّا في ساحة القيامة، ويقولون: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[1]. إذن، إنّ ادّعاءهم كان كاذبًا، وكانوا يتّبعون إغواء الشيطان؛ لأنّهم كانوا يجعلون الأصنام معبودًا لهم بأمرٍ من الشيطان. وهذا الاتّخاذ والعبادة كان بأمر الشيطان، وفي الحقيقة معبودهم الأوّلي ومُطاعهم الأصليّ هو الشيطان؛ ولذلك فقد عُبّر حول ذلك بأنّ أكثرهم عابدون للجنّ.

الخامسة: آياتٌ تبيّن أوصاف الشفعاء والمشفوع لهم

تبيّن آيات المجموعة الخامسة شروط الشفعاء والمشفوعين وأوصافهم:

١. ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2] (شهد بالحقّ من أمثال العُزَير، عيسى والملائكة)

ويمكن الاستنتاج من هذه الآية بأنّ أوّل شرطٍ للشفعاء هو أنّ يكون موحِّدًا، على هذا الأساس، للملائكة والأنبياء الإذن بالشّفاعة؛ لأنّهم موحِّدون ويشهدون بوحدانيّة اللّٰه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[3].

والشرط الثاني للشفعاء هو أنّ يكونوا مطّلعين على حال المشفوع له وعلى علمٍ به؛ كما جاء في تفسير الميزان:

من يمكنه الشّفاعة يجب أن يكون على علمٍ بحال المشفوع له وحقيقة أعماله؛ كما يقول: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[4].

وقد ذُكر إلى الآن شرطان أساسيّان لامتلاك حقّ الشّفاعة: إحداها الشهادة بالتوحيد، والأخرى قول الصّواب والتحدّث بالصواب؛ والشرط الثالث الذي يمكن استخراجه من

---

١. سبأ: ٤١.

٢. الزخرف: ٨٦.

٣. آل عمران: ١٨.

٤. النبأ: ٣٨.

بعض الآيات هو أن يكون المشفوع لهم من أهل التوحيد، لا من المشركين ولا من عابدي الأوثان؛ كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[١] .[٢]

٢. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٣]؛ إنّ محتوى هذه الآية منسجمٌ مع مضمون الآية السابقة في لزوم الشرط الثالث حول الشريك؛ كما جاء في تفسيرها في الآيات السابقة وفي بعض الروايات، وتمّ توضيح شروط الشّفاعة في ذيلها أيضًا. وفي النتيجة، هناك مجموعة تُظهر النّدم بعد ارتكاب العمل القبيح، فهذه المجموعة لديها القابليّة لأن تشفع، ومجموعةٌ أخرى لا تُظهر النّدم وتصرّ على الذنب؛ لذا هي محرومة من الشّفاعة، وهي من مصاديق الآية الشريفة: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٤].

ونقلاً عن الإمام الثامن عليه السلام، يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من لم يؤمن بحوضي فلا أورده اللّه حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله اللّه شفاعتي، ثم قال عليه السلام: إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل. قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول اللّه، فما معنى قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾؟ قال: لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى اللّه دينه»[٥].

الخلاصة هي أنّه يجب أن يكون دين المشفّع له محلّ رضا اللّه حتى يشمله شفاعة النبيّ أو أئمة الدين عليهم السلام، والدين الوحيد المرضيّ من اللّه هو الإسلام؛ لأن اللّه سبحانه قد ارتضاه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٦].

---

١. الأنبياء: ٢٨.

٢. *الميزان*، ج١، ص١٧١.

٣. الأنبياء: ٢٨.

٤. غافر: ١٨.

٥. *نور الثقلين*، ج٣، ص ٤٢٣ـ ح٤٨.

٦. المائدة: ٣.

٣. ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[١].

ومن شروط الشفعاء الأخرى أن يمتلك العهد، وقد ذكر المفسّرون آراءً متعدّدة في تفسير العهد. ولكن نظرًا إلى روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام، يمكن القول إنّ أبرز مصداقٍ للعهد عبارة عن ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده: «ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده، صلوات اللَّه عليه وعليهم، فهو العهد عند اللَّه»[٢]، كذلك الشهادة بالتوحيد ووحدانيّة اللَّه، الشهادة برسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، الشهادة بحقّانيّة بكلّ ما جاء به الوحي، مثل القرآن والعترة وقيامة الجنّة، النّار، الحساب والميزان، وكذلك رحمة اللَّه الواسعة[٣] والابتعاد عن أيّ قدرة غير إلهيّة، العمل الصالح والصلاح، إدخال السرور على قلب المؤمن، إقامة الصلاة مع مقدّماتها وشروطها الصحيحة والكاملة مثل الوضوء، الوقت، الركوع، السجود، المناجاة وقراءة الدعاء بعد كلّ صلاة مثل: «اللّهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم...»[٤]

٤. ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٥]؛ تعتبر هذه الآية بوضوح أنّ الشّفاعة تشمل حال الذين لديهم الأرضيّة والأهليّة للشفاعة، واللَّه سبحانه راضٍ عنهم بنحوٍ ما. إذًا شرط قبول الشّفاعة هو رضا اللَّه عن المشفوع لهم، وإن لم تكن عقائد امرىءٍ، أخلاقه، تصرّفاته وعمله محلّ رضا اللَّه، فسوف يفقد أهليّة أن يكون مشفوعًا له، وحتى أنّ شفاعة الملائكة المعصومين والمقرّبين لن تكون حلاًّ له.

السادسة: آيات حرمان الظالمين من الشّفاعة

يعلن القرآن صراحةً أنّ الشّفاعة ممنوعة على مجموعةٍ؛ لأنّ أفراد هذه المجموعة هم من

---

١. مريم: ٨٧.

٢. *نور الثقلين*، ج٣، ص٣٦١، ح١٥٦.

٣. *نور الثقلين*، ج٣، ص٣٦١، ح١٥٧.

٤. *الدّر المنثور*، ج٥، ص٤٥٢.

٥. النجم: ٢٦.

الظالمين: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[١]. ويقدّم القرآن في مكان آخر الكفّار على أنّهم ظالمون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢]. على هذا الأساس، لا يوجد أرضّية وأهليّة للشفاعة لدى الكافرين أصلاً؛ لأنّ ارتباطهم باللّه منقطعٌ تمامًا، من هنا، يعبّرون عن سرّ يومهم الأسود في القيامة هكذا: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٣]. وقد أشرنا سابقًا إلى أنّ علّة عدم إمكان الشّفاعة للكافرين هي أسلوبهم ونمطهم في حياتهم في الدنيا، إذ قالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٤]. وهكذا كانت النتيجة، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٥].

والروايات الواردة في ذيل الآية الأخيرة تقدّم المجموعات التي لا ينالها شفاعة أئمة الدين:

١. أعداء آل محمدﷺ؛ فعن الإمام الباقر والصادقعليهما السلام حول هذه المجموعة: «واللّه لنشفعنّ في المذنبين من شيعتنا حتى يقول أعداؤنا فما لنا من شافعين ولا صديقٌ حميم»[٦]. كذلك يقول الإمام الصادقعليه السلام إلى الفضل بن عبد الملك: «أما سمعت اللّه تعالى يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرّجل منكم لصديقه يوم القيامة: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٧].

٢. أمّا النواصب فليس لديهم نصيبٌ من الشّفاعة؛ يقول الإمام الصادق: «وإنّ الشّفاعة لمقبولةٌ وما تُقبل من ناصبٍ»[٨]. وكذلك يقولعليه السلام: «لو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء

---

١. المؤمنون: ١٨.

٢. البقرة: ٢٥٤.

٣. المدّثر: ٤٦ـ٤٨.

٤. المدّثر: ٤٣ـ٤٥.

٥. الشعراء: ١٠٠ـ١٠١.

٦. *نور الثقلين*، ج٤، ص٦٠، ح٥٩.

٧. *ن.م.*، ص٦١، ح٦٢.

٨. ن.م.، ص٦٠، ح٦٠.

المرسلين شفعوا في ناصبٍ ما شُفّعوا»[١].

السابعة: آياتٌ ناظرة إلى الشّفاعة

توجد آياتٌ أخرى حول الشّفاعة تمّ الاستدلال بها ولم تستعمل فيها كلمة الشّفاعة، ولكنّها بمساعدة القرائن تعبرّ عن الشّفاعة بنحوٍ ما:

١. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٢].
وتوضيح ذلك أنّه في يوم القيامة يكون الجميع قلقًا من عذاب اللّه ومذعورًا من عقابه، وثمّة مجموعة واحدة فقط تكون محلّ لطف اللّه ورحمته، وأفراد هذه المجموعة يمكنهم تخليص الآخرين من العذاب، ويقول الإمام الصادقعليه السلام حول هذه المجموعة إنهم يتمتّعون بميزة تمكّنهم من منع العذاب عن طريق الشّفاعة: «نحن واللّه الّذي استثنى اللّه، فكنّا نُغْنِي عنهم»[٣]. ويقولعليه السلام في حديث آخر إنّ المراد من جملة ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾، أي ذلك الذي كان محلاً للطف اللّه وترحّمه هو عليّعليه السلام وشيعته[٤]. بناءً عليه، في ساحة المحشر، سوف يحدّق الجميع إلى أئمة الدين وحتى إلى شيعة عليّعليه السلام حقًّا من أجل الشّفاعة.

٢. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٥].

يقول الإمام الصادقعليه السلام في ذيل هذه الآية: «رضا جدّي أن لا يبقى في النّار موحّد»[٦]

عن بشر بن شريح البصريّ قال:

قلت لمحمّد بن عليّعليه السلام، أيّ آية في كتاب اللّه أرجى؟ قال:

فما يقول فيها قومك؟ قلت: يقولون: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

---

١. *البحار*، ج٨، ص٤٢، ح٣٥.
٢. الدخان: ٤١-٤٢.
٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص٦٢٩، ح٣٩.
٤. ن.م.، ح٤٠.
٥. الضحى: ٤-٥.
٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٩٥، ح١١.

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، قال: لكنّا أهل بيت لا نقول ذلك. قال: قلت: فأيّ شيء تقولون فيها؟ قال: نقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، الشّفاعة واللَّه الشّفاعة واللَّه الشّفاعة.[١]

وعن محمّد بن عليّ، ابن الحنفية أنّه قال:

«...إنّا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب اللَّه ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وهي واللَّه الشّفاعة ليعطيَنَّها في أهل «لا إله إلا اللَّه» حتى يقول (النبيّ ﷺ): ربِّ رضيت».[٢]

٣. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[٣]

توجد روايات عديدة تفسّر المقام المحمود بمقام الشّفاعة.

عن الإمام الصادق عليه السلام يقول حول المقام المحمود: «...ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأوّلون والآخرون»[٤]. وفي حديث آخر، عندما تلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام الآية: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قال النبيّ ﷺ: «يا عليّ، إنّ ربيّ عزّ وجلّ ملّكني بالشّفاعة في أهل التوحيد من أمّتي، وحظر ذلك عمن ناصبك أو ناصب ولدك من بعدك»[٥]. كذلك قال ﷺ: «المقام الذي أشفع فيه لأمّتي».[٦]

ورُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام أيضًا:

«يقوم النّاس يوم القيمة مقدار أربعين عامًا وتؤمر الشّمس فتركب على رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، وتؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئًا، فيأتون آدم فيشفعون به فيدلّهم على نوحٍ، ويدلّهم نوح على إبراهيم، ويدلّهم إبراهيم على موسى، ويدلّهم موسى إلى عيسى، ويدلّهم عيسى فيقول: عليكم «بمحمّد ﷺ»

---

١. *الميزان*، ج١، ص١٧٦.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٩٥، ح١٢.

٣. الإسراء: ٧٩.

٤. *نور الثقلين*، ج٣، ص٢٠٦، ح٣٩١.

٥. ن.م.، ج٣، ص٢٠٦، ح٣٩٧؛ *تفسير البرهان*، ج٢، ص٤٣٨، ح٣.

٦. *نور الثقلين*، ج٣، ص٢٠٨، ح٣٩٩.

خاتم النبيّين، فيقول محمّد: «أنا لها»، فينطلق حتى يأتي باب الجنّة فيدقّ (أبواب الجنّة تكون مفتّحة، ولكن دقّ الباب المفتوح علامة على الأدب)، فيُقال: من هذا ـ واللّه أعلم ـ فيقول: محمّد، فيقال: افتحوا له، فإذا فُتح الباب استقبل ربّه فخرّ ساجدًا، فلا يرفع رأسه حتى يُقال له: تكلّم واسأل تعطَ واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيستقبل ربه، فيخرّ ساجدًا، فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتى أنّه ليشفع من قد أُحرق بالنّار، فما أحد من النّاس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمّدﷺ، وهو قول اللّه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾»[١].

بيان الأستاذ العلّامة الطباطبائي

يقول الأستاذ العلّامة الطباطبائيؒ في تفسير آية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾:

> إنّ الآية في مقام الامتنان وفيها وعد يختصّ به رسول اللّهﷺ، لم يَعِد اللّه سبحانه بمثله أحدًا من خلقه قط، ولم يقيّد الإعطاء بشيء، فهو إعطاء مطلق وقد وعد اللّه ما يشابه ذلك من عباده في الجنّة[٢]... وقد اشتمل الوعد على عطاء مطلق يتبعه رضى مطلق.[٣]

طبعًا لقد أعطى اللّه نظير هذا الوعد لمجموعة من عباده في الجنّة إذ قال: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]؛ وكذلك قال: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٥]، وهاتان الآيتان تفيدان أنّ هذه المجموعة المذكورة يحصلون على أشياء في الجنّة أفضل ممّا يرغبون.

إذًا عندما تكون عطايا اللّه إلى عباده المؤمنين والعاملين للعمل الصالح إلى حدٍّ تتعلّق بها مشيئتهم وإرادتهم، وتخرج عن القدر المتعارف، فمن الواضح عندئذٍ أن ما يعطيه

---

١. ن.م.، ص٢١١، ح٤٠٣؛ *تفسير البرهان*، ج٢، ص٤٤٠، ح١٥.

٢. *الميزان*، ج١، ص١٧٧.

٣. *الميزان*، ج٢٠، ص٣١٠.

٤. الشورى: ٢٢.

٥. ق: ٣٥.

لرسولهﷺ في مقام الامتنان سيكون أوسع وأعظم ممّا حصلوا عليه.

فمن الضروريّ تحليل حدود رضا رسول اللّهﷺ: ﴿فَتَرْضَى﴾، فلا بدّ من أن نعلم ما هو هذا الرضا، وأن نعلم بأنّ رضا النبيّﷺ ليس إلّا الرضا بقضاء اللّه وقِسمته، وهذا ما يعادل في الحقيقة أمر اللّه؛ لأنّ اللّه مالكٌ محضٌ وغنّيٌ مطلق، لا يملك العبد شيئًا سوى الفقر والحاجة. انطلاقًا من ذلك، سوف يرضى بما سيعطيه ربّه؛ سواء أكان قليلاً أم كثيراً. ويجب أن يكون راضيًا على ذلك القضاء الذي أبرمه اللّه بالنسبة له؛ سواء أكان حسنًا أم سيئًّا. إذًا عندما تكون هذه هي وظيفة العبد بالنسبة للّه، فإنّ رسول اللّهﷺ هو الأعلم من أي شخصٍ آخر بهذه الوظيفة والأكثر عملاً بها؛ لذا فإنّه لا يريد من اللهِ إلّا ما أراده اللهُ بحقّه.

وبناءً عليه فإنّ الرضا في الآية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ليس عموم مصطلح الرضا الذي هو وظيفة أيّ إنسانٍ مؤمن؛ لأنّ رسول اللّهﷺ راضٍ عن اللّه؛ سواء أأعطاه اللّه أم لم يعطه، وفي الآية محلّ البحث قد جُعل رضا رسول اللّهﷺ في مقابل إعطاء اللّه، إذًا الآية محلّ البحث تفيد هذا المعنى بأنّ اللّه يُعطي الرسول الأكرمﷺ المقدار الذي يجعله يرضى؛ مثل أن تقول لفقيرٍ: سوف أعطيك مالاً بمقدارٍ تصبح فيه غير محتاجٍ، أو أن تقول لجائعٍ: سوف أبقى أطعمك حتى تشبع. ففي مثل هذه الحالات التي ليس لها حدّ مشخص، لن يكون رضا رسول اللّهﷺ وإغناء الفقير و... مقيّدًا بأي حدٍّ وحجم.

وقد وعد اللّه مجموعة من عباده بأنّ يعطيهم نظير هذا العطاء اللامحدود في الجنّة؛ إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[١]. إنّ هذا الوعد في مقام الامتنان أيضًا، وهو بُشرى خاصّة يجب أن تكون أمرًا أعلى ممّا يُعطى للمؤمنين العاديّين بشكلٍ عامّ، أي يجب أن تكون أوسع من ذلك، وباختصار يجب أن تكون بلا حصر.

---

١. البينة: ٧ـ٨.

من جهةٍ أخرى، قال اللَّه تعالى حول رسوله الأكرمﷺ: ﴿...بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] وفي هذا الكلام قد صدّق رأفة ورحمة ذلك السيّد العظيم نفسه. مع ذلك، كيف يمكن لهذا الرسول الرؤوف الرحيم أن يرضى بأن يكون متنعّمًا في الجنّة بِنعم ذلك المكان ويمضي في حدائق الجنّة مرفّهًا، في حين أنّ هناك جماعة من المؤمنين بدينه ونبوّته والعاشقين لفضائله ومناقبه مسجونين في دركات جهنّم في الغلّ والسلاسل وتحت أطباق النّار؟ إلّا أنّه رغم اعترافهم بربوبيّة اللَّه، وبرسالة رسول اللَّهﷺ، وبحقّانيّة ما جاء به، فإنّ جُرمهم الوحيد هو غلبة الجهل والشقاء عليهم، ووقوعهم لعبةً بيد الشيطان وفي النتيجة قاموا بارتكاب ذنوبٍ، من دون أن يكونوا معاندين ومستكبرين؟!.

وإذا ما نظر امرؤٌ إلى عمره الذي مضى وأخذ يفكّر بالكمالات والمراتب التي كان بإمكانه اكتسابها طوال تلك المدة، إلّا أنّه قصّر في هذا الشأن، فيلوم نفسه ويغضب منها ويستعرض تقصيراته أمام ناظريه؛ جنون الشباب، الجهل وعدم الخبرة و... فيترحّم على نفسه رغم كلّ ذلك. وفي حين أنّ هذا الشعور بالترحّم والتعاطف هي وديعة إلهيّة وقطرةٌ من البحر اللامتناهي لرحمة اللَّه. فإنّ هذا الشعور بالترحّم ليس ملكه، بل هو قرضٌ من رحمة اللَّه وقطرةٌ منها. عندئذٍ كيف يمكن لبحر رحمة ربّ العالمين أن لا يتماوج ويزأر للإنسان الجاهل والضعيف المُبتلى بموقف القيامة؟ وكيف يمكن للتجلّي الأتمّ لرحمة ربّ العالمين، أي رسول اللَّهﷺ، أن لا يُسارع للإمساك به وتخليصه؛ هذا وقد ذاق ذلك الإنسان في الحياة الدنيا وحين الموت وفي مواقف خطرةٍ أخرى وِزر ووبال ذنوبه ومعاصيه، فهل يتركه في عذاب جهنّم؟!

تبصرة: ١. رغم سبق رحمة اللَّه على غضبه وعدم محدوديّتها من منظارٍ آخر وأنّ رحمة الرسول الأكرمﷺ هي مظهر رحمة اللَّه اللامتناهية، ولكن رحمة اللَّه المنزّهة غير رحمة الإنسان العاطفيّة الانفعاليّة، وإلّا فسوف يتمّ إلغاء أصل التعذيب وحذفه.

لا يوجد محذورٌ من استنباط سِعة الرحمة الإلهيّة واتّساع العفو والتجاوز الإلهيّ على

---

١. التوبة: ١٢٨.

أنّها الشّفاعة العامّة في المعاد من الآية، ولكن نطاقها محدودٌ بأولئك المفسدين الذين كان دينهم مرضيًّا من اللّه وحازوا سائر شروط الشّفاعة.

الشّفاعة في الروايات

نُقل في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ذيل الآية ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[1] عن الإمام الصادقعليه السلام: «لا يشفع أحدٌ من أنبياء اللّه ورسله يوم القيامة حتى يأذن اللّه له إلّا رسول اللّهصلى الله عليه وآله، فإن اللّه قد أذن له في الشّفاعة من قبل يوم القيامة، والشّفاعة له وللأئمة من ولده، ثم بعد ذلك للأنبياءعليهم السلام».[2]

ونقلاً عن الإمام عليّعليه السلام، قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: «ثلاثةٌ يشفعون إلى اللّه عزّ وجلّ فيُشفّعون، الأنبياءُ ثمّ العلماء ثمّ الشهداء»[3]

وفي حديثٍ معروف عن رسول اللّهصلى الله عليه وآله:

«تناكحوا تناسلوا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسِقط يقوم محبنطئًا على باب الجنّة فيقال له: أدخل، فيقول: لا حتى يدخل أبواي»[4]

وعن عليّعليه السلام قال:

«إنّ للجنّة ثمانية أبواب، بابٌ يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبوابٍ يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفًا على الصراط أدعو وأقول: رب سلّم شيعتي ومحبّيَّ وأنصاري ومن تولّاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتُك، وشُفّعت في شيعتك، ويُشّفع كلّ رجلٍ من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من عاداني بفعلٍ أو قولٍ في سبعين ألفًا من جيرانه وأقربائه، وبابٌ يدخل منه ساير المسلمين ممن

---

١. سبأ: ٢٣.

٢. *تفسير القمّي*، ج٢، ص٢٠١.

٣. *الخصال*، ج١، ص١٥٦، ح١٩٧.

٤. *الميزان*، ج١، ص١٧٩.

يشهد أن لا إله إلّا اللّه ولم يكن في قلبه مقدار ذرّةٍ من بغضنا أهل البيت».[١]

وروي عن الإمام الصادق‌عليه السلام أنّه كتب في رسالته إلى أصحابه:

«واعلموا أنه ليس يُغني عنكم من اللهِ أحدٌ من خلقه لا ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا من دون ذلك. من سَرّه أن ينفعه شفاعة الشافعين عند اللّه فليطلب إلى اللّه أن يرضى عنه».[٢]

ورُوي عن رسول اللّه‌صلى الله عليه وآله:

«إذا كان يوم القيامة تجلّى اللّه عزّ وجل لعبده المؤمن، فيوقفه على ذنوبه ذنبًا ذنبًا، ثمّ يغفر اللّه له، لا يُطلع اللّه على ذلك ملكًا مقرّبًا ولا نبيًّا مرسلاً، ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثم يقول لسيّئاته: كوني حسنات».[٣]

وعن الإمام الصادق‌عليه السلام أنّه إذا كان يوم القيامة نشر اللّه تبارك وتعالى رحمته، حتى يطمع إبليس في رحمته.[٤]

ويقول العلاّمة الطباطبائي‌رحمه الله في ذيل هذه الروايات:

«والروايات (مثل الروايتين الأخيرتين)... من المطلقات...

والأخبار الدالة على وقوع شفاعة النبيّ‌صلى الله عليه وآله يوم القيامة من طرق أئمة أهل البيت، وكذا من طرق أهل السنة والجماعة بالغة حدّ التواتر، وهي من حيث المجموع إنّما تدلّ على معنى واحد وهو الشّفاعة على المذنبين من أهل الإيمان، إمّا بالتخليص من دخول النّار، وإمّا بالإخراج منها بعد الدخول فيها [أو بتخفيف العذاب في جهنّم]، والمتيقّن منها عدم خلود المذنبين من أهل الإيمان في النّار».[٥]

---

١. *الخصال*، ج٢، ص٤٠٨، ح٦.

٢. *الكافي*، ج٨، ص١١، ح١.

٣. *البحار*، ج٧، ص٢٨٧، ح٢.

٤. ن.م.، ح١.

٥. الرجوع إلى *الميزان*، ج١، ص١٧٤ـ١٨٣؛ *البحار*، ج٨، ص٢٩ وبعد، باب الشّفاعة.

قال رجلٌ لأبي عبد اللّهعليه السلام:

إنّ لنا جارًا من الخوارج يقول: إنّ محمّدًا يوم القيامة همّه نفسه فكيف يشفع؟ فقال أبو عبد اللّهعليه السلام: ما أحدٌ من الأوّلين والآخرين إلاّ وهو يحتاج إلى شفاعة محمّدٍصلى الله عليه وآله يوم القيامة.[١]

ويقول محمّد بن مسلم:

سمعت الإمام الباقرعليه السلام يقول: «لفاطمة وقفةٌ على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كُتب بين عينيّ كلّ رجلٍ مؤمنٍ أو كافر، فيؤمَر بمحبٍّ قد كُثرت ذنوبه إلى النّار فتقرأ بين عينيه محبًّا فتقول: إلهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاّني وتولّى ذريّتي من النّار ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول اللّه عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة إنيّ سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولاّك وأحبّ ذريّتك وتولاّهم من النّار، ووعدي الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النّار لتشفعي فيه، فأشفّعك ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك منّي ومكانتك عندي، فمن قرأتِ بين عينيه مؤمنًا، فجذبت بيده وأدخلتِه الجنّة».[٢]

وقال جابر للإمام الباقرعليه السلام:

«جعلت فداك يا بن رسول اللّه حدثّني بحديثٍ في فضل جدّتك فاطمة إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفرعليه السلام: ...إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرّسل منابر من نورٍ، فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة... فيقول اللّه تعالى: يا أهل الجمع إنيّ قد جعلت الكرم لمحمّدٍ وعليٍّ والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضّوا الأبصار، فإنّ هذه فاطمة تسير إلى الجنّة، ...فيبعث اللّه مئة ألف ملكٍ ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مئة ألف ملكٍ ليسيروا عن يسارها ويبعث إليها مئة ألف ملكٍ يحملونها على أجنحتهم حتى يصيرّوها على باب الجنّة، فإذا صارت عند باب الجنّة تلتفت، فيقول اللّه: يا

---

١. *البحار*، ج٨، ص٤٢، ح٣١.

٢. ن.م، ص٥١، ح٥٨.

بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنّتي؟ فتقول: يا ربّ أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول اللّه: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحدٍ من ذريّتك خذي بيده فأدخليه، الجنّة، قال أبو جعفر عليه السلام: واللّه يا جابر إنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحَبَّ الجيّد من الحَبّ الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي اللّه في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول اللّه: يا أحبّائي ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا ربّ أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول اللّه: يا أحبّائي ارجعوا وانظروا من أحبّكم لحبّ فاطمة، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة، انظروا من سقاكم شربةً في حبّ فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبةً في حبّ فاطمة؛ فخذوا بيده وأدخلوه الجنّة، قال أبو جعفر عليه السلام: واللّه لا يبقى في النّاس إلاّ شاكّ (في أمر الإسلام والولاية) أو كافرٌ أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادَوا كما قال اللّه تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1]، فيقولون ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات مُنعوا ما طلبوا ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.[3]

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة بعث اللّه العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي اللّه عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفّع للنّاس بحسن تأديبك لهم»[4].

الشفعاء

وفقًا للقرآن الكريم والروايات الإسلاميّة يُلاحظ بكثرة حق الشّفاعة للمجموعات، الأفراد،

---

١. الشعراء: ١٠٠ـ١٠١.

٢. الشعراء: ١٠٢.

٣. الإنعام: ٢٨؛ *البحار*، ج٨، ص٥١، ح٥٩.

٤. *البحار*، ج٨، ص٥٦، ح٦٦.

الأمكنة، القرآن و... والتي ذُكر بعضها في ثنايا ومطاوي الأحاديث والآيات التي وردت أعلاه، وسوف نشير إليهم في الآتي:

١. الرسول الأكرمﷺ: يقول الحقّ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[١]، ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[٢]، وقال الرسولﷺ: «ادّخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[٣].

٢. أمير المؤمنين؈. ٣. السيدة فاطمة الزهراء؈. ٤. الأئمّة المعصومون؈. ٥. الأنبياء؈. ٦. الملائكة؈. ٧. الشهداء في سبيل اللّه. ٨. علماء الدين. ٩. مبلّغو الدين والقرآن. ١٠. الرّحم. ١١. الجيران. ١٢. المؤمنون والمتّقون. ١٣. الأمناء. ١٤. الصائمون.

١٥. يقول اللّه تبارك وتعالى: «وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين»[٤]، وكذلك ما ورد في الكتب الروائيّة لأهل السنّة: «يقول الجبّار بقيت شفاعتي»[٥]؛ وعن حمران قال: سمعت أبا جعفر؈: «... فيقول: [الرّب] للملائكة: اشفعوا فيشفعون لمن شاء اللّه، ويقول للمؤمنين مثل ذلك، حتّى إذا لم يبقَ أحدٌ تبلغه الشّفاعة قال تبارك وتعالى: أنا أرحم الراحمن، اخرجوا برحمتي، فيخرجون كما يخرج الفراش».[٦]

١٦. إطاعة أمر اللّه: «فاجعلوا طاعة اللّه... شفيعًا لدرك طلبتكم»[٧].

١٧. التوبة والإنابة إلى اللّه. ١٨. الصلوات على محمّدٍ وآلهﷺ. ١٩. الأطفال السِقط. ٢٠. الصدّيقون. ٢١. المبارزون باللسان، القلم والسيف. ٢٢. القرآن المجيد.

شفاعة القرآن الكريم

توجد روايات كثيرة حول شفاعة القرآن؛ من جملتها:

١. قال الإمام الباقر؈ إلى سعد الخفّاف:

---

١. الضحى: ٥.

٢. الإسراء: ٧٩.

٣. *البحار*، ج٨، ص٣٠.

٤. *علم اليقين*، ج٢، ص١٣٢٥.

٥. صحيح *البخاري*، ج٤، كتاب التوحيد، باب ٢٤، ص٣٩٢، ح٧٤٣٩.

٦. *البحار*، ج٨، ص٣٦٢.

٧. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٩٨، البند ٧.

«يا سعد تعلّموا القرآن، فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورةٍ نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومئة ألف صفٍّ، ثمانون ألف صفٍّ أمّة محمّد وأربعون ألف صفٍّ من سائر الأمم، فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجلٍ فيسلّم، فينظرون إليه ثم يقولون: «لا إله إلا اللّٰه الحليم الكريم»، إنّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنّه كان أشدّ اجتهادًا منّا في القرآن، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثمّ يجاوز حتى يأتي على صفّ الشهداء، فينظرون إليه [الشهداء] ثمّ يقولون: «لا إله إلا اللّٰه الربّ الرحيم»، إنّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنّه من شهداء البحر، فمن هناك أُعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه. قال: فيتجاوز حتى يأتي [على] صفّ شهداء البحر في صورة شهيدٍ فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم، يقولون: إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته، غير أنّ الجزيرة التي أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنّور ما لم نعطه. ثمّ يجاوز حتى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبيٍّ مرسل، فينظر النبيّون والمرسلون إليه، فيشتدّ لذلك تعجّبهم ويقولون: «لا إله إلا اللّٰه الحليم الكريم» إنّ هذا النبيّ مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنّه أُعطي فضلاً كثيراً، قال: فيجتمعون فيأتون رسول اللّٰهﷺ فيسألونه ويقولون: يا محمّد من هذا؟ فيقول لهم: أوَ مَا تعرفونه؟ فيقولون ما نعرفه هذا ممن لم يغضب اللّٰه عليه، فيقول رسول اللّٰهﷺ: هذا حجّة اللّٰه على خلقه، فيسلّم ثم يجاوز حتى يأتي على صفّ الملائكة في سورة ملكٍ مقرّب فتنظر إليه الملائكة، فيشتدّ تعجّبهم ويكبر ذلك عليهم لمَا رأوا من فضله، ويقولون: تعالى ربّنا وتقدّس إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنّه كان أقرب الملائكة إلى اللّٰه عزّ وجلّ مقامًا فمن هناك أُلبس من النّور والجمال ما لم نلبس، ثمّ يجاوز حتى ينتهي إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى، فيخرّ تحت العرش، فيناديه تبارك وتعالى يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تُعطَ واشفع تشفّع، فيرفع رأسه، فيقول اللّٰه تبارك وتعالى: كيف

رأيتَ عبادي؟ فيقول: يا ربّ منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئًا، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي وكذّب بي، وأنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول اللّه تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثّواب ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب، قال: فيرجع القرآن رأسه في صورةٍ أخرى، قال: فقلت له: يا أبا جعفرٍ في أيّ صورةٍ يرجع؟ قال: في صورة رجلٍ شاحبٍ متغيّرٍ يبصره أهل الجمع. فيأتي الرجلَ من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف، فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد اللّه. قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأوّل ويقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم، فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت عيشك سمعت الأذى ورجمت بالقول فيّ، ألا وإنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيقول: يا ربّ يا ربّ، عبدُك وأنت أعلم به قد كان نصبًا بي، مواظبًا عليّ، يُعادى بسببي ويحبّ فيّ ويبغض، فيقول اللّه عزّ وجلّ: أدخلوا عبدي جنّتي واكسوه حلّة من حُلل الجنّة وتوّجوه بتاجٍ، فإذا فُعل به ذلك عُرض على القرآن، فيُقال له: هل رضيت بما صُنع بوليّك؟ فيقول: يا ربّ إنيّ أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه، فيقول: وعزّتي وجلالي وعُلوّي وارتفاع مكاني، لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياءٍ مع المزيد له ولمن كان بمنزلته، إلاّ أنّهم شبابٌ لا يهرمون، وأصحّاءٌ لا يسقمون، وأغنياءٌ لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياءٌ لا يموتون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[١]. قال (سعد) قلتُ: جعلت فداك يا أبا جعفر وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم ثمّ قال: رحم اللّه الضعفاء من شيعتنا إنّهم أهل تسليمٍ، ثمّ قال: نعم يا سعد، والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلقٌ تأمر وتنهى، قال سعد: فتغيّر لذلك لوني وقلت، هذا شيء لا أستطيع [أنا] أتكلّم به في النّاس، فقال أبو جعفر: وهل النّاس إلاّ شيعتنا؟ فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا. ثمّ قال: يا سعد أُسمِعك كلام

١. الدخان: ٥٦.

القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى (صلّى اللّه عليك)، فقال:﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، فالنّهي كلامٌ والفحشاء والمنكر رجالٌ ونحن ذكر اللّه ونحن أكبر»[2].

٢. يقول النبيّ ﷺ: «...فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافعٌ مشفّع وماحلٌ مصدّق»[3].

٣. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا: «واعلموا أنّه شافعٌ مشفّع».[4]

المحرومون من الشّفاعة

بناء على المستفاد من الآيات والروايات الآنفة الذّكر فإنّ الشّفاعة لا تشمل المجموعات التالية:

١. الكافرون والمشركون.

٢. الظالمون.

٣. أعداء أهل بيت النبيّ ﷺ (النواصب).

٤. مضطهِدُو ذرّية رسول اللّه ﷺ وأبناءه.

٥. مكذّبو الشفعاء.

٦. الخائنون.

٧. المستخفّون بالصلاة.

٨. منكرو ولاية عليّ عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام.

٩. المنافقون.

١٠. تاركو الصلاة.

تبصرة: إنّ ما ورد في النصوص ذات الصّلة بالمحرومين من الشّفاعة، كما ورد في أخبار المشمولين بالشّفاعة، إنمّا هو من باب ذكر المصداق والحَصر الإضافيّ، وليس من

---

١. العنكبوت: ٤٥.

٢. *أصول الكافي*، ج٢، كتاب فضل القرآن، ح١.

٣. ن.م.، ح٢.

٤. *نهج البلاغة*، الخبطة ١٧٦، البند ١٠.

باب التحديد المفهوميّ والحصر الحقيقيّ؛ إذ لكلٍّ من الحرمان والشمول عنوانٌ جامعٌ سوف يتّضح أثناء البحث، وسيُشار إليها خلال الموضوعات اللّاحقة أيضًا.

بحث كلاميّ في الشفاعة

كما تمّت الإشارة إليه مسبقًا، لا يبقى أحدٌ في ساحة يوم القيامة إلّا ويحتاج إلى الشّفاعة؛ إمّا من أجل ترقية الدّرجة، أو دخول الجنّة، أو تعجيل الحساب، أو إزالة فزع ساحة المحشر وأهوالها، أو تخفيف العذاب، أو السقوط فيها، أو الخروج من النّار بعد البقاء فيها مدّةً من الزمن. وسنطرح في المقام إشاراتٍ كلاميّة حول الشّفاعة:

يقول المحقّق الطوسيّ؇ في كتاب التجريد:

«والإجماع على الشّفاعة، فقيل: لزيادة المنافع، ويبطل منّا ـ أي من ناحية الأمّة ـ في حقّه صلّى الله عليه وآله».[1]

ويقول العلاّمة الحلّي في شرح ذلك:

«اتّفقت العلماء على ثبوت الشّفاعة للنبيّ صلّى الله عليه وآله ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[2] قيل إنّه الشّفاعة، واختلفوا (في تحديد حدودها)».[3]

والآراء المتنوّعة يشرحها العلاّمة كالتالي: «الوعيديّة» وهي جمعٌ من المعتزلة والخوارج، اعتبر أصحابها أنّ آيات الوعيد والعذاب تشمل الكافر وغير الكافر، واعتقدوا بأنّ أصحاب الذنوب الكبيرة إذا ما خرجوا من هذه الدنيا من دون توبة، فسيكونون من أهل النّار، ولو أنّ عذابهم أخفّ من الكافرين، ويقولون: الشّفاعة عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين الذين يستحقّون الثواب ولا تشمل أهل الذنوب الكبيرة؛ لأنّ هذه المجموعة، لا يشملها العفو إلّا عن طريق التوبة وإلّا ستكون من أهل النّار.

«التفضيليّة» وتقع أفكارهم مقابل الوعيديّة، ويقولون إنّ اللّه يُعطي إذًا الشّفاعة يوم القيامة من باب التفضّل، من دون أن يكون لدى المشفوع لهم استحقاقٌ لذلك. وقد قَبِل

---

١. *تجريد الاعتقاد*، المقصد السادس، المسألة العاشرة، ص٤١٦.

٢. الإسراء: ٧٩.

٣. *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*، ص٤١٦.

الأشاعرة والإماميّة هذا القول، وكذلك وافقهم جماعاتٌ من سائر الفِرق، إلاّ أنّ الأشاعرة يعتقدون بأنّ كلّ نعمةٍ تشمل حال العبد يوم القيامة وفي الجنّة جميعها من باب التفضّل، والعبد أي الإنسان المكلّف لا يستحقّ شيئًا.

«الإماميّة» يعتقدون أنّ جميع النِعم من قِبل اللَّه هي تفضّل ما فوق الاستحقاق؛ يعني استحقاقٌ وأكثر؛ لأنّ اللَّه قد هيّأ لهم أجرًا كريمًا ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[1]، وهذا الأمر بذاته يُعدّ تفضّلاً كبيراً من قِبل اللَّه: ﴿بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[2].

على هذا الأساس، يعتبر الخواجه نصير الطوسيّ والعلاّمة الحلّيّ وسائر علماء الإماميّة كلام الوعيديّة باطلاً (الشّفاعة من أجل زيادة المنافع فقط)؛ إذ لو كانت في زيادة المنافع لا غير لَلَزِم من ذلك أن تكون الأمّة هي الشّافعة للنّبيّ ﷺ؛ لأنّها تطلب الزيادة له ﷺ؛ يعني في الموارد التي نطلب علوّ الدّرجات للنبيّ ﷺ يجب أن نكون شفعاءَ له، في حين أنّ مثل ذلك باطلٌ.

تبصرة: ١. الشّفاعة من العالي إلى الداني صحيحةٌ في الموردين.

٢. إنّ طلب علوّ الدرجة للرسول الأكرم ﷺ ليس بالشّفاعة؛ لأنّه ليست كلّ زيادة للمنافع هو شفاعة.

وقد أورد الوعيديّة في سبيل إثبات مدّعاهم عدّة أدلّة:

١. يقول الحقّ تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[3]، فالله لن يقبل شفاعة الظالم والفاسقون هم من الظالمين.

الإجابة: إنّ اللَّه ينفي الشفيع المُطاع، ونحن نقرّ ونعتقد بذلك؛ لأنّه لا معنى للشفيع المُطاع بالنسبة للَّه؛ لأنّ المُطاع فوق المطيع، واللَّه هو فوق كلّ موجودٍ ولا يعلو عليه أحد، في حين أنّ الشفيع المُطاع والحاكم فوق المحكوم والمطيع والحقّ تعالى يقول إنّه يوم القيامة لن يكون لهم شفيعٌ حاكم؛ ذلك أنّ الشفيع الحاكم من

---

١. الأحزاب: ٤٤.

٢. الأحزاب: ٤٧.

٣. غافر: ١٨.

أوصاف الحقّ تعالى الخاصّة، ولكن لا يلزم من نفي الشفيع المُطاع، نفي الشفيعِ المجاب؛ فالمُجاب هو الذي تُقبل رغبته وطلبه، على هذا الأساس قد يكون هناك من تُقبل رغباته وشفاعته.

٢. يقول اللّه: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1]، لن يكون للظالمين من ناصرٍ ومعين، كما أنّه إن أصبح النبيّ شفيع الفاسقين، فسوف يصبح معينهم وناصرهم.

٣. يقول الحق تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾[2] ويقول: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[3] وكذلك يقول: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[4].

الإجابة: إنّ جميع الآيات الآنفة الذّكر تدور حول الكافرين؛ كما أنّ مقتضى الجمع بين الأدلّة هو كذلك.

٤. يقول اللّه تعالى: و﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[5]؛ لقد نفى اللّه شفاعة الملائكة للذين لم يرتضِ دينه، ودين الفاسقين غير مَرضيّ عنه. إذًا لن تشمل الشّفاعة حالهم.

الإجابة: الفاسق محلّ رضا اللّه من حيث أصل الإيمان والمعتقدات الصحيحة، ويمكن أن يكون لديه صلاحية الشّفاعة.

ويضيف المحقّق الطوسيّ‏ في قوله:

«أنّها تُطلَق على المعنيين معًا كما يُقال شفع فلان في فلان إذا طلب له زيادة منافع أو إسقاط مضار، وذلك متعارف عند العقلاء؛ ...الشّفاعة بالمعنى الثاني أعني إسقاط المضار ثابتة للنبيّ بقولهﷺ ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي...».[6]

ويذكر النوويّ في شرح صحيح مسلم:

---

١. آل عمران: ١٩٢.

٢. البقرة: ١٢٣.

٣. البقرة: ٤٨.

٤. المدّثر: ٤٨.

٥. الأنبياء: ٢٨.

٦. كشف *المراد في شرح تجريد الاعتقاد*، ص٤١٧.

قال القاضي عِيّاضٌ: «مَذهب أهل السّنة جواز الشّفاعة عقلاً، ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وأمثالهما وبخبر الصادقِ صلّى اللَّه عليه وسلم.

وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التّواتر بصحّة الشّفاعة في الآخرة لمُذنبي المؤمنين، وأجمع السّلف والخلف ومن بَعدهم من أهل السّنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلّقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النّار، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾...، وهذه الآيات في الكفّار، وأمّا تأويلهم أحاديث الشّفاعة بكونها في زيادة الدّرجات فباطلٌ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحةٌ في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النّار؛ لكنّ الشفاعة خمسة أقسام:

١. يح الآيات والأخبار الصحيحة (بتصرف) ٤١٧.تضِ دينه، والفاسقون ف يصبح بين الأدلّة هو كذلك. أنّ الشفيع الحاكم من أوصاف الحق تعالى أوّلها: مخّتصّةٌ بنبيّنا صلّى اللَّه عليه سلم، وَهِيَ الْإِرَاحَةُ من هول الموقف وتعجيل الحساب...
٢. الثانية: في إدخال قومٍ الجنّة بغير حسابٍ، وهذه وردت أيضًا لنبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...
٣. الثالثة: الشّفاعة لقومٍ استوجبوا النّار، فيشفع فيهم نبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى...
٤. الرابعة: فيمن دخل النّار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النّار بشفاعة نبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثمّ يخرج اللَّه تعالى كلّ من قال «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلّا الكافرون
٥. الْخَامِسَةُ: فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الجنّة لِأَهْلِهَا، وَهَذِهِ لَا يُنْكِرُهَا الْمُعْتَزِلَةُ وَلَا

يُنْكِرُونَ أَيْضًا شَفَاعَةَ الْحَشْرِ الْأَوَّلِ...[١]

والجدير بالذّكر أنّ للوهابيّين باتّباعهم لابن تيمية عقيدةً في باب الشّفاعة يخالفون فيها جميع الفِرق الإسلاميّة؛ فعلى الرغم من قبولهم بأصل الشّفاعة، إلاّ أنّهم يعتبرون أنّه لا يحقّ لنا طلب الشّفاعة من النبيّ ﷺ أو أئمّة الدين، ويمكننا الطلب من اللّه أن يجعل النبيّ شفيعًا في حقّنا فقط، أو أن يأذن له بأن يكون شفيعنا؛ لأنّ طلب الشّفاعة من غير اللّه تودي بالإنسان إلى وادي الشّرك والضّلالة.

وكما تمّت الإشارة، هذه العقيدة هي خلاف صريح القرآن؛ لأنّ استغفار الأنبياء لأبنائهم أو سائر الناس أو أصحابهم هو نوعٌ من الشّفاعة التي ذكرها القرآن بوضوح: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٢]، ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[٣]، ﴿...وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[٤] وسائر الآيات السابقة تدلّ على ذلك، ويمكن تتبّع توضيح هذا المطلب وتفصيله في الكتب الكلاميّة، ويمكن أيضًا الإطّلاع على الإجابة على بعض الشبهات التي ستطرح لاحقًا حول ضعف أسس معتقداتهم.

تبصرة: إنّ لتوضيح معنى الشّفاعة وتحليل معنى التوسّل والتبرير الصحيح للصّلاة بجانب قبر المعصوم عليه السلام والوصف الصحيح لمعنى الدعاء والمناجاة في جوار ضريح النبيّ ﷺ أو الإمام عليه السلام، مساهمةً كبيرة في إزالة توهّم الوهابيّين والتي تولّت النصوص الكلاميّة والتفسيريّة الشاملة والكاملة مسؤوليّة هذه الرسالة طبعًا.

إشكالات الشّفاعة

كما تمّت الإشارة، إنّ أصل الشّفاعة ثابتٌ في كتاب اللّه وسنّة المعصومين عليهم السلام. لا يمكن غضّ النظر عن شروطها وخصائصها طبعًا، مع ذلك فإنّ الشّفاعة مثل سائر القضايا

---

١. الرجوع إلى *البحار*، ج٨، ص٦١.

٢. محمد: ١٩.

٣. يوسف: ٩٧.

٤. النساء: ٦٤.

والمسائل القيميّة والعقائديّة الأخرى لم تسلم من الانتقادات الواهية، وقد تعرّضت لشبهاتٍ وإشكالاتٍ لا أساس لها.[١] وقد تعرّض الأستاذ العلاّمة الطباطبائي لهذه الإشكالات وأجاب عليها بدقّةٍ وعناية:

الإشكال الأوّل

بعد أن حدّد اللَّه تعالى في القرآن المجيد عقوباتٍ شديدة وثقيلة، هل يعتبر رفع العقاب عن المجرمين من عدالة اللَّه أم من ظلمه؟ إذا كان رفعها من العدالة، إذًا أصل تشريع مثل هذا القانون ووضعه كان ظلمًا منذ البداية، وهذا ما لا يليق بساحة اللَّه، وإذا كان رفع العقوبات ظلمًا، إذًا سؤال الأنبياء أو أيّ شفيعٍ آخر هو سؤالٌ للظلم، وهل يليق هذا السؤال والطلب الجاهلَ بالساحة المقدّسة للأنبياء ونسبته إليهم؟

الإجابة: أولاً ما هي إجابة المشكلين بالنسبة للأوامر الإمتحانيّة للَّه؟ هل إنّ رفع الحكم الإمتحانيّ للَّه مثل منع ذبح اسماعيلعليه السلام في المرحلة الثانية، وإثبات ذبحه في المرحلة الأولى بيد النبيّ إبراهيمعليه السلام، كلاهما من العدل أم أحدهما عدلٌ والآخر ظلم؟ لا بدّ من أن يكون كلاهما من العدل، وحكمة ذلك إخراج السرائر والنوايا الباطنيّة للمكلّف وإظهار استعداداته وتفتيحها.

ولربما قلنا فيما يخصّ الشّفاعة أيضًا إنّه من الممكن أن يكون اللَّه قد قدّر أنّ ينجّي جميع الأشخاص المؤمنين، ولكن في الظاهر قرّر أحكامًا وحدّد عقوباتٍ على مخالفتها حتى يهلك الكافرون عن كفرهم ويرتقي المؤمنون بواسطة اتّباعهم وإطاعتهم الدرجات العلا يركب المذنبون سفينة النجاة بواسطة الشّفاعة وينجون من بعض العقوبات، ويذوقون ويتلمّسون بعضًا منها، مثل أهوال البرزخ ووحشته، وفزع يوم القيامة. إذًا، فالحكم الأوّل، أي تشريع العقوبة، كان على أساس العدالة، وكذلك الحكم الثاني، أي رفع المجازاة، هو عادلٌ وعاقلٌ أيضًا.

ثانيًا ليست الشّفاعة من قبيل نقض الحكم الأوّل، وكذلك ليست من باب كسر

---

١. *المنار*، ج١، ص٣٠٧ ذيل البقرة: ٤٨.

المجازاة والعقوبة، بل للشفاعة الحكومة والسيطرة على حكم العقوبة والمجازاة؛ يعني أنّها تُخرج العاصي من شمول المجازاة وتجعله مشمولاً بالرحمة، الإحسان، العفو، الفضل والكرم، وفي هذا احترامٌ للشفيع قهرًا أيضًا. النتيجة هي أنّه يحدث تبدّل في المشفوع له حتى ينجو من استحقاق العذاب ببركة ذلك التغيّر أوّلاً، ويصل إلى استحقاق الثواب ثانيًا، وتبقى ساحة قانون الجزاء محفوظة ثالثًا.

الإشكال الثاني

تقوم السنّة الإلهيّة على أسسٍ راسخة ولا تتعرّض للاختلاف والتخلّف أبدًا، ولا يرِد عليها الاستثناء، وتُنفّذ في جميع الحالات بطريقةٍ واحدة؛ كما يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[١]، وكذلك يقول: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢]. ويقول في آيةٍ أخرى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٣].

على هذا الأساس، الشّفاعة نوعٌ من اللعب[٤] التي تخلّ في السنّة المتماسكة والقانون المتناسق والكليّ؛ لأنّ عدم معاقبة المذنبين ورفع العذاب عنهم هو نقض للغرض. فضلاً عن أنّ ذلك غير متطابق مع حكمة اللّه، وكذلك إذا ما قَبِل اللّه الشّفاعة لبعض المذنبين في بعض الذنوب والجرائم، ولم يقبل الشفاعة لآخرين، ويلزم من ذلك الترجيح بدون مرجّح؛ يعني وجوب اتّخاذ سنّة اللّه صفة الاختلاف والتخلّف، وهذا ما ينفيه القرآن.

الإجابة: صراط اللّه مستقيمٌ وسنّته واحدة غير مختلفة؛ وهذا المطلب راسخٌ ومتين جدًّا، ولكن سنّة اللّه لم تقم على أساس صفةٍ من أوصافه، وليس للّه سنّةٌ واحدة محددة، بل لديه سننٌ كثيرة، وكلٌّ منها في محلّه كاملٌ، تامٌ، جامعٌ وشامل. بناءً عليه، ليست السنّة

---

١. الأنعام: ١٥٣.

٢. الحجر: ٤١ـ٤٣.

٣. فاطر: ٤٣.

٤. الواسطة بمعنى المحسوبيّة أو المعاملة التفضيليّة (المترجم)

الإلهيّة قائمة على صفةٍ واحدة فقط حتى لا يتخلّف أيّ حكمٍ عن مورده وأيّ عقابٍ وثوابٍ عن محلّه، بل إنّ لرحمته وعفوه ومغفرته شروطًا خاصّة تشمل حال المفسدين والمجرمين؛ كما أنّ الحقّ تعالى منتقمٌ وقهّار في محلّه وبشروطٍ خاصّة؛ يعني في تحليلٍ جامعٍ يجب ملاحظة كلّ صفةٍ من الصفات الإلهيّة وتقويمها نظرًا إلى سائر الصفات؛ مثلاً إذا شفى اللّه مريضًا واستخدم اسمه المبارك «الشافي» حوله، فهنا لم يستخدم أسماءه الأخرى «المميت»، «المنتقم» و«القهار»، وإلاّ فلن ينجو أيّ مريضٍ من الموت، بل هنا قد شافاه، حيث إنّ اللّه رؤوفٌ، رحيمٌ، منعمٌ، شافٍ، ومعافٍ. وفي المقابل، إذا أهلك ظالمًا، فلا يكون ذلك دون سببٍ، ولم يتجلَّ باسمه المبارك «الرؤوف» و«الرحيم» أيضًا، بل أهلكه من حيث إنّه اللّه «القهّار» و«المنتقم».

على هذا الأساس، فإنّ عدم تبدّل سنّة اللّه وطريقته وكون صراطه مستقيمًا، إنّما يرجع إلى أصل الحكمة ومجموعة عالم الوجود، وليس ذات صلة بوصفٍ من أوصاف الحقّ تعالى؛ لأنّه هو كلّ يومٍ في شأنٍ خاصّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]؛ لأنّه في كلّ لحظةٍ ثمّة سؤالٌ جديد يُطرح من قِبل الموجودات الإمكانيّة: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، والغرض هو أنّ كلّ سؤالٍ يستلزم تجلي شأنٍ جديد، ويمحو أو يثبت ما يشاء بحكمةٍ، ولديه اللوح المحفوظ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3]. أحيانًا يُحيي، وحينًا آخر يميت، وبين هذا وذاك يرزق، يخفف، يزيد، يُفقِر، يُغني، ينتقم، يعفو، يقبل الشّفاعة، و... .

في النتيجة، إذا وقعت الشّفاعة ورُفع العذاب عن أحدٍ، لا يوجد أيّ اختلافٍ واختلالٍ في سنّته وطريقته الكلّيّة والشاملة، ولا يقع أيّ انحرافٍ عن الصراط المستقيم، بل إنّ الشّفاعة هي أثر لعدّة عوامل وأسباب مثل الرحمة، العفو، الحكم، القضاء ومراعاة حقّ صاحب الحقّ وفصل القضاء، وإذا أوكِل هذا الحقّ للنبيّ ﷺ أو الأئمّة عليهم السلام، فليس ثمّة ما هو

---

١. الرحمن الآية، ٢٩

٢. الرحمن: ٢٩.

٣. الرعد: ٣٩.

واقعٌ خلاف السنّة.

الإشكال الثالث

الشّفاعة سببٌ لإزالة الحكم ـ الإرادة والأمر الإلهيّ الأوّليّ ـ ونسخه؛ لأنّ الشفيع قد أجبره على القيام بعملٍ خلاف إرداته الأولى أو ترك عملٍ، ونحن نعلم أنّ اللَّه عادلٌ لا يقوم أبدًا بمثل هذا العمل؛ لأنّ إرادته وحكمه طبقًا لعلمه، وعلمه أزليّ ولا يتغيّر. بناءً لهذا الأصل، يستحيل عليه قبول الشّفاعة.

الإجابة: إنّ قبول الشّفاعة، ليست سببًا لا في تغيير إرادة اللَّه الأزليّة ولا من باب الخطأ وتبديل حكمه السابق، بل من باب تغيير وتبديل حال المعلوم والمشفوع له. مثلًا، يعلم اللَّه سبحانه أنّ لفلان حالاتٌ مختلفة، إذ يتّخذ في زمن محدّد، وفي ظلّ ظروفٍ خاصّة حالةً غير سويّة ومنحرفة، وفي زمنٍ آخر حالةٌ أخرى. ولله إرادةٌ أزليّة في تمام عالم الإمكان والتي تعود إلى نتائج الأعمال والحوادث، وإرادةٌ فعليّة خارجة عن الذات متوجّهة إلى الحوادث الخاصّة والجزئيّة وهي متغيّرة؛ لأنّ حال الشخص المشفوع له قد تغيّر، فيجعل اللَّه إرادةً له بما يتناسب وذلك الحال.

وكمثالٍ لتوضيح المطالب أعلاه، إذا علمنا بأنّنا نحتاج إلى النور من أجل الرؤية أثناء الليل المظلم، وكذلك علِمنا بأنّه في النهاية سينقضي الليل وتنجلي الظلمة عند الفجر، فلا جرم أنّه أوّلًا تعلّقت إرادتنا بظلمة الليل فقمنا بتهيئة السراج وأضأناه، وبعد انتهاء الليل قمنا بإطفائه. في هذا المثال، إذا نظرنا من منظارٍ خاصٍّ، فإنّ إرادتنا وعلمنا لم يتبدّلا، بل إنّ الذي تبدّل هو معلومنا ومرادنا؛ أي أن الليل والنهار هما من جاءا وتغيرّا. بناءً عليه، تنطبق كلّ إرادةٍ على مرادٍ وكلُّ علمٍ على معلومٍ بشكلٍ صحيح.

نعم، تغيرّ العلم والإرادة المستحيل عليه تعالى هو بطلان انطباق العلم على المعلوم والإرادة على المراد مع بقاء المعلوم والمراد على حالهما، وهو الخطأ والفسخ، مثل أن ترى شبحًا، فتحكم بكونه إنسانًا، ثمّ يتبينّ بعد اقترابه أنّه حصانٌ، فهذا الحصان كان حصانًا منذ البداية، ولكن علمنا بأنّه إنسانٌ قد تبدّل وبان الخطأ فيه، ولكن هذا النوع من الاختلاف

مُحالٌ على اللَّه، والشفاعة ورفع العقاب بها ليس من هذا القبيل. فالإنسان منذ البداية كان مذنبًا ومعروفًا بما جناه؛ وبعد تغيّره الباطنيّ مثلاً بالتّوبة، شملته الرحمة الإلهيّة، فالله أيضًا منذ الأزل اتّخذ فيه حكمين وإرادتين تستلزم كلّ واحدةٍ منهما موضوعًا خاصًا بها؛ فإن استمرّ الإنسان بطغيانه وعصيانه، فسيكون الحكم الأوّل هو ذلك العقاب الصّارم المتّخذ بحقّه، وإن رجع إلى اللَّه، وكان قلقًا من عذاب القبر والقيامة والحشر، فسوف يصل في نهاية المطاف إلى بحر الرحمة، العفو، الإحسان، التفضّل والكرم الإلهيّ اللانهائيّ، وسيتذوّق قطرةً من ذلك. إذًا لم يحدث التغيّر في علم اللَّه وإرادته، إنّما حدث التغيير في المواضيع والحالات، فجميع التغييرات من جانب المعلوم والمراد، لا من ناحية العلم والإرادة الإلهيّة، إلاّ بعد تفكيك الإرادة الذاتيّة عن الإرادة الفعليّة.

الإشكال الرابع

يستلزم وعد الشّفاعة منه تعالى أو تبليغها من الأنبياءعليهم السلام جرأة النّاس على المعصية وإغراءً لهم على هتك محارم اللَّه تعالى، وهو منافٍ للغرض الوحيد من الدّين من سوق الناس إلى العبوديّة والطّاعة.

الإجابة: ١. إذا كانت الشّفاعة سببًا في الجرأة على المعصية، فماذا تقولون عن الآيات التي تعِد بالعفو والمغفرة؟ لأنّه حسب منطق طارح الإشكال، يجب أن تُجرّىء آيات المغفرة النّاسَ على المعصية، وخاصّةً أنّ مغفرة اللَّه ورحمته واسعةٌ جدًّا وشاملةٌ لجميع الذنوب ما عدا الشّرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1]. واللَّه يغفر الذنوب كلّها ولمن يشاء، ما عدا ذنب الشّرك الكبير؛ إذ مراده غفران الذنوب من دون توبة، وإلاّ لغفر اللَّه جميع الذنوب حتى الشّرك بالتوبة.

٢. إنّ الأمل بالشّفاعة يكون سببًا للجرأة على ارتكاب الذّنب والفساد عندما يتمّ تحديد نوع الذنب أو الأفراد المذنبين، ولكن الأمر ليس كذلك، بل إنّ مضمون آيات الشّفاعة مستورٌ جدًّا ولا أحد يعلم ما هو الذنب أو الذنوب التي تُغفر بالشّفاعة، وليس معلومًا ما

١. النساء: ٤٨.

هو مقدار العقاب الذي يجب أن يراه الفرد في القبر والبرزخ حتى يصبح مشمولاً للشفاعة، ولم يتمّ تعيين المدّة التي سيلبثون فيها في جهنّم حتى يحصلوا على الشّفاعة. والغرض هو أنّ عمليّة الشّفاعة في جميع الموارد المذكورة على نحو القضيّة المهملة التي وردت في قوّة القضيّة الجزئيّة، وليس القضيّة الكلّيّة. وإنّ نتيجة مثل هذه القضيّة هي إيجاد الأمل المصاحب للخوف من عدم الشمول فقط، حيث إنّ الجمع بين الخوف والرجاء من أفضل الأساليب التربويّة؛ كما سوف يأتي.

٣. والشّفاعة مشروطةٌ بشرط مشيّئة اللَّه وإرادته: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أو ﴿لِمَنِ ارْتَضَى﴾[١] ولا أحد يعلم كيف هي إرادة اللَّه وما مقدارها، وهكذا فإنّ الشّفاعة ليس بأمرٍ جزاف وغير محسوب وطالما لا توجد سنخيّة بين المشفوع له والرحمة الإلهيّة الخاصّة، فلن يأذن اللَّه بالشفاعة له. على هذه القاعدة، لا يوجد أيّ اطمئنانٍ بأن تشمل الشّفاعة حاله، لذا فإنّه لن يجرؤ على ارتكاب الذنب.

فضلاً عن ذلك، إنّ الوعد بالشّفاعة توقظ قريحة الأمل في الإنسان، فلربما دفع هذا الأمل بأنّ يوقف ارتكابه للذنوب والمفاسد، فلا يقع في القنوط واليأس من رحمة اللَّه؛ ولذلك نرى القرآن الكريم يقول: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٢]، فإنّ الآية تدلّ على رفع عقاب السيّئات والمعاصي الصغيرة على تقدير اجتناب المعاصي الكبيرة، فإذا جاز أن يقول اللَّه سبحانه:إن اتقيتم الكبائر عفونا عن صغائركم، فليجز أن يُقال: إن تحفّظتم على إيمانكم حتى أتيتموني في يوم اللقاء بإيمانٍ سليم قبلت فيكم شفاعة الشافعين، وربما أوجب ذلك انصرافه كلّيًّا عن المعاصي، وصيرورته من المحسنين الصالحين، واستغناءه عن الشّفاعة؛ لأنّ أعظم شفيعٍ هو التوبة، الإنابة، التحوّل الباطنيّ وتحصيل طهارة الروح.

في النتيجة، طُرحت الشّفاعة في الكتاب وسنّة المعصومين عليهم السلام بنحوٍ يجعل الإنسان بين الخوف والرجاء؛ فلا يجرؤ على المعصية، ولا يسدّ عمومًا نافذة الأمل بوجهه.

---

١. الأنبياء: ٢٨.

٢. النساء: ٣١.

الإشكال الخامس

تدلّ بعض آيات القرآن على إمكانيّة الشّفاعة وليس على وقوعها، وبعضها ينفي مطلقًا كقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[١] وقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٢] وأخرى تفيد ارتباط الشّفاعة بإذن اللّٰه بشكل استثناء؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[٤]، ومثل هذا الاستثناء أي الاستثناء بالإذن والمشيئة في مقام النفي القطعيّ؛ أيّ أنّه لا يوجد أصلاً شفاعة، ولم ولن يكون لذلك تحققٌ خارجيّ، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[٥]؛ لأنّ مضمون هذه الآية هو أنّه لن تنسى أبدًا وما نسي النبيّ ﷺ آيةً أبدًا. كذلك قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[٦]، وهذا الاستثناء لن يتحقّق أبدًا، ولن يُخرج اللّٰه أهل الجنّة من الجنّة أبدًا، والهدف الأساس من هذه الاستثناءات هو الإفهام بأنّ جميع الأعمال بيده تعالى، ولا يوجد أحدٌ في عَرْض إرادته، وأنّ زمام جميع الأمور بيده المقتدرة. على هذا الأساس، فليس في القرآن نصٌّ قطعيّ على وقوع الشّفاعة.

وأما السنّة فما دلّت عليه الروايات غير الموثوقة من خصوصيّات الشّفاعة فلا تعويل عليه، وأمّا الروايات الموثوقة، فلا يزيد على أكثر ممّا في القرآن من دلالة. في النتيجة لا يوجد ما يدلّ على وقوع الشفاعة؛ يعني لا يوجد رواية ذات دلالة تامّةٌ من ناحية السّند، ولا يوجد روايةٌ سندها تامٌ ذات دلالة.

والجواب: أوّلًا: لا تنفي آيات القرآن المجيد الشّفاعة كلّيًا، بل إنّ ما تنفيه هو الشّفاعة من دون إذن اللّٰه ورضاه.

---

١. البقرة: ٢٥٤.

٢. المدّثر: ٤٨.

٣. يونس: ٣.

٤. الأنبياء: ٢٨.

٥. الأعلى: ٦ـ٧.

٦. هود: ١٠٧.

ثانيًا: الآيات المُستدلّ بها على نفي الشّفاعة، فإنّها بالمناسبة تثبت الشّفاعة؛ مثل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، ومفاد هذه الآية هو نفي انتفاع الكافرين من شفاعة الشافعين... ولم يقل «فلا تنفعهم الشّفاعة»، وهذا يدلّ على أنّ شفاعةً ما ستقع، غير أنّ هذه المجموعة الخاصّة لا ينتفعون بها، كما أنّ الإتيان بصيغة الجمع في «الشافعين» يدلّ على أنّ هناك شفاعةٌ؛ لأنّ صيغة الجمع له مدلولٌ زائد على مدلول المفرد. إذًا، إن لم يكن ثمّة وجود للشفعاء أصلاً، فما وجه ذكر الشافعين (الجمع).

ثالثًا: بالنسبة للآيات الدّالة على الشّفاعة مقيّدةٌ بالإذن والرضا، فإنّها تدلّ على وقوع الشفاعة، ولكنّها يجب أن تقع بإذن اللّه، كما يجب أن يكون دين المشفوع له محلّ ارتضاء اللّه (لأنّه عندما يُضاف المصدر، فإنّه يدلّ على الوقوع)، ودلالة هذه المجموعة من الآيات: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ من هذا القبيل. إذًا وقوع أصل الشّفاعة حتميّ، وإذا كان الاستثناء في موردٍ ما هو علامة على قوّة أصل حكمه وغير تخصيصه، فيجب حتمًا أن يكون بالاستناد إلى قرينةٍ خاصة، وإلاّ فإنّ الظهور الأوّليّ للاستثناء في التخصيص هو أصل الحكم.

رابعًا: إنّ الروايات حول الشّفاعة متواترة وقطعيّة، وهذه الروايات هي بنحوٍ يمكن الفهم منها بسهولة على أنّ الشفاعة واقعةٌ يوم القيامة، وقد اعترف الشيعة والسنّة بروايات الشّفاعة، وخاصّةً رواياتٌ من قبيل ما ورد عن النبيّ الأكرمﷺ: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[١]؛ كما سبق ذكر تفصيله.

الإشكال السادس

إنّ آيات الشّفاعة غير صريحة في رفع العقاب الثابت على المجرمين يوم القيامة بعد ثبوت الجرم ولزوم العقاب، بل تُثبت شفاعةَ الأنبياء بمعنى توسّطهم بما هم أنبياء بين النّاس وبين ربّهم بأخذ الأحكام بالوحي وتبليغها الناس وهدايتهم وتهيئة مقدّمات نجاتهم. بناءً عليه، إنّ معنى الشّفاعة هو كالبذر من أجل هداية المجتمع وتأمين حياتهم الأخرويّة.

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٠.

والجواب: إنّ هذا المعنى من الشّفاعة مقبولٌ، ويُعتبر من مصاديق الشّفاعة، إلّا أنّ الشّفاعة بجميع مواردها لا تنحصر بالمعنى المذكور أعلاه، وقد مرّ تفصيل ذلك سابقًا وأحد الشواهد على ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1]. وهذه الآية ليست في مورد المغفرة عن طريق التوبة؛ لأنّ الشّرك مغفورٌ بالتوبة أيضًا؛ كما تاب الكثير من المشركين في صدر الإسلام وغُفر لهم؛ بل إنّ الآية تدلّ على المغفرة من غير طريق التوبة، في حين أنّ المستشكل قد حصر الشفاعة بوساطة الأنبياء وتهيئتهم للأرضيّة في السعادة، وتبيّن الآية جزءًا آخر من مصاديق الشفاعة؛ لأنّه لا يوجد مجالٌ في الآخرة، حيث الكلام حول مغفرة الذنوب، لهداية الأنبياء وإرشادهم، فالغرض هو أنّ بعض آيات القرآن الكريم تدلّ بشكلٍ واضح على الشّفاعة المصطلحة.

الاشكال السابع

إذا اتّبعنا طريق السعادة بإرشاد العقل، فلن تتحقق الشّفاعة. ولم يبيّن القرآن أيضًا مسألة الشّفاعة بشكلٍ شفاف ومن المتشابهات، وعليه فإنّ الأدب الدينيّ يستلزم السكوت عن الشّفاعة، وإيكال العلم بها إلى اللَّه.[2]

والجواب: أوّلًا: حثّ القرآن في موارد عديدة على التدّبر، التعقّل والتأمّل بعمقٍ حتى لا نقرأ بعض الآيات عن غير علم، بل أن نستنطق الآيات ونعمل على تفسيرها وتحليلها، ومن ثمّ استخراج الجواهر النفيسة من ذلك. ويجب أن يكون تفسير الكتاب الإلهيّ ممنهجًا طبعًا، لا أن يكون تعسفيًّا ومن دون منهجيّة صحيحة؛ لأنّ لكلّ علمٍ لغته الخاصّة، وبالتالي فإنه كل علم يحتاج إلى الأدوات اللازمة والأساتذة الماهرين من ذوي الخبرة.

ثانيًا: بناءً لما تقدّم، إذا تمّ إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، سوف يرتفع إبهامها، ويتّضح مقصودها الأصليّ ويُستخرج من أعماقها. وعلى هذا الأساس حيثما ورد الحديث عن الشّفاعة، فإنّ الآيات التي تسبقها وتلحقها توضّح المراد الأساس منها؛ كما هو الحال عند انضمام آياتٍ أخرى، فسوف يتمّ إضعاف أيّ إبهامٍ متوّهم.

---

١. النساء: ٤٨.

٢. *الميزان*، ج١، ص١٦٢ـ١٦٨.

علاوة على ذلك، لقد فسّر القرآن الكريم مفسِّرون عظماء مثل الرّسولﷺ وأئمة الدين عليهم السلام، ويندرج في ذيل كلّ آيةٍ روايةٌ أو روايات مشعّة للغاية تمثّل الوجه الجميل والمشرق للآية.[١]

على هذا الأساس، يشير الإشكال أعلاه الناشىء من قِبل الأفكار السلفيّة والوهّابيّة إلى أنّهم عاجزون عن استخراج الفهم الصحيح من معنى الآيات، وخاصّةً أنّهم أهملوا العمق الاستراتيجيّ للأحاديث؛ ولذلك فإنّ من الضروريّ إعادة النّظر في الإسلام في أفكارهم ومعتقداتهم الإسلاميّة من وجهة نظرٍ صحيحة، وخاصةً أنّ روايات الشفاعة متواترة وقطعيّة باتفاق جميع المذاهب الإسلاميّة، بما في ذلك السنّيّة (غير الوهابيّة) والشيعيّة، وآيات القرآن تدلّ على ثبوتها التامّ أيضًا.

الفرق بين الشّفاعة وعلاقات الواسطة

لا يقدر المجتمع البشريّ والإنسانيّ على حفظ حياته المعنويّة وإدامة وجوده إلّا بقوانين موضوعة معتبرة بين جميع أفراد ذلك المجتمع ومنفّذة عليهم، حتى تسود السعادة والعدالة في جميع أنحاء المجتمع، ويجب أن يكون هذا القانون على نحوٍ يؤمّن المصالح والمنافع الماديّة والمعنويّة لأفراد المجتمع ويراعي الفضائل الأخلاقيّة، ولأنّ الأحكام والقوانين الموثوقة حتى لو كانت متينة وقويّة فهي اعتباريّة من جهةٍ، ولأنّ الإنسان المتمرّد منتهكٌ للقانون وميّالٌ إلى الفوضى بطبعه؛ فلا بدّ من تكميل تأثير هذه القوانين من خلال وضع القوانين الجزائيّة. على هذه الأساس، كلّما قويت حكومة (أي حكومة كانت) على إجراء مقرّرات الجزاء بشكلٍ عادل، لم يتوقّف المجتمع في سيره، ولم ينحرف ويضلّ عن مقصده، وكلّما ضعفت اشتدّ الهرج والمرج، الرشوة أو علاقات الواسطة والحيل مما يجعل المجتمع ينحرف أكثر عن مساره القانونيّ.

لذلك، إنّ التذكير بالأحكام الجزائيّة وتعليمها أمرٌ ضروريّ من أجل الاستقامة والعدالة الاجتماعيّة، حتى يعلم الجميع ما هي العقوبات التي سيتعرّضون لها في حال

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٠.

انتهاك القانون والتعدّي عليه، وما هي الطمأنينة التي يؤمّنها الالتزام بالقانون ويطّلعون على حقيقةٍ مفادها أنّه لا يوجد أملٌ بالنجاة من قبضة العدالة من خلال التذرّع بانتهاك القانون، التساهل، علاقات الواسطة والمحسوبيّة، الارتشاء وأن يُخرجوا من قلوبهم خيال الانحراف.

والسبب في أنّ الكثير من المفكّرين والمحقّقين في الدّين اعترضوا على المسيحيّة ونقموا عليها، هو أنّ علماءهم كانوا يقولون إنّ المسيح قد فدى الناس بنفسه في معاصيهم، ولقّنوا النّاس بأنّهم إذا أردتم من نوّابه أن يخلّصوكم من عذاب يوم القيامة، فسوف يتوسّط لكم أولئك النواب ويشفعون لكم. ومن الواضح أنّ مثل هذا الفهم غير الصحيح مقوِّضٌ لأساس العدل الإجتماعيّ ويبدّل الحضارة البشريّة بتخلّفها ورجوعها القهقرى بالتوحّشٍ. إنّ هذا النوع من الشّفاعة الذي يتحدّث به زعماء المسيحيّة وممثليها هو انتهاك القانون بعينه والواسطة من دون أيّ قيد؛ ولذلك لم يعد المفسدون والمجرمون يرتدعون من القيام بالأعمال القبيحة وبَالُهُم مرتاح من عذاب الضمير والقيامة.

وبذلك قامت جماعة من الباحثين بتأويل الشّفاعة في الإسلام من أجل أن تتطابق مع تلك الانتهاكات البشعة للقانون، وليس للمعنى الذي فسّروه علاقة بالشّفاعة الواردة في القرآن والسنّة؛ فالإسلام لم يثبت الشّفاعة بالمعنى الذي فسّروها به، ولا يقبل بتلك الشّفاعة التي تؤدّي إلى الانتهاكات البشعة للقانون.

هنا عندما يقصد عالمٌ ما البحث في المعارف الإسلاميّة وتطبيق ما شرّعه الإسلام على هيكل الاجتماع الصالح، يجب عليه البحث في تمام ما رامه الاسلام من الأصول والقوانين، حتى يعلم ما هي الشّفاعة الموعودة؟ ومتى وفي أي مكانٍ تحصل الشّفاعة الموعودة؟ وما هو محلّها وموقعها بين سائر المعارف الإسلاميّة؟ عندها سوف نعلم من خلال النظرة المعمّقة الشاملة أنّ المؤمنين لا يخلّدون في النّار يوم القيامة بشرط أن يكون دينهم محلّ ارتضاء اللّه؛ إذًا وعدُ اللّه بالشّفاعة ليس مطلقًا، بل مشروطٌ. لا أحد لديه اليقين بأنّ ذنوبه سوف تُغفر بواسطة الشّفاعة. ثمّ إنّه لا أحد يثقّ من قدرته في حفظ بقائه على إيمانه إلى آخر عمره تمامًا؛ لأنّ إيمان الإنسان دائمًا على شفا جرفٍ هالك وفي

معرض التهديد والفناء. ومن جهةٍ أخرى، يبقى الأمل بقدرته على التوبة وتعويض الماضي القبيح؛ وبذلك يكون مثل هذا المؤمن بين الخوف والرجاء، فيعبد ربّه رهبةً وعلى أمل رحمته أيضًا، وفي النتيجة يسير في حياته سيراً معتدلاً بين وجدان الشفاعة وفقدانها.

وثانيًا: أنّ الاسلام قد وضع من القوانين الاجتماعيّة من مادّيّاتها ومعنويّاتها ما يستوعب جميع الحركات والسكنات الفرديّة والاجتماعيّة، ثمّ اعتبر لكلّ مادة من مواد القوانين ما يناسبها من جزاءٍ وثواب. ولحفظ هذه الأحكام والقوانين حكّم حكومة أولياء الأمر ليقوموا بتنفيذ القانون الإلهيّ بشكلٍ كامل.

فضلاً عن ذلك، قام بتسليط الكلّ على الكلّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعطى الحاكميّة لكلّ فردٍ كي يتمكّن الفرد فيما لو كان من الطبقات المتدنّية أن يأمر آخرَ بالمعروف وينهاه عن المنكر، حتى لو كان من الطبقات العليا.

ثمّ أحيا ذلك بنفخ روح الدعوة الدينيّة المضمّنة بالإنذار والتبشير بالعقاب والثواب في الآخرة والتي تأتي بعد دعوة النبيّ ورجال الدين، واصل علماء الدين في الأمة الترويج لهذه الدعوة، حتى ينال المجتمع في ظلّ التربية الصحيحة سعادة العالمَين.[١]

نطاق الشّفاعة

الشّفاعة بمعناها الصحيح هي حقيقةٌ يبدأ مجالها من الدنيا ويصل نطاقها حتى خروج المذنبين المستحقّين للشّفاعة، والى أن تكون نهايتها ترقية درجات أهل الجنّة. من هنا، فسّر المفسّرون الآيات التالية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٢]، ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[٣] و﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[٤] وسائر الآيات السابقة الذكر، بالشّفاعة. ويشمل

---

١. الرجوع إلى *الميزان*، ج١، ص١٥٧ـ١٧٤.

٢. محمد: ١٩.

٣. يوسف: ٩٧.

٤. النساء: ٦٤.

نطاقها في القيامة أهل الجنّة لجهة ترقية الدرجة؛ لذا فإنّهم يسألون الشّفاعة. الخلاصة أنّه في ساحة المحشر ثمّة مجموعة تحتاج للشّفاعة من أجل الدخول إلى الجنّة، ومجموعةٌ أخرى من أجل تعجيل الحساب، أو لأجل إزالة أهوال القيامة، وطائفةٌ أخرى لتخفيف العذاب أو السقوط فيها وأهل النّار من أجل الخروج من النار بعد قضائهم مدةٍ فيها. إذًا، في جميع الحالات المذكورة ثمّة كلامٌ عن الشّفاعة، ولكن مكانها البارز هو ساحة القيامة وقبل الدخول إلى الجنّة والنّار.

بعبارةٍ أخرى، يمكن القول إن للشفاعة درجات؛ أدنى درجات الشّفاعة، تغيير دركات أهل النّار وتخفيف عذابهم، وأعلاها شمول بركة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام حال الأنبياء والمرسلين.

وتوجد ثلاث درجات في الوسط، بحيث إنّ مجموعة تشملها الشّفاعة تخرج من النّار، وجزءًا من «الأعرافيين»، فئةٌ هم من الأعراف الداخلين إلى الجنّة، وفئةٌ ترتقي درجاتهم في الجنّة، وهذه الدرجات مختلفة فيما بينها اختلافًا جوهريًّا، ولكلّ درجة حكمٌ خاصّ، وتشمل مرحلةً من النعمة تتمايز تمامًا عن الدرجة الأخرى؛ مثلاً قد يكون لبعض الدرجات خصوصيّة القدرة على الشّفاعة للغير بإذن اللّه.

الفصل السادس عشر

العقوبة والثواب

العقاب والثواب

سوف يتم البحث حول العقاب والثواب بعدة طرقٍ:

نفي الظلم عن اللّٰه

تمّ طرح حقيقة أنّ اللّٰه عادلٌ في آياتٍ متعددة، رحمانٌ، رحيمٌ، رؤوفٌ، غفورٌ، عطوف، لطيف، محسنٌ و... وفي مواضع أخرى من آيات القرآن، تمّ إبعاد أيّ نوعٍ من الظلمٍ عن ساحة اللّٰه المقدّسة؛ من جملة ذلك قوله تعالى:

١. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]؛ ليس اللّٰه تعالى في هذه الآية الكريمة بوارد بيان الحجم والحدّ التام حتى يخطر بالبال أنّه ربما يجوز الظلم في نظامه أقل من مثقال ذرّة؛ لأنّه تعالى يقول في آيةٍ أخرى:

٢. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]. فالله سبحانه عالمٌ بالذرّة وبما هو أقلّ منها، ولكن لم يجوّز ولن يجوّز ظلمًا بأقل من حجم الذرّة أيضًا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]. فالحقّ تعالى لديه علمٌ حضوريّ وشهوديّ بجميع الذرّات

---

١. النساء: ٤٠.

٢. يونس: ٤٤.

٣. يونس: ٦١.

وأصغر منها، ولا يوجد شيءٌ غاربٌ وآفلٌ عن أفق شهوده، فعلى هذا الأساس، تشمل الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾[١] الذرّة وما هو أصغر منها.

٣. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٢]، في هذه الآية تمّ إبعاد نوع الظلم بشكلٍ عامّ عن ساحة اللّه، ويستلزم نفي نوع الظلم سلب جميع مراتبه؛ سواء أكانت في حدّ الذرّة أم أقل من ذلك.

قبح مخالفة الوعد

من الآيات السابقة نعلم أنّ اللّه مطلّعٌ تمامًا على جميع الأمور، ولا يخفى عليه عملٌ، وهو شاهدٌ وناظرٌ على جميع تصرّفات عباده الصالحين بالمغفرة والأجر العظيم، ويهدّد الكافرين والمكذّبين بالوعيد، ويقول بهذا الشأن: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٣].

على هذا الأساس، الأجر العظيم منوطٌ بركنين مهمّين: الإيمان والعمل بالأحكام الفقهيّة والحقوقيّة؛ ونعلم أنّ اللّه سيفي بوعوده؛ لأنّ الخلف بالوعد إنّما يكون بسبب الجهل وعدم العلم بوجوب العمل بالوعد والوفاء به وأمثال ذلك من أسباب، ولكنّ الذات الإلهيّة منزّهة من جميع الصفات المذكورة ومبرّأة من هذه النقائص؛ إذًا عندما يَعد اللّه فإنّه يفي حتمًا، ويحقق وعد المغفرة والثواب العظيم للمؤمن الصالح. ومن البديهيّ أنّ تفهيم مبدأ المغفرة والأجر العظيم بجملةٍ اسميّة إنّما هو علامة على صلابته وقوّته وحتميّته، لا سيما أنّه مصحوب بتنوين التفخيم والتعظيم، كما وصّف الأجر في آية أخرى بالكبير، إذ قال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٤]، وفي آيةٍ أخرى بالكريم: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[٥]؛ لذا، قال المفسّرون إنّ «الإنسان لا يستطيع

---

١. يونس: ٤٤.

٢. المؤمن/غافر: ١٧.

٣. المائدة: ٩ـ١٠.

٤. الإسراء: ٩.

٥. الأحزاب: ٤٤.

الوصول إلى نهاية هذا الأجر الكبير والكريم»، وهذا ما يُفهم من هذه الآية؛ إذ يقول: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «...إنّ اللّٰه تعالى خلق جنّة بيده، ولم ترها عين ولم يطّلع عليها مخلوقٌ، يفتحها الربّ كلّ صباحٍ فيقول: ازدادي ريحًا ازدادي طيبًا، وهو قول اللّٰه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾».[٢] وأحيانًا يقول: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾[٣]. الغرض هو أنّ الوفاء بالوعد واجبٌ، ويتّفق العقل والنقل على ذلك ويتطابقان معه، ولكن من ناحية الوعيد بالعذاب من الممكن أنّ يعفو الحقّ تعالى عن أهل النّار ومستحقّيها وأن يتجاوز عنهم على أثر الشفاعة أو... .

وتعتقد «الوعيديّة» وجماعةٌ من المتكلّمين بأنّ الحقّ تعالى كما أنّه لا يخلف وعده ويعطي الصالحين أجرهم الحسن، كذلك يعذّب المسيئين، والخلف بالوعد عليه قبيحٌ؛ وبما أنّ الخلف بالوعد قبيحٌ، فإنّ إنجاز الوعيد غير منفكٍّ عن إنجاز الوعد؛ مثلاً إذا وعد اللّٰه المؤمنين بالفتح والنصر، فسوف يعطي الوعيد لهم بالهزيمة أيضًا، وإلاّ محالٌ أن ينتصر المؤمنون ولا ينهزم الكافرون.

لكنّ أكثر المتكلّمين يعتقدون بأنّ الخلف بالوعيد ليس غير قبيحٍ وحسب، بل يعدُّ من اللطف والكرم وذلك من باب سبق الرحمة على الغضب؛ فكما أنّ اللّٰه يقول إنّ من يكون من أهل الصلاح والصلاة والصوم، سأوصله إلى الفيض الكامل، وسأعطيه أجرًا بلا حساب؛ كذلك يمكنه أن يتجاوز عن جرم المذنب لعلّةٍ أو لعللٍ مخفيةٍ عنّا ويشمله برحمته الواسعة. إنّ مثل هذا العمل ليس بقبيحٍ طبعًا، وليس بخلف الوعيد. على هذا الأساس، إذا ما تحقّقت العقوبة، فإنّها ستكون مساوية للعمل ومعادلةٌ له لا أكثر. من هنا، يقول القرآن حول العاصين: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٤].

---

١. السجدة: ١٧.

٢. *نور الثقلين*، ج٤، ص٢٢٧، ح٢٧.

٣. الزخرف: ٧١.

٤. الشورى: ٤٠.

ولكنّه يقول فيما يخص الأعمال الصالحة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

وينقل الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه الإمام السجّاد عليه السلام:

«كان عليّ بن الحسين يقول: ويلٌ لمن غلبت آحادُه عشراته. فقلت له: وكيف هذا! فقال أما سمعت اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فالحسنة الواحدة إذا عملها كُتبت له عشرًا، والسيّئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة. فنعوذ باللّه ممن يركب في يومٍ واحد عشر سيّئاتٍ ولا يكون له حسنةٌ واحدة فتغلب حسناته وسيّئاته».[2]

الأجر والثواب العظيم ومن دون حساب

وربما يصل الأجر على العمل الحسن إلى ٧٠٠ أو ١٤٠٠ مرّة، وكنموذجٍ على ذلك نذكر الأجر لأولئك الذين ينفقون أموالهم الحلال في سبيل اللّه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وأعلى من كلّ ذلك هو الأجر بلا حدٍّ ولا حصر، وهو الأجر الذي خصّص للصابرين: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة يقوم عنقٌ من النّاس فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة اللّه ونصبر عن معاصي اللّه، فيقول اللّه عزّ و جلّ: صدقوا، أدخلوهم الجنّة، وهو قول اللّه عزّ و جلّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾».[5]

---

١. الأنعام: ٦٠.

٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٧٨٥، ح٣٧٢.

٣. البقرة: ٢٦١.

٤. الزمر: ١٠.

٥. *نور الثقلين*، ج٤، ص٤٨١، ح٢٩.

عقوبة الذنوب الكبيرة

على الرغم من أنّ كلّ ذنبٍ هو طغيانٌ وعصيان، ويعدّ أمرًا قبيحًا وغير جائر من حيث إنّه انتهاكٌ للقانون ويستحق المجازاة، ولكن بعض الذنوب تعتبر في حدّ ذاتها عدّة ذنوبٍ، وفي الاصطلاح هي ذنوبٌ مضاعفة؛ مثل البدعة في الدين، الإضرار بالإسلام والقوانين الدينيّة، وخاصّةً إذا قام بهذا العمل أولئك الذين يُتوقّع منهم أن يهبّوا لعون الدين ويُعتبرون من المنتسبين إلى بيت الدين وحماة الشريعة الإلهيّة؛ مثلاً زوجات النبيّ ﷺ المنتسبات إلى بيت الوحي، إذا أتين بذنبٍ، فإنّهن لم يُفسدن أنفسهنّ فحسب، بل سيضررن المكانة الإسلاميّة لرسول اللّه ﷺ؛ ولذلك فإنّ عقوبتهنّ تكون مضاعفة: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[1].

وعن حريز قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قول اللّه عز وجل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، قال: الفاحشة الخروج بالسيف.[2]

كذلك إذا افترى امرؤٌ على دين اللّه وأوجب ذلك ضلالة الآخرين، فهو لم يرتكب ذنبًا شخصيًّا، بل هيّأ الأرضيّة لأن يذنب الآخرون أيضًا من خلال إضلالهم؛ ولذا سوف تكون عقوبتهم مضاعفة عن سائر المذنبين، ولهذا قال اللّه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[3].

نعم، لقد عدّ اللهُ هذه الجماعة من أكثر الأفراد ظُلمًا؛ لأنّهم افتروا على دين اللّه كذبًا، وهذا جزاء من يجعل رغباته بصفتها دين اللّه غذاءً للمجتمع، أو يُظهر عمله الطالح صالحًا ويدّعي أنّه من دين اللّه كذبًا.

وقد عدّ القرآن بعض الذنوب ثقيلةً جدًا، واعتبرها بعضها بمنزلة الشّرك، مثل قتل النفس

---

١. الأحزاب: ٣٠.

٢. *نور الثقلين*، ج٤، ص٢٦٨، ح٧٥.

٣. هود: ١٨ـ٢٠.

المحترمة والزنا، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[١]

وقد جاء في تفسير علي بن إبراهيم:

«...و«آثام» وادٍ من أودية جهنّم من صفرٍ مُذاب قدامها حَرّة في جهنّم، يكون فيه من عبد غير اللّه تعالى، ومن قتل النفس التي حرم اللّه، ويكون فيه الزناة ويضاعف لهم فيه العذاب».[٢]

والقرآن لا يداهن أحدًا و لا يضعف أمام أحدٍ، ويتحدّث من دون مواربة. وحتى النبيّ صلى الله عليه وآله الذي هو أشرف الموجودات والوجه الأكثر عصمةً وقيمة في العالم وشفيع الأولين والآخرين، يقول اللّه تعالى فيه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]؛ يعني حتى لو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ نعوذ باللّه ـ زوّر كلامًا ونسبه إلى اللّه، فنحن قادرون على الإمساك به.[٤]

ثمّ يقول القرآن سوف نقطع منه (الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله) شريان الحياة، ولن يستطيع أحدٌ منع هذه العوبة الشديدة؛ وهذا لأنّ مسؤوليّة الرسالة مهمّة، إذًا في هذه المسؤوليّة إذا أخطأ أحدٌ، فسوف تكون عقوبته عدّة أضعافٍ؛ لأنّ ذنب النبيّ غير ذنب المتُنبّي؛ لأنّ الإنسان الذي وصل إلى مقام النبوّة الشامخ من قِبل اللّه، سوف تكون سنّته العلميّة والعمليّة مقبولة في المجتمع، وستكون لها صبغة دينيّة. في ظلّ هذه الظروف الحسّاسة، إنْ جعل مطلبًا ما وزوّره ونسبه إلى اللّه تعالى، فسوف يقبل البشـر ذلك المجعول بصفته بدعةً، وسيكون له تأثير سيّئ وكبير. وأحد أهم الآثار السيّئة لذلك التقوّلِ والافتراءِ هو اتّخاذ المنحول والمجعول البشريّ صبغةً إلهيّة، ويصبح شائعًا ورائجًا. ومن جهةٍ أخرى؛ ولأنّه سوف يتمّ البحث والتدقيق في تقوّله وافترائه وسيتّضح ذلك تدريجيًّا للأمّة الإسلاميّة، فسوف ينفر الجميع من

---

١. الفرقان: ٦٨ـ٦٩.

٢. *نور الثقلين*، ج٤، ص٣١، ح١١٢.

٣. الحاقة: ٤٤ـ٤٨.

٤. ولأنّ أكثر القدرة تكون في اليد اليمنى، فلمنع امرىء يريد القيام بعملٍ ما، يُقال: «خذ بيمينه»؛ يعني «خذ بيده» يعني أمسك يده اليمنى واسلب قدرته. وإذا أراد قول كلامٍ باطلٍ، فإن قيل هنا خذ بيده يعني أغلق فمه.

أصل الوحي الصحيح والدين السليم والصراط الإلهيّ المستقيم ويديرون ظهورهم له وينحرفون عنه.

ويؤكّد القرآن على أنّ الحيف والميل في أموال اليتامى ذنب كبير جدًّا، ويقول: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[1]. وسبب أنّ هذا الذنب كبيرٌ هو كون اليتيم بلا راعٍ، كما أنّه لا ملجأً له، ومثل هذا المظلوم المكسور الخاطر صادقٌ ومخلصٌ في الالتجاء إلى اللّه، وسوف يُستجاب لابتهاله الصادق والخالص، ومن جهةٍ أخرى فإنّ لهذا المال دورًا عامًا في مصير اليتيم؛ وفي الجهة المقابلة، إذا ما ساعد امرؤٌ يتيمًا وقام برعايته فسوف يُضاعف ثوابه، وسيكون لذلك دورٌ فعّال في مصير عمره.

النتيجة هي أنّ مضاعفة بعض العقوبات غير متعارضة مع الأصل الكلّيّ: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[2]؛ لأنّ «الحوب الكبير» والذنب الكبير له عقوبة مضاعفة، وعقوبة كبيرة بما يتناسب مع الذنب الكبير وليس أكثر من ذلك.

مراحل الثواب والعقوبة

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «...والإيمان هو الإقرار باللّسان وعقدٌ في القلب وعملٌ بالأركان...»[3]. فالإنسان يعتقد في مرحلة القلب، ويقرّ في مرحلة اللسان، وأمّا في مرحلة الأعضاء والجوارح فتنشغل بالعمل، والمؤمن يستمتع من ناحية القلب بالفكر الإلهيّ وبرَوح الجنّة وريحانها. ويستفيد من اللسان في الذكر والثناء الإلهيّ والتعليم والإرشاد، ويجتهد بالأركان على العمل ويتنعّم منها. ويقول القرآن حول كيفية تنعّم المؤمنين في الجنّة: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ...﴾[4]، فإن أرادوا شيئًا وطلبوا نعمةً، فهم لا يُظهرون ذلك إلى الملائكة أو الحور، بل يقولون: «سبحان اللّه»، وبإرادتهم لتلك النّعمة والتسبيح، يحضر مطلوبهم ويستمتعون بها. وبعد أن يقضوا رغبتهم وما يشتهون، يؤدّون الشكر للّه:

---

١. النساء: ٢.

٢. النبأ: ٢٦.

٣. *أصول الكافي*، ج٢، ص٢٧، ح١.

٤. يونس: ١٠.

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]، يعني الشكر المطلق الخاصّ بربّ العالمين.

والمسيئون سوف يرون أيضًا عقوبات ثلاثيّة: القلب، اللسان، والجوارح؛ العقوبات التي تجري على القلب: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٢]، وأمّا عقوبة اللسان، فهي عجزه عن الكلام ونُطق اليد وشهادة القدم على الإجرام والمجرمين، فالقرآن يقول: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣]، وترى أعضاؤهم وجوارحهم العقاب. وكلما احترقت جلودهم، نضجت جلودٌ أخرى حتى يذوقوا العذاب باستمرار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ...﴾[٤].

ويسأل ابن أبي العوجاء الإمامَ الصادقَ؈ عن قول اللَّه عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ...﴾، ما ذنب الغير؟ قال، ويحك هي هي وهي غيرها، قال، فمثّل لي في ذلك شيئًا من أمر الدنيا. قال: نعم أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسرها، ثمّ ردّها في ملبنها، فهي هي وهي غيرها».[٥]

العقوبات المعجّلة

الذنوبُ في تقسيمٍ وبلحاظ المذنب على نوعين: بعضها يحيط عقوبتها الإنسانَ في الدنيا والبعض الآخر في الآخرة، فالإنسان العاصي يتلوّث أحيانًا بمعصيةٍ تجعله ينسى فطرته الأصليّة أيضًا، وأحيانًا أخرى أثناء قيامه بالمعصية يلتفت إلى معصيته ولا يستمتع بها طبقًا لفطرته، فهو في الواقع يُحافظ على طريقٍ من أجل عودته وتوبته ويفكّر بآخرته؛ ولذلك يقول الإمام الصادق؈: «إذا أراد اللَّه عزّ وجلّ بعبدٍ خيراً عجّل له عقوبته في الدّنيا، وإذا

١. يونس: ١٠.
٢. الهمزة: ٦ـ٧.
٣. يس: ٦٥.
٤. النساء: ٥٦.
٥. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٩٤، ح٣١٤.

أراد بعبدٍ سوءًا أمسك عليه ذنوبه حتّى يوافى بها يوم القيامة»[١].

تبصرة: التقسيم الآنف الذكر بلحاظ المذنب، وليس بلحاظ الذنب نفسه؛ يعني إذا كان المذنب محلّ لطف اللّه ورحمته، فسوف يُعاقب في الدنيا، وهو عقابٌ سهلٌ مقارنةً بالآخرة أيضًا، وسيكون سببًا لتنبّه المذنب المُعاقَب، وإذا لم يكن محلّ لطف اللّه ورحمته، فسوف تؤجّل عقوبته إلى الآخرة، وهو عقابٌ صعبٌ أيضًا، وليس للتنبّه والتعويض في تلك النشأة من سبيل. وسرّ شمول الرحمة الإلهيّة هو أنّ لا تكون أصل الفطرة قد نُسيت.

وقد تكون العقوبات المعجّلة بلحاظ الذنب ذاته أحيانًا؛ وينقل الإمام الصادق عليه السلام حول العقوبات المعجّلة التي تكون بلحاظ أهمّيّة الذنب نفسه، عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «نعوذ باللّه من الذّنوب التي تعجّل الفناء وتقرّب الآجال وتخلي الدّيار وهي قطيعة الرّحم والعقوق وترك البرّ»[٢]. فعقوبة هذه الذنوب تظهر عاجلاً.

ومن الذنوب الأخرى التي يعجّل اللّه تعالى عقوبتها، وتجعل الإنسان المذنب بائسًا قبل قيامته، القتل، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٣]. فإذا كان بعض النّاس كفارًا ومنافقين ويقتلون الأنبياء وأولادهم المعصومين، فسوف يستحقّون عقوبتين. هؤلاء سوف يرون المجازاة المعجّلة في الدنيا، وسيخلّدون في عذاب الآخرة أيضًا، فإن كان لديهم عمل صالح أيضًا، فسوف يُحبط ويذهب سدًى وسيكون في الآخرة من الخاسرين، وهذه الخسارة كبيرة غير قابلة للتعويض.

في النتيجة، العقوبات التي أنزلها اللّه بالإنسان العاصي، سوف تُزال على أثرها ذنوبه؛ لأنّ ذلك في حدّ ذاته نوعٌ من الأجر الحسن؛ لأنّ اللّه تعالى يحبّ أن يكون عباده في النّعمة؛ ولأنّه تعالى هو أرأف بالإنسان من أبيه وأمه، فإنّه يحبّ أن يغسلوا أيديهم من العمل القبيح بالتضرّع والتوسّل والبكاء، وأن يغتسلوا بماء التوبة ليستقرّوا في أحضان الرحمة الإلهيّة؛

---

١. *أصول الكافي*، ج٢، ص٤٤٥، ح٥.
٢. *أصول الكافي*، ج٢، ص٤٤٨، ح٢.
٣. آل عمران: ١٧٨.

ولذلك فهم يتعرّضون للضغط أحيانًا حتّى يتضرّعوا ويتوسّلوا باكين: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[١]؛ وجاء في الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[٢].

أقسام العقوبة

ذكرنا أنّ الانتقام والعقوبة على أربعة أنواع:

أ) العقوبة التي يُنزلها المظلوم على الظالم لتشفي قلبه وتسلّي خاطره.

ب) العقوبة التعاقديّة التي يفرضها القاضي على المجرم، وهذه العقوبة تختلف باختلاف الأنظمة الحكوميّة؛ ففي النظام الإسلاميّ تُقطع يد السارق كعقوبةٍ، وفي بعض الموارد تكون العقوبة الجلد أو النفي، والحكم في ذلك يكون بعهدة القاضي.

ج) العقوبة التكوينيّة، كالتي يجريها الطبيب المعالج على المريض الممتنع، بمعنى أنّه في حال مخالفة أمر الطبيب، فسيشتدّ المرض على المريض ويصل إلى الموت، ويتعذّب ويُعجزه الألم وفي النهاية سيقضي عليه؛ مثل السمّ المميت ذي الأثر التدريجيّ الذي يجعل المريض الممتنع لقمة سائغة للموت.

د) العقوبة التكوينيّة مثل تأديب المرشد الحنون للطفل اللاهي الغافل، بمعنى أنّه في حال المخالفة، سوف يتضرّر الطفل المخالف على الفور وليس تدريجيًّا، كأن يُقال للطفل: لا تلمس النار بيدك فهي محرقة، فإن عصى الطفل الأمر ولعب بالنار، فسوف يحترق في تلك اللحظة نفسها؛ كما يقول القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٣]؛ غير أنّهم لن يشعروا بعقوبة النّار فعلاً، ولكن عندما يعبرون من هذا العالم وتزول سكرة الشباب، الثروة، الجاه والسلطة ويعودون إلى رشدهم، سوف يشعرون

---

١. الأنعام: ٤٣.

٢. الأنعام: ٤٢.

٣. النساء: ١٠.

بكلّ وجودهم بهذا العذاب: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾[١].

إشارة: الذنب المتّصل بالنّار والمصاحب للاحتراق، إنّما هو بسبب أنّ باطن الذنب نار برزخيّة وجهنّميّة، وما يأتي بعد الموت أشدّ مما يحصل في الدنيا. ولا بدّ من التنبّه إلى مراعاة الدّقة في رسم النوع الرابع من العقوبات إلى أنّ ارتكاب الذنب هو الاحتكاك مع النّار الأخرويّة وليس الدنيويّة التي يمكن تحمّلها ومعالجتها.

تحليل العقوبة في مجموعتين من الآيات

يُلاحظ مجموعتان من الآيات المتعارضة ظاهرًا والتي تتحدّث عن عقوبة الكافرين:

أ) مجموعةٌ من الآيات تدلّ على النعم التي أُعطيت للكافرين من أجل مؤاخذتهم ولجعلهم يتسلّون بها؛ مثل:

١. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٢]

٢. ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[٣]

٣. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٤]

٤. ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٥]

بناءً على ما ذُكر، فإنّ الكفّار لا يتمتّعون بأيّ نعمة، وما هو في الظاهر نعمةٌ إنّما هو في الواقع مسمومٌ؛ نظير العسل المسموم الذي لا يهنأ به طاعمه ولو للحظةٍ واحدة ولا يستمتع به أبدًا.

ب) آياتٌ تدلّ على أنّ الكافرين يتمتّعون بالنعم الإلهيّة؛ وقد تكون كثيرة أحيانًا، قليلة في أحيان أخرى؛ مثل:

١. ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ

---

١. ق: ٢٢.

٢. الحج: ٤٨.

٣. آل عمران: ١٧٨.

٤. الأعراف: ١٥٢ـ١٨٣.

٥. القلم: ٤٤ـ٤٥.

بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

٢. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

٣. ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٣]

٤. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾[٤]

هذه المجموعة من الآيات ذات صلةٍ بأوّل الأمر؛ يعني أنّ اللّه بدايةً يبسط مائدة نعمه الواسعة للجميع، ويوجّه دعوةً عامّةً لهم ويذكّر بنعمه ويمتحنهم بها، فإن كفروا وغضّوا النّظر عنها أو أنكروا صاحب تلك المائدة ومن بسطها وأداروا ظهورهم للمذكِّر (بمقتضى آيات المجموعة الأولى)، فسوف تؤخذ منهم النِعم تدريجيًّا أو دفعةً واحدة، وسيُبتلون بمصير العقوبات والعذابات المرهقة والمهلكة. كلّ ذلك نتيجة أنّ المترفين والمسرفين والمرفّهين اللامسؤولين لم يؤدّوا شكر اللّه وحمده ورفعوا بناء العصيان والطغيان على أساس اتّباع الشيطان، ونسيان النِعم وعدم الإصغاء إلى كلام الأنبياء الحكيم ومواعظهم السنيّة. وفي النتيجة، وبعد رسوبهم في الامتحان الإلهيّ، وبمكرٍ تدريجيّ أُخذت منهم النِعم الواحدة تلو الأخرى.

وفضلاً عن ذلك، تشير الآية الأخيرة إلى نكتةٍ وهي أنّ الإنسان الغارق في السعي خلف الرفاه يغفل عن اللّه بشكلٍ عامّ، وكذلك يزيد اللّه في غفلته، ويكون عكس الإنسان المضطرّ والمسكين الذي يفكّر في الرجوع إلى اللّه ويدعوه في مشكلات حياته ويطلب منه العون والمدد. الحاصل أنّه من خلال ما تمّ توضيحه، يمكن الجمع بين المجموعتين من الآيات المتعارضة ظاهرًا ورفع التناقض المتوهّم.

---

١. الأعراف: ٦٩.

٢. الأعراف: ٧٤.

٣. آل عمران: ١٩٦ـ١٩٧.

٤. النحل: ١١٢.

القيامة هي مكان العقاب والثواب الكامل

تمّت الإشارة إلى أنّ أحد أدلّة لزوم البعث والمعاد هو أنّه ليس للدنيا القدرة الكاملة على إثابة الصالحين ومعاقبة الطالحين؛ إذ تقع الدنيا ضمن إطار اليوم، الشهر، السنة والقرن ولا قدرة للمادّة الأساسيّة لجسم الإنسان أن تدوم لعدّة قرون؛ ولذلك توجب حكمة اللّه عالماً آخر من أجل تحليل عمل الإنسان وتصرّفاته حتى يبلغ كلّ صاحب حقٍّ حقّه بنحوٍ لائق.

آيات الجزاء والثواب الكامل

يشير القرآن المجيد في آيات عديدة إلى هذه الحقيقة؛ مثل:

١. ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾[١].

٢. ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢]

٣. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٣]

٤. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤]

على هذا الأساس، العقوبة للكافرين هي «تهديدٌ ووعيدٌ» بالعذاب، والثواب للمؤمنين هو «وعدٌ» بالجنّة، والعذاب والثواب سيكونان متناسبين مع عملهما، وسوف يتلقّى كلٌّ منهما ذلك على نحوٍ كامل.

الجزاء والثواب في الروايات

توجد الكثير من الروايات المندرجة في ذيل الآيات الآنفة الذكر والتي تحوي نكاتًا بارزة حول أصل الجزاء، دون أن تكون مختصّة بالمؤمن أو الكافر. من جملة ذلك، يقول الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ...﴾ ومن يغلل يأتِ بما غلّ يوم القيامة، من غلّ شيئًا رآه يوم القيامة في النار، ثمّ يُكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النار، ثم توفّى كلّ

---

١. النجم: ٣٩ـ٤١.

٢. الأحقاف: ١٩.

٣. البقرة: ٢٨١.

٤. آل عمران: ١٦١.

نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون».[١] لم تفرّق هذه الرواية بين الكافر والمسلم، فجزاء الخيانة مؤجّلٌ إلى يوم القيامة.

وفي إجابة الإمام الكاظم‌عليه‌السلام على سؤال إسحاق بن عمّار، عن الرجل يحجّ فيجعل حجّته وعمرته أو بعض طوافه لبعض أهله وهو عنه غائبٌ في بلدٍ آخر، فينتقص ذلك من أجر؟ يقول‌عليه‌السلام:

«هي له ولصاحبه وله أجرٌ سوى ذلك بما وصل، قلتُ (أي إسحاق): وهو ميّت هل يدخل ذلك عليه؟ قال: نعم، حتى يكون مسخوطًا عليه فيُغفر له، أو يكون مضيّقًا عليه فيوسَّع عليه، قلتُ: فيعلم هو في مكانه أنّه عُمل ذلك لحقه؟ قال: نعم، قلت: وإن كان ناصبًا ينفعه ذلك؟ قال: نعم، يُخفّف عنه».[٢]

ويُستنتج من هذا الحديث أنّ لأجر البرزخ وعقوباته شدّة وضعفًا، وبعضها سببٌ للتكامل ولتطهير روح الإنسان تدريجيًّا.

إشارة: تظهر سعة الرحمة الإلهيّة في العلل والعوامل والأحوال والأوضاع المتعدّدة، ورمزها وسرّها ليس واضحًا تمامًا، فإذا قام أحدٌ بالنيابة عن شخصٍ متوفّى بعملٍ خيريّ، أو أدّى عملاً من دون قصد النيابة، ومن ثمّ أهدى ثواب ذلك العمل إلى روح المتوفّى، فإنّ لذلك العمل أثرًا على المتوفّى، حتى لو لم يكن لأولياء المتوفّى سهمٌ في هذه النيابة أو إهداء الثواب. وهكذا يمكن مشاهدة سعة رحمة اللّه في زمن مرض الإنسان الصالح؛ كما يقول الإمام الصادق‌عليه‌السلام:

«إنّ رسول اللّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله رفع رأسه إلى السماء فتبسّم، فقيل له: يا رسول اللّه رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسمت؟ قال: نعم، عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبدًا صالحًا مؤمنًا في مصلّى كان يصلّي فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته، فلم يجداه في مصلاّه فعرجا إلى السماء فقالا: يا ربّ عبدك فلان المؤمن التمسناه في مصلاه لنكتب عمله ليومه وليلته فلم نُصِبه، فوجدناه في

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٠٦، ح٤١٧.

٢. ن.م.، ج٥، ص١٦٨، ح٨٧.

حبالك (أي مريضًا)؟ فقال اللّه عزّ وجلّ: اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحّته من الخير في يومه وليلته ما دام في حبالي، فانّ عليّ أن أكتب له أجر ما كان يعمله إذ حبسته عنه».[1]

كذلك جاء في حديثٍ آخر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إنّ المؤمن إذا غلبه ضعف الكِبَرَ أمر اللّه عزّ وجلّ الملكَ أن يكتب له في حالته تلك مثل ما كان يعمل وهو شابٌ نشيطٌ صحيح. ومثلُ ذلك إذا مرض وكّل اللّه به ملكًا يكتب له في سقمه ما كان يعمل من الخير في صحّته حتى يرفعه اللّه ويقبضه، وكذلك الكافر إذا اشتغل بسقمٍ في جسده، كتب اللّه له ما كان يعمل من شرٍّ في صحّته».[2]

يُستنتج من هذه الرواية أنّ اللّه يتّخذ من العمل المنجز في أيام شباب الإنسان مِلاكًا ومعيارًا للشيخوخة، ويجعل قيمة عبادة الشباب ومرحلة الشباب مِلاكًا ومعيارًا، وليست عبادة مرحلة الشيخوخة، وكذلك للكافر يجعل عمله السابق معيارًا.

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «حُمّى ليلة تعدل عبادة سنة، وحُمّى ليلتين تعدل عبادة سنتين، وحُمّى ثلاث ليال تعدل عبادة سبعين سنة...».[3]

وعدّ الإمام الصادق عليه السلام في حديثٍ آخر أموراً لها دور أساس في ترقية درجة الإنسان في عالم القبر والبرزخ، فعن عمر بن يزيد أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام:

«يُصلّى عن الميّت؟ فقال: نعم، حتى أنّه يكون في ضيقٍ فيوسّع اللّه عليه ذلك الضيق، ثمّ يؤتى فيقال له: خفّف اللّه عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك، قال: قلتُ له: فأشرك بين رجلين في ركعتين؟ قال: نعم. وقال عليه السلام: إنّ الميّت ليفرح بالتّرحم عليه والاستغفار له كما يفرح الحيّ بالهديّة. وقال عليه السلام: ستةٌ تلحق المؤمن بعد وفاته:

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٦٨، ح٨٨.

٢. ن.م.، ص١٦٩، ح٨٩.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٧٠، ح٩٣.

١. ولدٌ يستغفر له
٢. ومصحفٌ يخلفه
٣. وغرسٌ يغرسه
٤. وصدقة ماءٍ يجريه
٥. قوليب (بئرٌ) يحفره
٦. وسنّةٌ يؤخذ بها من بعده

وقال‌ﷺ: من عمل من المسلمين عن ميّتٍ عملاً صالحًا أضعف له أجره، ونفع اللّه به الميّت». [1]

إشارة: إنّ ما هو معتبرٌ بصفته أثرًا مفيدًا باقيًا ومستمرًا للميّت، لا يقتصر على الأمور السّتة المذكورة أعلاه، وما ذكر هذه الأمور الستّ إلاّ من باب التمثيل، وليس من باب التحديد والتعيين؛ ومعيار ذلك هو أيّ أثرٍ مفيدٍ لأوضاع المجتمع الإنسانيّ، حتى لو كان غير تلك الأمور الستّ المعهودة والمعروفة، ويمكن الاستدلال على ذلك بالآية الكريمة ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾[2] كأصلٍ جامعٍ وشامل.

مراحل الأجر والثواب

ليس لأجر ومجازاة الأعمال الصالحة أو السيّئة منزلة خاصّة بلحاظ الدنيا أو الآخرة، ووهو غير منحصرٍ في شخصٍ محدّد، فعلى أساس هذا الأصل الكليّ يمكن استنتاج الآتي:

أ) من الممكن أن يقوم امرؤٌ بعملٍ حسنٍ أو سيّئ ويرى أجره وعقوبته في الدنيا؛ كما ورد في القرآن: ﴿**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3]

ففي ذيل الآية يُذكر أصلٌ كليّ وهو أنّ الأعمال الحسنة تدور حول محور التقوى والصبر؛ كما جاء في آيةٍ أخرى: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[4].

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٧٠، ح٩٦.
٢. يس: ١٢.
٣. يوسف: ٩٠.
٤. البقرة: ٢٠١.

ويقول الإمام الصادقعليه السلام في تفسير الآية الأخيرة: «رضوان اللّه والجنّة في الآخرة والسِّعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا»[1]

ب) يصل الأجر والجزاء إلى الإنسان الموجود في عالم البرزخ، وبهذا الخصوص يوجد الكثير من الآيات؛ كما أنّ بعضها يتحدّث عن الأجر والرزق الذي حصل عليه الشهداء في سبيل اللّه في البرزخ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2].

بناءً على روايةٍ وردت في ذيل هذه الآية، فإنّ أجره الجنّة، وفي حديثٍ آخر أجره الحشر مع أصحاب بدرٍ، وفي حديثٍ ثالثٍ يكون رفيقًا مع النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله والنبيّ إبراهيمعليه السلام كأجرٍ له.[3]

فضلاً عن ذلك، تدلّ الروايات السابقة أيضًا على أنّ الصلاة وترحّم الإنسان واستغفاره على أرواح الأموات سوف يصله في القبر والبرزخ، وسيوسّع الضيق في عملهم ويخفّف من العذاب، حتى لو كان ناصبيًّا؛ لأنّ المحكوم عليهم بالنّار، حتى لو لم يكونوا من أهل الجنّة، ولكن من الممكن والمتصوّر أن يلحقهم تخفيفٌ في عذابهم.

ج) الأجر والجزاء الكامل سوف يظهر يوم القيامة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[4].

ويُعدّد الإمام الصادقعليه السلام الأدوات والأسباب المؤدّية إلى الأجر الأخرويّ الكامل، وكذلك أولئك الذين يملكون هذه الأدوات والأسباب، إذ يقول:

> «خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم، ومن خالِص الإيمان البرّ بالإخوان والسعي في حوائجهم، وإنّ البّار بالإخوان ليحبّه الرحمن، وفى ذلك مرغمةٌ للشيطان، وتزحزح عن النيران ودخول الجنان»[5].

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص١٩٩، ح٧٢٥.
٢. النساء: ١٠٠.
٣. *نور الثقلين*، ج١، ص٥٤١، ح٥٢٤ و...
٤. آل عمران: ١٨٥.
٥. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٢٠، ح٤٧٣.

والجدير بالذكر أنّ كلمة «زُحزح» لا تعني مطلق الابتعاد، بل ابتعادٌ يتطلّب مراقبة وانتباهًا باستمرار، ويجب على الإنسان أن يستجمع نفسه على الدوام ويراقب نفسه أكثر فأكثر، حتى يَعبرُ من قناة النّار ويصل إلى السعادة.

د) الأجر الذي أقرّه اللّه في جنّة عدن ومقام الرضوان «أو جنّة اللّقاء»، وهي فوق الجنّة ومقام أهل الجنّة المتوسّط والمعروف، ويقول القرآن حول هذا الأمر: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]

ويقول النبيّ ﷺ: «عدنٌ دار اللّه التي لم ترها عينٌ ولم تخطر على قلب بشرٍ، لا يسكنها غير ثلاثة: النبيّين والصّدّيقين والشهداء، يقول اللّه: طوبى لمن دخلك».[2]

---

١. التوبة: ٧٢,

٢. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٤١، ح٢٣٦.

الفصل السابع عشر

الميزان

الميزان في آيات القرآن والروايات

الميزان هو أداةٌ للقياس، وكلّ شيءٍ يُقاس بميزانٍ يتناسب مع ذلك الشيء. بناءً عليه، هناك ميزانٌ مناسبٌ لعقائد الإنسان وأخلاقه وأعماله أيضًا، كما يُستفاد ذلك من آياتٍ كثيرة في القرآن؛ مثل:

١ . ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[١].

ويجيب الإمام الصادقعليه السلام عن سؤال هشام عن قول اللّه عزّ وجلّ: «﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ قائلاًعليه السلام:هم الأنبياء والأوصياء»[٢].

على هذا الأساس، يتمّ تقويم عقائد النّاس وأخلاقهم وأعمالهم وقياسها بعقائد أنبيائهم وأوصيائهم وبأخلاقهم وأعمالهم.

٢ . ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٣].

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

«لا يتقدّم يوم القيامة أحدٌ إلّا بالأعمال، والدليل على ذلك قول رسول اللّهصلى الله عليه وآله: أيّها النّاس إنّ العربية ليست بأبٍ وجدٍّ، وإنّما هو لسانٌ ناطقٌ فمن تكلّم به فهو عربي،

---

١. الأنبياء: ٤٧.

٢. *نور الثقلين*، ج٣، ص٤٣٠، ح٧٧.

٣. المؤمنون: ١٠٢ـ١٠٣.

ألا إنّكم وُلد آدم وآدم من ترابٍ وأكرمكم عند اللّه أتقاكم، والدليل على ذلك قول اللّه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ قال: بالأعمال الحسنة، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، قال: من تلك الأعمال الحسنة، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾».[1]

ويتحدّث أمير المؤمنين‌عليه‌السلام حول أئمة الكفر وقادة الضّلالة قائلاً: «فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزنًا ولا يعبأ بهم، لأنّهم لم يعبأوا بأمره ونهيه يوم القيامة، فهم في جهنّم خالدون...»[2]

٣. ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[3].

سأل أحدهم الإمام الصادق‌عليه‌السلام:

«أوليس توزن الأعمال؟ قال: لا، لأنّ الأعمال ليست أجسامًا وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ اللّه لا يخفى عليه شيء، قال: فما معنى الميزان؟ قال: العدل قال: فما معنى في كتابه ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ قال: فمن رجح عمله».[4]

٤. ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[5].

يقول رسول اللّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: «خمسٌ ما أثقلهنّ في الميزان: «**سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر**»، والولدُ الصالح يُتوفّى لمسلمٍ فيصبر ويحتسب».[6]

تبصرة: إنّ مثل هذه الموارد من قبيل ذكر المصاديق المهمة، وإلّا طبقَ الشواهد الأخرى، هناك العديد من المصاديق للميزان في النقل.

---

١. *نور الثقلين*، ج٣، ص٥٦٣، ح١٥٢.

٢. ن.م.، ص٥٦٥، ح١٥٨.

٣. القارعة: ٦ـ٩.

٤. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٥٨، ح٥.

٥. الأعراف: ٨ـ٩.

٦. *نور الثقلين*، ج٢، ص٥، ح١٥.

٥. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[١].

ومن أجل أن يوضّح النبيّ ﷺ أنّ قيمة الإنسان بعمله الصالح فقط، وليس بالقوّة والذراع السميكة والجسم الضخم، يقول ﷺ: «إنّه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة».[٢] ويقول القرآن حول المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾[٣].

إشارة: جاء في بعض الآيات: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٤]، وفي بعض الآيات الأخرى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٥]؛ الآية الأخيرة ناظرةٌ إلى الكافرين الذين ليس لديهم أيّ عملٍ صالحٍ ليوزن. إنّ معيار دركاتهم ستتضّح بشكلٍ منفصل طبعًا؛ والآية الأولى ناظرةٌ إلى الموحّدين الذين عملوا عملاً صالحًا وارتكبوا عملاً طالحًا؛ لذا في كلا القسمين، لن يتمّ غضّ النظر عن مقدار حبّة خردلٍ، بخلاف الكافرين الذين ليس لديهم سوى العمل الطالح.

روايات الميزان والنكات البارزة

يُستفاد من الروايات الواردة حول الميزان نكاتٌ في مجال العقيدة، الأخلاق والأعمال وخِفّة الأشياء وثِقلها؛ مثل:

١. أثقل شيءٍ في الدنيا والآخرة هو «اللّٰه» تبارك وتعالى، ولا يوجد قيمةٌ أكثر ثقلاً منه تعالى. يقول الإمام الباقر ؏: «إنّ اللّٰه ثَقُل على أهل الدّنيا كثِقله في موازينهم يوم القيامة، وإنّ اللّٰه عزّ وجلّ خفّف الشرّ على أهل الدّنيا كخفّته في موازينهم يومَ القيامة».[٦]

(وجدت مثل هذا الحديث باختلافٍ بسيط ولكن مثير للريبة ويجعل كل ما طُرح أعلاه

١. الكهف: ١٠٥.

٢. *نور الثقلين*، ج٣، ص٣١٢، ح٢٥٢.

٣. المنافقون: ٤.

٤. الأنبياء: ٤٧.

٥. الكهف: ١٠٥.

٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٥٩، ح٦.

محل ترديد؛ والحديث هو موجود في كتاب الكافي وهو اقدم من تفسير نور الثقلين، وهو كالتالي:

عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن العلا، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن اللَّه ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة، وإن اللَّه خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة (٣) تبيين: «ثقل الخير على أهل الدنيا» أي على جميع المكلفين في الدنيا بأن جعل ما كلفهم به مخالفا لمشتهيات طباعهم وإن كان المقربون لقوة عقولهم وكثرة علومهم ورياضاتهم غلبوا على أهوائهم، وصار عليهم خفيفا، بل يلتذون به، أو المراد بأهل الدنيا الراغبون فيها والطالبون مع ذلك للآخرة، فهم يزجرون أنفسهم على ترك الشهوات، فالحسنات عليهم ثقيلة والشرور عليهم خفيفة».

تبصرة: ثِقل «اللَّه» يعني عظمة التوحيد، من ناحية الوجود العينيّ وعظمة الاعتقاد بذلك من الناحية العلميّة.

٢. الصّلاة على النبيّ محمّد وآله عليهم السلام، سببٌ لِثقل ميزان أعمال الإنسان في يوم القيامة. ينقل محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أو الصادق عليه السلام:

«ما في الميزان شيءٌ أثقل من الصّلاة على محمّدٍ وآل محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعمالُه في الميزان فيميل به، فيُخرج الصّلاة فيضعها في ميزانه فيرجّح».[١]

٣. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في مقطعين من خطابه العرفانيّ إنّ الشهادتين هما سبب ارتقاء العمل وتثّقيله في الميزان:

«وأشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خَفّ ميزانٌ تُرفعان منه، وثقُل ميزانٌ توضعان فيه». كذلك قال: «ونشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله شهادتين تُصعدان القول وترفعان العمل، لا يخفّ ميزانٌ توضعان فيه ولا يثقل ميزانٌ ترفعان منه».[٢]

---

١. ن.م.، ح٧.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٥٩، ح٨و٩.

٤. الخير والإحسان في الدنيا سببٌ لفلاح الإنسان، وسببٌ لثقل ميزان أعماله في الآخرة، كما أنّ الشرّ سببٌ للخفّة في الدنيا، وكذلك سببٌ لخِفّة ميزان الأعمال السيّئة في الآخرة أيضًا. وقد ورد عن الإمام الصادق‌عليه‌السلام: «إنّ الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة وإنّ الشرّ خفّ على أهل الدنيا على قدر خفّته في موازينهم يوم القيامة».[1]

٥. ويعتقد علماء الأخلاق أنّ لذكر «**لا إله إلّا اللّٰه**» الشريف مقامًا بارزًا من بين سائر الأذكار؛ ذلك أنّ أيًّا من حروفه لا تؤدّى من الشفاه (أي غير شفويّة)، بناءً عليه يمكن أن يؤدّى بعيدًا عن أيّ رياءٍ وتظاهر. ويعدّد النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله في حديثٍ عدّة ميزاتٍ لذكر «**لا إله إلّا اللّٰه**»:

أوّلًا، لا يُقبل عمل الإنسان من دون «لا إله إلّا اللّٰه»؛ فعمل الإنسان عبثيّ وبلا طائل إن فرغ من وحدانيّة اللّٰه. ثانيًا هذا الذّكر هو كلمة التقوى. ثالثًا، هو السبب في ثقل أعمال الإنسان يوم القيامة: عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب‌عليه‌السلام عن النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله في حديثٍ طويل في تفسير «سبحان اللّٰه والحمد للّٰه ولا إله إلّا اللّٰه واللّٰه أكبر»، أنّه قال‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: «وقوله لا إله إلّا اللّٰه يعني بوحدانيّته لا يقبل اللّٰه الأعمال إلّا بها، وهي كلمة التقوى يثقّل اللّٰه بها الموازين يوم القيامة».[2]

٦. يؤدّي التظاهر والرياء إلى خِفّة وزن أعمال الإنسان يوم القيامة. يقول الإمام الباقر‌عليه‌السلام: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه».[3]

٧. تُقاس أعمال الإنسان بأعمال الأئمّة الطاهرين وأمير المؤمنين‌عليهم‌السلام. سُئل الإمام الصادق‌عليه‌السلام عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾[4]؟ قال: «هو واللّٰه عليّ، هو واللّٰه الصراط والميزان».[5] وفي حديثٍ آخر قال‌عليه‌السلام: «نحن الموازين القسط»[6]؛ لذلك فإنّ

---

١. ن.م.، ح١٠.

٢. ن.م.، ح١٢.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٦٠، ح١٣.

٤. الأنعام: ١٥٣.

٥. *علم اليقين*، ج٢، ص١١٤٩.

٦. ن.م.

ارتفاع درجة الإنسان وقبول طاعاته بمقدار محبّته للأنبياء والأوصياء، وبحجم اتّباعهم في قولهم، عملهم وآثارهم وسنّتهم؛ وبالمقدار الذي يعتقد فيه الإنسان بالأنبياء والأئمّة، ويعتبرهم مبعوثين ومصطفين بالحقّ. على هذا الأساس فإنّ الأعمال التي تُقبل هي التي تكون مطابقة مع أعمالهم، والأخلاق والأقوال الحميدة والمرضية هي التي تتوافق مع أخلاقهم وأقوالهم، والعقيدة الحقّة هي التي تؤخذ عنهم، والعقيدة المرفوضة هي التي خالفوها. وكلّما اقترب الإنسان منهم، اقترب من الحقّ، وكلّما ابتعد عنهم يتبعد عن الحقّ.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ ميزان كلّ قومٍ هو نبيّ ذلك القوم ووصيّهم وبمقدار اتّباع طريق الأنبياء والأوصياء يمكن أن يجدوا السعادة ولقاء اللّه والجنّة.[١]

٨. إنّ مداد العلماء مُرجّحٌ على دماء الشهداء في سبيل اللّه؛ لأنّ التماهي مع الأنبياء وأوصيائهم في تعلّم العلم والحكمة أكبر من الوصول إلى مقام الشهادة العالي؛ لأنّ الحافز من بعثة الأنبياء (صلوات اللّه عليهم أجمعين) هو تعليم العلم والحكمة وتطهير النفوس. لقد بُعثوا من أجل تهذيب الأخلاق والنفوس والطباع الطاهرة والمطهّرة، وأمّا الدفع والدفاع عن ساحة الدين وحرمته بواسطة الجهاد فإنّه الهدف الثاني؛ ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة جمع اللّه النّاس في صعيدٍ واحدٍ ووُضعت الموازين فيُوزن دماءُ الشهداء مع مدادِ العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماءِ الشهداء».[٢]

٩. إنّ ثِقل الميزان وخِفّته في القيامة معيار كرامة الإنسان ولؤمه في المعاد؛ يعني إذا كان ميزان عمل امرىءٍ في القيامة ثقيلاً، فسوف يكون كريمًا في ذلك اليوم، وإلّا فسيعتبر لئيمًا. عن الإمام الصادق عليه السلام: قال سلمان رضي الله عنه في جوابه لرجلٍ: «...فإذا كان يوم القيامة ونُصبت الموازين فمن ثَقُلت موازينه فهو الكريم، ومن خفّت موازينه فهو اللئيم».[٣]

---

١. *علم اليقين*، ج٢، ص١١٥٠.

٢. *علم اليقين*، ص١١٦٢.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٦٠، ح١٤.

الفصل الثامن عشر

الصراط

الصراط في اللغة والقرآن والروايات

الصراط في اللغة يعني الطريق، ويتمّ تحديده وتعيين اتجاهه بواسطة «المضاف إليه»؛ مثل «الصراط المستقيم»، صراط الحقّ، صراط الشيطان، الصراط الملتوي، صراط الرحمن، صراط السعادة، صراط الدين و... وقد فرّق بعض المفسّرين بين «الصراط» و«السبيل»، واعتبر الصراط بمعنى الطريق المستقيم، واعتبر وصف الصراط بالاستقامة وصفًا توضيحيًّا، بخلاف السبيل التي تعني مطلق الطريق ويشمل كلا المستقيم والمنحرف، ويبدو أنّ هذا التفكيك مصحوبٌ ببعض الشواهد الصادقة، وقد جاء تحقيقه في تفسير «تسنيم».[1]

وفي الروايات، وُصف مثل هذا الطريق بأنّه يمرّ من فوق فُتحة جهنّم، وقد سُمّي بـ«جسر الصراط». أمّا في القرآن الكريم، فلا يوجد آيةٌ ذكرت هذا الاسم بوضوح، وتمّت الإشارة إليه في عدّة موارد فقط، ما عدا أنّ هناك رواياتٌ متعدّدة في ذيل كلّ آيةٍ تفسّر مضمونها. والآيات التي تتحدّث حول ذلك هي:

١. ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[2]، بناءً على هذه الآية فإنّه يجب على جميع النّاس أن يمرّوا من هذا المعبر، منتهى الأمر أنّ ثمّة مجموعة ستمرّ فوقه كالبرق، وأخرى تمرّ بحالةٍ ووضعٍ آخر، وفئةٌ سوف تسقط داخل جهنّم.

---

١. ج١، ص٤٦٦.

٢. مريم: ٧١ـ٧٢.

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

«النّاس يمرّون على الصراط طبقاتٍ، والصراط أدقّ من الشّعر ومن حدّ السيف. فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبوًا، ومنهم من يمرّ مشيًا، ومنهم من يمرّ متعلّقًا قد تأخذ النّار منه شيئًا وتترك شيئًا»[١].

٢. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[٢]؛ فالله محيطٌ بطريق العباد، لا يخفى عليه أيّ قولٍ أو عملٍ، ولا يضيعان عنده.

ويقول الإمام الصادقعليه السلام حول «المرصاد»: «المرصاد قنطرةٌ على الصراط لا يجوزها عبدٌ بمظلمة».[٣]

وروي عن ابن عباس في هذه الآية قال:

«إنّ على جسر جهنّم سبعُ محابس؛ يُسأل العبد عند أوّلها عن شهادة أن «لا إله إلا اللّه»، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثاني، فيُسأل عن الصّلاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثالث، فيُسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الرابع، فيُسأل عن الصّوم، فإن جاء به تامًّا جاز إلى الخامس، فيُسأل عن الحج، فإن جاء به تامًّا جاز إلى السادس، فيُسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى السابع، فيُسأل عن المظالم، فإن خرج منها وإلاّ يُقال: انظروا، فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنّة»[٤].

٣. ﴿..يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥].

عن ابن عباس في تفسيره الآية ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ أي:

---

١. *البحار*، ج٨، ص٦٤، ح١.

٢. الفجر: ١٤.

٣. *البحار*، ج٨، ص٦٤.

٤. *البحار*، ج٨، ص٦٤.

٥. التحريم: ٨.

«لا يعذّب اللَّه محمّدًا، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ لا يعذّب عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفرًا؛ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى﴾ يضيء على الصراط لعليّ وفاطمة مثل الدنيا سبعين مرّة، فيسعى نورهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، وهم يتبعونها، فيمضي أهل بيت محمّد وآله زمرة على الصراط مثل البرق الخاطف، ثمّ قومٌ مثل الريح، ثمّ قومٌ مثل عدو الفرس، ثمّ يمضي قومٌ مثل المشي، ثمّ قومٌ مثل الحبو، ثمّ قومٌ مثل الزحف، ويجعله اللَّه على المؤمنين عريضًا وعلى المذنبين دقيقًا، قال اللَّه تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ حتى نجتاز به على الصراط...».[1]

وينقل الإمام الباقر عليه السلام عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

«قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصّراط، فلم يجز أحدٌ إلّا من كان معه كتابٌ فيه براةٌ (براءةٌ) بولايتك».[2]

٤. ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[3]؛ يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

«إذا كان يوم القيامة ونصب الصّراط على جهنّم لم يَجُز عليه إلّا من معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب، وذلك قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4].

وبالأساس، في الإسلام الأصيل تتصل جميع المعارف والقيم العليا ببعضها؛ مثلاً إنّ ولاية عليّ بن أبي طالب غير منفصلة عن الصّلاة، والصّوم والحج، وكلٌّ منها غير منفصلٍ عن معرفة اللَّه والمعاد والرسالة والإمامة؛ ولهذا يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«هو الطريق إلى معرفة اللَّه عزّ وجلّ وهما صراطان: صراطٌ في الدنّيا وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصّراط الذي في الدّنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في

١. *البحار*، ج٨، ص٦٧.

٢. ن.م.، ص٦٦.

٣. الصافات: ٢٤.

٤. *نور الثقلين*، ج٩، ص٤٠٢، ح١٧؛ *البحار*، ج٨، ص٦٨.

الدّنيا واقتدى بهداه مرّ على الصرّاط الّذي هو جسـر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم».[١]

على هذا الأساس فإنّه يجب أن يجتاز المرء الصرّاط في الدنيا حتى يتمكّن من عبوره في الآخرة؛ أيّ أنّ الإنسان في حال العبور على الصّراط بشكل دائم، وهو في كلّ لحظة يتعرّض لمرصاد الحقّ تعالى، وتكون عقائده وأعماله في نظر اللّه والرسولﷺ دائمًا. بناءً على ما تقدّم، فإنّ مَن يسير على حدود الإسلام مثل مَن يسير على ما هو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف.

ويقول المرحوم الفيض الكاشانيّ في ذيل الحديث «إنّ الصراط جسرٌ على متن جهنّم يمرّ عليه الخلائق»[٢]

«فالصراط في هذه الدار الدنيا هو صورة الهدى التي أنشأتَهُ لنفسك من الأعمال القلبيّة، وهو هنا معنى كسائر المعاني الغائبة عن الحواسّ، لا يشاهد له صورة حسيّة، لكن إذا انكشف الغطاء بالموت، يمدّ لك يوم القيامة جسرًا محسوسًا على متن جهنّم، أوّله في الموقف وآخره على باب الجنّة، يعرف من يشاهده أنّه صنعتُك وبناؤك في الدنيا.

وبالجملة: فالصراط والمارّ عليه شيءٌ واحد، فإنّ المسافر إلى اللّه ـ أعني النفس ـ تسافر في ذاتها وتقطع المنازل والمقامات الواقعة في ذاتها بذاتها ـ يعني من سنخ اتّحاد السالك والمسلك ـ .[٣]

إشارة: ١ . صحيحٌ أنّ الطريق البرّيّ أو الفضائيّ أو البحريّ متمايز عن السائر فيه، ولكن الطريق الاعتقاديّة والأخلاقيّة ليست خارجة عن منطقة هويّة السائر؛ يعني على الرغم من أنّ الوجود اللفظيّ والكتبيّ للصرّاط خارجٌ عن وجود الإنسان السالك، إلاّ أنّ الوجود العينيّ له، أي الوجود الخارجيّ للدين لن يكون سوى العقيدة الصائبة والعمل الصالح الواقعين ضمن نطاق هويّة الإنسان المعتقد والمتعبّد.

---

١ . *البحار*، ج٨، ص٦٦.

٢ . *مفاتيح الغيب*، ص٦٤٦.

٣. *علم اليقين*، ج٢، ص١١٧٩.

٢. ينقسم الدين إلى قسمين: علميّ وعمليّ؛ ويستند قسمه العلميّ إلى اليقين المبرهن، وأمّا قسمه العمليّ، فإنّه يستند إلى العزم الراسخ، وإنّ تشخيص معارفه الأصيلة أكثر صعوبة من رؤية الشعر الدقيق، والاستقامة العمليّة أصعب من التحرّك على حدّ السيف، وهذا يمكن أن يكون معنى «**أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف**».[١]

١. ن.م.، ص١١٨١.

الفصل التاسع عشر

الأعراف وأصحابها

الأعراف في اللغة جمع «عُرف» بمعنى عُرف الديك والفرس، وكذلك يعني المكان المرتفع. وفي الاصطلاح يعني ذلك الموضع المرتفع أو الجدار العالي بين الجنّة والنّار، ويعبرّ عنه بالسور، الجبل، الحاجز، المقام أو التلّ المشرف، ولكن كما سوف يأتي يمكن أن تكون جميع هذه التعابير من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

الأعراف وأصحابها في القرآن

يتحدّث القرآن المجيد في عدّة آيات حول الأعراف وأصحابها:

١. ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[١].

٢. ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢]

٣. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٣].

٤. ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٤].

آراء المفسّرين حول الأعراف وأصحابها

قدّم المفسّرون من الشيعة والسنّة وجهات نظرٍ مختلفة حول الأعراف وأصحابها، والتي

---

١. الأعراف: ٤٦.

٢. الأعراف: ٤٧.

٣. الأعراف: ٤٨.

٤. الأعراف: ٤٩.

ينسجم بعضها مع الروايات بينما لا تنسجم أخرى، بل وتتعارض معها.

وقد ذكر الأستاذ العلّامة الطباطبائي‌رحمه‌الله وجهات نظرهم، إذ وصلت إلى ستّة أقوال في معنى الأعراف، وإلى اثنتي عشر مصداقًا لأهل الأعراف، واعتبرها جميعًا مجازفةً في غير محلّها:

١. الأعراف شيءٌ مشرفٌ على أهل الجنّة والنّار.

٢. سورٌ مثل تاج الديك.

٣. تلٌّ بين الجنّة والنّار يجلس عليه عدّةٌ من المذنبين.

٤. هو ذلك السور المضروب بين المنافقين والمؤمنين والذي أشارت إلي الآية: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾[١].

٥. الأعراف بمعنى التعرّف؛ يعني في يوم القيامة يتعرّف رجالٌ على أحوال النّاس.

٦. هو الصّراط نفسه.

أمّا الكلام حول أصحاب الأعراف والرجال الذين يكونوا على الأعراف، فهو كالتالي:

١. الرجال المذكورون أعلاه هم أشراف الخلق الممتازون بكرامة اللّه.

٢. هم مجموعةٌ استوت أعمالهم الصالحة والسيّئة، فلم يترجّح ميزان حسناتهم حتى يدخلوا الجنّة، ولا غلبت سيّئاتهم حتى يؤمروا بدخول النّار، فأوقفهم اللّه تعالى على هذه الأعراف؛ لكونها درجة متوسّطة بين الجنّة والنّار.

٣. هم أهل الفترة، يعني ذلك الزمن الواقع ما قبل زمن النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله وما بعده.

٤. هم المؤمنون من الجنّ.

٥. هم أولاد الكفّار الذين ماتوا قبل أوان البلوغ وحدّ التكليف.

٦. هم أولاد الزنا.

٧. هم أهل العجب والاغترار بالنفس في الدنيا.

٨. هم ملائكةٌ ينظرون إلى الأشخاص من أعلى الأعراف (في الحقيقة هؤلاء الملائكة قد تمثّلوا على شكل رجالٍ)، ويعرفون النّاس من وجوههم.

---

١. الحديد: ١٣.

٩. أنهم الأنبياء عليهم السلام يقامون عليها تمييزاً لهم على سائر الناس؛ ولأنّهم شهداء عليهم.
١٠. هم العدول في الأمم، وقد استقرّوا على الأعراف ليشهدوا على أممهم.
١١. هم الصالحون والفقهاء والعلماء.
١٢. أصحاب الأعراف عبارة عن العبّاس، الحمزة، عليّ وجعفر الطيّار، يجلسون على موضعٍ من الصّراط يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ويعرفون مبغضيهم بسوادها. وقد نقل الآلوسيّ هذا القول عن الضحّاك عن ابن عباس.[1]

ونُقل في تفسير المنار:

«وهذا القول ذكر الألوسيّ أنّ الضّحّاك رواه عن ابن عباس ولم نره في شيءٍ من كتب التفسير المأثور، والظّاهر أنّه نقله عن تفاسير الشّيعة، وفيه أنّ أصحاب الأعراف يعرفون كلاًّ من أهل الجنّة وأهل النّار بسيماهم، أي فيُميِّزون بينهم أو يشهدون عليهم، وأيّ فائدةٍ في تمييز هؤلاء السّادة على الصّراط لمن كان يُبغضهم من الأمويّين، ومن يُبغضون عليًّا خاصّةً من المنافقين والنّواصب؟ وأين الأعراف من الصّراط؟».[2]

ويقول العلاّمة الطباطبائي قدس سره:

«قال في المنار: ولم نره في شئ من كتب التفسير المأثور، والظاهر أنه نقله عن تفاسير الشيعة... أقول: أمّا الرواية فلا توجد في شيء من تفاسير الشيعة بطرقهم إلى الضحّاك، وقد نقله في مجمع البيان عن الثعلبيّ في تفسيره بإسناده عن الضحّاك عن ابن عباس...»[3]

وقد استنتج باستيفاء البحث في الآيات الشريفة أنّه من المقامات الكريمة الإنسانيّة التي تظهر يوم القيامة، وقد مثّله اللّه سبحانه بأنّ بين الدارين دار الثواب ودار العقاب حجابًا يحجز إحداهما من الأخرى ـ والحجاب بالطبع خارج عن حكم طرفَيه في عين أنّه مرتبطٌ بهما جميعًا ـ وللحجاب أعرافٌ وعلى الأعراف رجالٌ مشرفون على النّاس من الأوّلين

---

١. *روح المعاني*، ج٤، ص٣٦٣.
٢. *المنار*، ج٨، ص٣٨٥.
٣. *الميزان*، ج٨، ص١٢٧.

والآخرين يشاهدون كلّ ذي نفسٍ منهم في مقامه الخاص به على اختلاف مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم من أعلى علّيين إلى أسفل سافلين، ويعرفون كلاًّ منهم بما له من الحال الذي يخصّه والعمل الذي عمله، لهم أن يكلّموا من شاؤوا منهم، ويؤمنوا من شاؤوا، ويأمروا بدخول الجنّة بإذن اللَّه.

ويستفادُ من ذلك أنّ لهم موقفًا خارجًا من موقفي السعادة التي هي النجاة بصالح العمل، والشقاوة التي هي الهلاك بطالح العمل، ومقامًا أرفع من المقامين معًا؛ ولذلك كان مصدرًا للحكم والسلطة عليهما جميعًا.[١]

الأعراف في الروايات

١. عن سلمان قال:

«سمعت رسول اللَّهﷺ يقول لعليٍّ أكثر من عشر مرّات: يا علي، إنّك والأوصياء من بعدك أعرافٌ بين الجنّة والنّار، لا يدخل الجنّة إلّا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكركم وأنكرتموه».[٢]

٢. عن الإمام الباقر عليه السلام في هذه الآية: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ قال: «...هم آل محمّد عليهم السلام لا يدخل الجنّة إلّا مَن عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكرهم وأنكروه».[٣]

٣. وقد بيّن الإمام الباقر عليه السلام سرّ كون أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الأعراف، فقال:

«نحن الأعراف الذين لا يُعرف اللهُ إلّا بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكَرنا وأنكرناه، وذلك أنّ اللَّه لو شاء أن يعرّف النّاس نفسه لعرّفهم، ولكنّه جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه».[٤]

---

١. *الميزان*، ج٨، ص١٣٢-١٣٣.
٢. *البحار*، ج٨، ص٣٣٧، ح٩.
٣. *ن.م.*، ص٣٣٧، ح١٠.
٤. *ن.م.*، ص٣٣٨، ح١٦.

٤. وتوجد جماعة من غير أهل البيت عليهم السلام يُعدّون من أصحاب الأعراف؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«فأمّا في يوم القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء، ليكونّن على الأعراف بين الجنّة والنّار محمّدٌ وعليٌّ وفاطمةٌ والحسن والحسين عليهم السلام والطيّبون من آلهم، فنرى بعض شيعتنا في تلك العرَصَات ممّن كان منهم مقصّرًا في بعض شدائدها، فنبعث عليهم خيارَ شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذرّ وعمّار ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كلّ عصر إلى يوم القيامة، فينقضّون عليهم كالبزاة والصقورة، ويتناولونهم كما تتناول البزاة والصقورة صيدها فيزفّونهم إلى الجنّة زفًا».[١]

٥. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبةٍ له: «ونحن أصحاب الأعراف؛ أنا وعمّي وأخي وابن عمّي».[٢]

٦. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار، والرجال: الأئمّة صلوات اللّه عليهم يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة بلا حساب، فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[٣]، ثمّ يُقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النّار، وهو قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤]، ثمّ يقول لمن في النّار من أعدائهم هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا أن لا ينالهم اللّه برحمة. ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم: ﴿...ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٣٧ـ٣٣٨، ح١٣.

٢. ن.م.، ص٣٣٩، خ٢٠.

٣. الأعراف: ٤٦.

٤. الأعراف، الآيات٤٧ـ٤٨.

أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾»[١و٢].

والجدير ذكره أنّ الطائفة الثالثة هم الشيعة المذنبون الذين بمقتضى الجمع بين الروايات هم الذين ينتظرون أمر اللّه، فإمّا أن يُغفر لهم أو يُعاقَبوا. ولذلك يقول الشيخ المفيد رحمه الله موافقًا في ذلك رأي الشيخ الصدوق رحمه الله:

«...وقد جاء الحديث بأن اللّه تعالى يُسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقّوا بأعمالهم الحسنة الثواب من غير عقاب، ولا استحقّوا الخلود في النار، وهم المرجون لأمر اللّه، ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف حتى يُؤذن لهم في دخول الجنّة بشفاعة النبيّ وأميرالمؤمنين والأئمّة من بعده صلوات اللّه عليهم».[٣]

---

١. الأعراف، الآية٤٩.

٢. ن.م.، ص٣٣٥، ح٢؛ *نور الثقلين*، ج٢، ص٣٤، ح١٣٤ ذيل الأعراف: ٤٦ـ٤٩.

٣. *البحار*، ج٨، ص٣٤٠.

الفصل العشرون

الجنّة وطريق الوصول إليها

خصائص الجنّة وأهلها

لقد كرّس القرآن الكريم في مقام رسم صورة الجنّة وملامح أهل الجنّة وخصائصهما آياتٍ كثيرة؛ مثل:

١. حدائق مبهجة وميمونة تجري من تحتها الأنهار، وقد جاء هذا الوصف ٧٠ مرّة في القرآن الكريم.

٢. أشجارٌ وظلالها دائمة مثل فاكهتها: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾[١].

٣. الملائكة تدخل على أهل الجنّة ويسلّمون عليهم.[٢]

٤. لباسهم من حريرٍ وسندس.

٥. يتّكئون على مساند، لا يرون شمسًا محرقة ولا بردًا.

٦. تظلّل أشجار الجنّة رؤوس أهلها وفاكهتها في متناول أيديهم.

٧. يدور على أهل الجنّة سقاة جميلو الوجه وحور عينٍ بأيديهم كؤوس من الفضة والبلّور.

٨. يشربون أشربةً مزاجها كالزنجبيل والرحيق.

٩. في الجنّة عينٌ اسمها سلسبيل.

١٠. هو عالمٌ كبير وفير النعمة.

١١. لباس أهل الجنّة من استبرقٍ وأساورهم من فضّة.

---

١. الرعد: ٣٥.

٢. الرعد، الآية٢٣.

١٢. اللَّه هو ساقيهم الشراب الطاهر.[١]

١٣. تعلو وجوههم فرحة النِعم السماويّة.

١٤. شرابهم خالص ومختوم وغير ممسوس سابقًا.

١٥. مزاج طبيعة هذا الشراب أنّه مختومٌ بالمسك ومن العالم العلويّ[٢]: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾.

تبصرة: بعض عيون الجنّة خالصة، مثل عين تسنيم، وبعض العيون الأخرى مزيجٌ وتركيبٌ من التسنيم مثل عين رَحيق.

١٦. مياه الجنّة غير آسنٍ البتّة، ولا يتغيّر طعمه.

١٧. فيها أنهارٌ من الشراب الخالص هي لذّةٌ للشاربين وعيونٌ طعمها من اللّبن، لم يتغيّر طعمه وعيونٌ من عسلٍ مصفّى.[٣]

١٨. هي مكانُ أمنٍ، وأمانٍ وسلام.[٤]

١٩. لهم ـ أي لأهل الجنّة ـ فيها جميع أنواع الثمار، فضلاً عن عفو ربّهم ومغفرته.[٥] و﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦].

من الجدير ذكره أنّ القرآن في حديثه عن أوصاف الجنّة، وكذلك عن خصائص جهنّم، قد أشار إلى تلك المجموعة من المطالب التي يمكن للجميع أن يفهمها، فقد قرّب المطلب من خلال بيانه نماذج موجودة في هذا العالم وإلّا، وكما تمّت الإشارة مرارًا، فإنّ نظام الآخرة مختلفٌ بشكلٍ أساسيّ عن النظام الدنيويّ، ولا يمكن لكلمة دنيويّة أن تفسر كُنه ذلك العالم؛ كما أنّ الجنين في رحم أمّه لا يستطيع إدراك الوقائع الخارجيّة؛ ولذلك فقد اكتفى

---

١. الدهر: ١٢ـ٢١.

٢. المطفّفين: ٢٤ـ٢٧.

٣. محمّد: ١٥.

٤. الأنعام: ١٢٧.

٥. محمد: ١٥.

٦. الزخرف: ٧١.

القرآن في موارد كثيرة بالمثال والنموذج، ويقول: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[١] و﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾[٢]، وإلّا فقد تمّت تهيئة نِعَم خارجة عن متناول فهم البشر وإدراكهم، ولا قدرة لعقولهم على تعقّلها، بل لا يمكن لأيّ امرئٍ أن يعلم بها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وذلك بالرغم من أنّنا نعلم أنّ القرآن قد عدّ مقامَ ودرجةَ رضا اللّٰه أفضل مقام وأعلاه مقارنةً بالكثير من المقامات: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤].

على هذا الأساس، يجب أن تكون النعم واللذائذ اللانهائيّة، والتي هي نور القلب والبصر أفضل بدرجاتٍ من مقام الرضا.

إشارة ١. مقام الرضا هو أدنى من مقام التسليم المحض، وكمال التسليم أفضل من كمال الرضا. في هذا النوع من المقامات لا يوجد فرصةٌ ومجالٌ للتلذّذ والاهتمام بالمتعة وأمثال ذلك، بل المُتوفِّر هناك أرضيّة الانقطاع عمّا سوى اللّٰه وأفضل من ذلك، يعني كمال الانقطاع، وهذا الأمر خارجٌ عن نطاق البحث الحاليّ.

٢. كما أنّ للمتّقين الكُمَّل مقاماتٍ لا يُعلم ذُروتها، كذلك للمفسدين والمعاندين العاصين والشديدي الجحود دركاتٌ لا يُعلم عمق حُفرتها، ولا يمكن تصوّركيفيّة تعذيب أنفسهم الدنيئة في تلك الحفرة؛ وكما هو ظاهر الآية ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[٥]، فما لم يكن بإمكانهم تصوّره، وسوف يكشفه لهم اللّٰه، إنّما يُخبر عن مثل ذلك المكان السحيق.

الخِلقة الحالية للجنّة والنّار من منظار علم الكلام

قد يُطرح السؤال التالي هل الجنّة التي تمّ بيان بعض أوصافها وخصائها مخلوقةٌ الآن أم

١. الرعد: ٣٥.

٢. محمد: ١٥.

٣. السجدة: ١٧.

٤. التوبة: ٧٢.

٥. الزمر: ٤٧.

أنّها ستُخلق في المستقبل، أم أنّها وعدٌ من غير المعلوم تحقّقه؟

وقد شغل هذا السؤال ذهن العلماء منذ القِدم، وتمّ بحثه في مجال علم الكلام ونقده أحيانًا.

ويقول المحدّث الجليل الشيخ الصدوق عليه السلام:

«واعتقادنا في الجنّة والنّار أنّهما مخلوقتان، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة، ورأى النّار حين عرج به. ...وأما جنّة آدم، فهي جنّةٌ من جنان الدنيا، تطلعُ الشمس فيها وتغيب، وليست بجنّة الخلد، ولو كانت جنّة الخلد ما خرج منها أبدا»[1].

ويقول المتكلّم العظيم الشيخ المفيد عليه السلام:

«إنّ الجنّة والنّار في هذا الوقت مخلوقتان، وبذلك جاءت الأخبار وعليه إجماع أهل الشّرع والآثار، وقد خالف في هذا القول المعتزلة والخوارج وطائفة من الزيديّة، فزعم أكثر من سمّيناه أنّ ما ذكرناه من خلقهما من قسم الجايز دون الواجب».[2]

ويقول شارح المقاصد أيضًا:

«جمهور المسلمين (بما في ذلك الشيعة والسنّة) على أن الجنّة والنّار مخلوقتان الآن، خلافًا لأبي هاشم والقاضي عبد الجبار».[3]

وكذلك يقول العلاّمة المجلسيّ عليه السلام:

«وأمّا كونهما مخلوقتان الآن، فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلاّ شرذمةٌ من المعتزلة، فإنّهم يقولون: سيُخلقان في القيامة، والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم...»[4]

الخِلقة الحاليّة للجنّة والنّار في آيات القرآن

توجد آياتٌ كثيرة تدلّ على أنّ الجنّة والنّار موجودتان الآن؛ مثل:

---

١. *الإعتقادات في دين الإمامية*، ص٧٩.

٢. *أوائل المقالات*، ص١٢٤.

٣. شرح *المقاصد* (٤ـ٥)، ج٥، ص١٠٨.

٤. *البحار*، ج٨، ص٢٠٥.

١. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[١]. ويقول النبيّ ﷺ: «رأيتُ الوحي مرّةً أخرى عند سِدرة المنتهى التي يتحدّث تحتها الشيعة في الجنان».[٢]

وكذلك عنه ﷺ أنّه قال:

«فلمّا نظروا إليّ رحّبوا بي وقالوا يا محمّد، مرحبًا بك، فسمعتُ اضطراب ريح السدّرة وخفقة أبواب الجنّة وقد اهتزّت فرحًا بمجيئك، فسمعتُ الجنان تنادي واشوقاه إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين أجمعين».[٣]

٢. ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٤].

ويقول الهروي: قلت للإمام الرضا عليه السلام:

«يا ابن رسول اللّه، أخبرني عن الجنّة والنّار أهما مخلوقتان؟ فقال: نعم، وإنّ رسول اللّه ﷺ دخل الجنّة ورأى النّار لما عُرج به إلى السماء، فقلتُ له: إنّ قومًا يقولون إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين؟ فقال عليه السلام: لا هم منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد كذّب النبيّ ﷺ وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيءٍ، ويُخلّد في نار جهنّم، قال اللّه تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾، وقال النبيّ ﷺ: لما عُرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبِها فأكلتُه فتحوّل ذلك نطفةً في صُلبي فلمّا هبطّتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة، فحمِلت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحةِ الجنّة شممت رائحةُ ابنتي فاطمة».[٥]

٣. ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]؛ وقد قال أغلب المفسّرين في ذيل هذه الآية إنّ الجنّة مخلوقةٌ الآن، وهي تنتظر المتّقين.

---

١. النجم: ١٣ـ١٥.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٥٦، ح٤٢.

٣. ن.م.، ص١٥٧، خ٤٩.

٤. الرحمن: ٤٣ـ٤٤.

٥. *نور الثقلين*، ج٥، نص ١٩٦، ح٤٤؛ *البحار*، ج٨، ص١٩٩، ح٦.

٦. آل عمران: ١٣٣.

٤. ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[١].

٥. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢]؛ وكلمة ﴿أُعِدَّتْ﴾ كما ورد في بعض الكتب الكلاميّة أيضًا تشير إلى كون الجنّة مخلوقة بالفعل والنّار كذلك.[٣]

٦. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٤].

ويقول بعض المفسّرين:

اعلم، أنّ النّفس الانسانيّة بمقتضياتها الحيوانيّة أنموذج الجحيم ولهباتها وأنواع عذابها، فإنّ كان الإنسان الواقع في مقام النّفس، وهو الّذى يكون في الغيب من اللّه ومن الآخرة منقطعًا عن الولاية ومستورًا منه الوجهة الولويّة كان واقعًا في جهنّم وواقفًا عليها ومحاطًا بها، وإن لم يكن منقطعًا عن الولاية بأن كان مؤمنًا بها كانت عليه بردًا وسلامًا، ولم يحسّ بها أو أحسّ بها وبآلامها، لكن تكون تطهيرًا له عن شوائبه الغريبة، وكون النّفس الانسانيّة أنموذج الجحيم ووجوب عبور الإنسان عليها وعنها أحد وجوه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.[٥]

وهذا التفسير منسجمٌ مع الآية التي تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٦]، وفي الآخرة يقولون له إنّك كنت غافلاً عن كونك تأكل النّار، وها نحن الآن سنرفع الحجب، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.[٧]

إشارة: يُستفاد من بعض الآيات أنّ الإحاطة المذكورة، يعني إحاطة جهنّم بالكافر يوم القيامة؛ كما ورد في الآية ٥٥ من سورة العنكبوت التي جاءت بعد الآية محلّ الاستدلال

---

١. الحديد: ٢١.

٢. البقرة: ٢٤.

٣. *شرح المقاصد* (٤ـ٥)، ج٥، ص١٠٧، المبحث الخامس.

٤. العنكبوت: ٥٤.

٥. *بيان السعادة*، ج٣، ص٢١٠.

٦. النساء: ١٠.

٧. ق: ٢٢.

وهي: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، بناءً عليه لا تدلّ الآية ٥٤ على أنّ جهنّم موجودةٌ ومخلوقةٌ فعلاً الآن، ولكن في الآية ٤٩ من سورة التوبة تُطرح مسألة إحاطة جهنّم بالكافرين بشكلٍ مطلق ومن دون أن يصاحب ذكر القيامة مع ذلك؛ لأنّه قد ورد فيها ما يلي: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، وبما أنّ هاتين الآيتين ذات طبيعة إيجابيّة، فلا مجال لتقييد إحداهما بواسطة الأخرى؛ لأنّه لا يوجد تناقضٌ بين المطلق والمقيّد حتى يكون أحدهما مقيّدًا للآخر.

٧. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[١]؛ يعني أنّ الفجّار في جهنّم، ولا يمكن لأحدٍ منهم أن يبتعد عن النّار؛ أي أنّ نار جهنّم محيطةٌ الآن بالفجّار، ولو لم يتمكّنوا من إدراك احتراقهم. إذا كان المقصود من عدم الغيبة في الآية الأخيرة أنّ الفجّار يوم المعاد هم في الجحيم وأنّهم غير غائبين عنها، فلا يوجد دليلٌ على الوجود الحاليّ لجهنّم.

٨. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[٢].

نعم، أصحاب علم اليقين يرون جهنّم في هذه الدنيا، ولو لم تكن جهنّم موجودة ولم تكن قد خُلقت لما كان يمكن مشاهدتها؛ وكما ذكرنا سابقًا حول إيمان ويقين الحارثة بن نعمان الأنصاريّ الذي قال لرسول اللّهﷺ:

«وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، وكأنّي أسمع عواء أهل النّار في النّار، فقال له رسول اللّهﷺ: عبدٌ نوّر اللّه قلبه، أبصرت فأثبت. فقال: يا رسول اللّه، ادعُ اللّه لي أن يرزقني الشهادة معك، فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلاّ أيّامًا حتى بعث رسول اللّهﷺ سريّةً فبعثه فيها، فقاتل فقَتل تسعة أو ثمانية ثمّ قُتل».[٣]

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

---

١. الإنفطار: ١٣ـ١٤.

٢. التكاثر: ٥ـ٧.

٣. *أصول الكافي*، ج٢، ص٥٤، ح٣.

«ثلاث أعطين سمع الخلائق: الجنّة، والنّار، والحور العين، فإذا صلّى العبدُ وقال اللّهم أعتقني من النّار وأدخلني الجنّة وزوّجني من الحور العين قالت النّار: يا ربّ إنّ عبدك قد سألك أن تعتقه منّي فأعتقه، وقالت الجنّة: يا ربّ إنّ عبدك قد سألك إيّاي فأسكنه، وقالت الحور العين: يا ربّ إنّ عبدك قد خطبنا إليك فزوّجه منّا...»[١].

وهذا الحديث يبيّن بوضوح الخلق الحاليّ للجنّة والنّار وحور العين.

خِلقة الجنّة والنّار في الروايات

الروايات التي تتحدّث عن الجنّة وأهلها كثيرةٌ جدًّا بنحوٍ يحصل من خلالها العلم القطعيّ بخِلقتها حاليًّا. من هذه الروايات:

١. قال رسول اللّهﷺ:

«لمّا خلق اللّه عزّ وجلّ الجنّة خلقها من نور عرشه. فقذفه فأصابني ثلث النور، وأصاب فاطمة ثلث النور، ثمّ أخذ من ذلك النّور وأصاب عليًّا وأهل بيته ثلث النور، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمّد، ومن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمّد».[٢]

٢. عن النبيّﷺ قال:

«لمّا عُرج بي إلى السماء وانتهيت إلى السماء السادسة نوديت: يا محمّد، نِعم الأبُ أبوك إبراهيم، ونِعمَ الأخ أخوك عليّ، فلمّا صرت إلى الحجب أخذ جبرئيلعليه السلام بيدي فأدّخلني الجنّة، فإذا أنا بشجرةٍ من نور في أصلها ملكان يطويان الحليّ والحلل إلى يوم القيامة، قلتُ: حبيبي جبرئيل لمن هذه الشجرة؟ فقال: هذه لأخيك عليّ بن أبي طالبعليه السلام...»[٣].

---

١. *البحار*، ج٨، ص١٥٦، ح٩٤.

٢. ن.م.، ص١٨٨، ح١٥٨.

٣. ن.م.، ص١٨٩، ح١٦٠.

٣. قال رسول اللَّه‌ﷺ: «ليلةَ أُسري بي إلى السّماء أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنّة وأجلسني على درنوك من درانيك الجنّة، فناولني سفرجلة...».[١]

٤. وقال‌ﷺ:

«لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قيعان، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وربّما أمسكوا، فقلتُ لهم: ما بالكم قد أمسكتم؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: «سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر»، فإذا قال بنينا، وإذا أمسك أمسكنا».[٢]

٥. قال رسول اللَّه‌ﷺ: «السخاء شجرةٌ في الجنّة أصلُها، وهي مظلّةٌ على الدنيا، من تعلّق بغصنٍ منها اجترّه إلى الجنّة».[٣]

٦. يقول الإمام الصادق‌عليه السلام: «على باب الجنّة مكتوبٌ: الصّدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر».[٤]

٧. نقلاً عن الإمام الصادق‌عليه السلام أنّ رسول اللَّه‌ﷺ قال:

«من قال: «سبحان اللَّه» غرس اللَّه له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: «الحمد للَّه» غرس اللَّه له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: «لا إله إلا اللَّه» غرس اللَّه بها شجرة في الجنّة، ومن قال: «اللَّه أكبر» غرس اللَّه له بها شجرة في الجنّة، فقال رجلٌ من قريش: يا رسول اللَّه إنّ شجرنا في الجنّة لكثير! قال: نعم، ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها».[٥]

٨. قال رسول اللَّه‌ﷺ: «أُدخلت الجنّة فرأيتُ على بابها مكتوبًا بالذهب: «لا إله إلا اللَّه،

---

١. ن.م.، ح١٦٢

٢. *البحار*، ج٨، ص١٧٧، ح١٢٩.

٣. ن.م.، ص١٧٨، ح١٣٤.

٤. ن.م.، ص١٨١، ح١٤٠.

٥. ن.م.، ص١٨٧، ح١٥٤.

محمّدٌ حبيب اللَّه، عليّ وليُّ اللَّه، فاطمةٌ أمةُ اللَّه، الحسن والحسين صفوة اللَّه، على مبغضيهم لعنة اللَّه».[١]

٩. قال الصادق‌عليه‌السلام: «ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياءٍ: المعراج، والمساءلة في القبر، وخلق الجنّة والنار، والشفاعة».[٢] بناءً عليه، المقصود من الخلق الحاليّ للجنّة والنّار هو نظير تحقّق المعراج، وليس نظير تحقّق سؤال القبر الذي سيوجد في المستقبل.

١٠. عن الإمام الباقر‌عليه‌السلام أنّ النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قال:

«في قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٣] يعني وحَسُنَ مرجَعًا، فأمّا طوبى فإنّها شجرةٌ في الجنّة، ساقها في دار محمّدٍ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله،... على كلّ ورقة منها ملكٌ يذكر اللَّه، وليس في الجنّة دارٌ إلّا وفيه غصنٌ من أغصانها، وإنّ أغصانها لترى من وراء سور الجنّة، يحمل لهم ما يشاؤون من حليّها وحللها وثمارها...».[٤]

إذا كان المقصود هو الخلق الحاليّ، فلا أن يكون المنظور من بين آثاره في ظرف الوجود.

١١. ـ وأيضًا ـ أنّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله صلّى يومًا الصلاة، ثمّ ارتقى المنبر، فأشار بيده قِبل قبلة المسجد فقال: «قد رأيتُ الآن مذ صلّيت لكم الصلاة، الجنّة والنار متمثّلين من قِبل هذا الجدار...».[٥] طبعًا، صرف التمثّل وظهور حقيقةٍ في كسوة الوجود المثاليّ ليس دليلًا على وجودها العينيّ في نطاق الحسّ، حتى لو كان حسًّا برزخيًّا.

١٢. وعنه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله

«في حديث المعراج أنّه رأى في السماء الدنيا آدم أبا البشر‌عليه‌السلام، وكان عن يمينه

---

١. ن.م.، ص١٩١، ح١٦٧.
٢. *البحار*، ج٨، ص١٩٧، ح١٨٦.
٣. الرعد: ٢٩.
٤. *البحار*، ج٨، ص٢١٩، ح٢١٣.
٥. *علم اليقين*، ج٢، ص١٢١٨.

بابٌ يأتي من قِبله ريحٌ طيّبة، وعن شماله ريحٌ منتنة، فأخبره جبرئيلﷺ أنّ أحدهما هو الجنّة والآخر هو النار».[1]

منزلة الجنّة

الإنسان الذي يعيش في نشأة المادة والعنصر سوف تكون العديد من أحكامه وتوقّعاته هي أيضًا ذات طبيعة مادّيّة وعنصريّة، فهو يتصوّر لكلّ شيءٍ مكانًا مادّيًّا، وينظر إلى مسار جميع الأمور في سياق الزمان والمكان الطبيعيّين، فإن سُئل أين يقع مكان المسألة ٢+٢= ٤، أو مكان المعادلة $4GX = 9$؟ فسوف يجيب: هذه مسألةٌ رياضيّة أو معادلةٌ جبريّة، ولا يمكن أن يكون لها مكانٌ أو حيّزٌ محدّد. فالأمر الذي يتمتّع بجنبةٍ ميتافيزيقيّة يكون خارج نطاق التاريخ والمكان، بل إنّ العلوم البشريّة التى هي بالأساس مجرّدة ذاتًا عن المادّة وليس لها زمانٌ ومكان، وليست خارج الروح البشريّة؛ ولذلك فإنّه بخروج الروح من البدن، سوف تصاحبها العلوم أيضًا. وكذلك الأمر، فإنّ الجنّة وجهنّم خارج نطاق التاريخ الدنيويّ والزمان والمكان ولا يحيط بهما «قبل، بعد، متى وأين» الدنيويّة، وإذا ما أردنا تصوّرها، فيجب علينا الالتفات إلى تعابير القرآن الكريم وأحاديث المعصومينعليهم السلام، والقول: الجنّة عند سدرة المنتهى.

وفي الكثير من الأحاديث التي تمّت الإشارة إلى بعضها أعلاه، وردت عبارات «سدرة المنتهى»، «جنّة المأوى»، «العرش»، «الكرسيّ»، «المعراج» و«الملكوت» إلى جانب بعضها؛ يعني أنّ جميعها موجودٌ في السماوات. ويوجد العديد من وجهات النظر المتنوّعة حول العرش، من جملتها:

١. قالت المشبّهة: المُراد من العرش هو ذلك المعنى الظاهريّ، يعني أنّه مخلوقٌ شبيهٌ بالعرش ذي الركائز الأربعة، وتلك الركائز مستندة إلى السماء السابعة. والكرسيّ شبيهٌ بالعرش أيضًا، ولكنّنا نعلم أنّ العرش بالتأكيد هو شيءٌ آخر من منظار القرآن والأحاديث.

---

١. ن.م.

٢. وقالت جماعةٌ أخرى: العرش هو ذلك الفلك التاسع المحيط بعالم الأجسام ومحدّدها. من الواضح أنّه بانهيار أساس الأفلاك التسعة فسوف تبطل وجهة النظر هذه قهرًا طبعًا.

٣. أساسًا لا يوجد شيءٌ في الخارج اسمه العرش، وجملة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١] كنايةٌ عن سلطة اللّٰه العلميّة وقوّته وسيادته على عالم الخِلقة؛ يعني الآية ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٢] مثلاً في عين أنّها مثالٌ يمثّل إحاطة تدبير اللّٰه في مملكته، كذلك يدلّ على أنّ زمام جميع الأمور بيد قدرة اللّٰه وعلمه اللانهائيّ؛ ﴿هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٣].

٤. ينقل الكلينيّ‌رحمه‌الله أنّ الجاثليق سأل أمير المؤمنين‌عليه‌السلام، فقال: ...فأخبرني عن قوله:

«﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[٤] فكيف قال ذلك؟ ...فقال أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: ...وهو العلم الذي حمّله اللّٰه الحَمَلَة، وذلك نورٌ من عظمته ...وسأل الجاثليق: فأخبرني عن اللّٰه عزّ وجلّ أين هو؟ فقال أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا... فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم اللّٰه علمه...».[٥]

ويعتقد العلاّمة الطباطبائي‌رحمه‌الله والكثير من العلماء:

«وقوله‌عليه‌السلام ـ أمير المؤمنين ـ : هو ههنا وههنا وفوق وتحت «الخ»... وهذا يؤول إلى علمه الفعليّ بالأشياء، ...فأنتج ذلك أنّ الكرسيّ ويعني به العرش مقام الإحاطة والتدبير والحفظ، وأنّه مقام العلم والحضور بعينه... فالعرش هو الملكوت، غير أنّ الملكوت اثنان ملكوت أعلى وملكوت أسفل، والعرش لكونه مقام الإجمال وباطن البابين من الغيب...

---

١. طه: ٥.

٢. السجدة: ٤.

٣. التوبة: ١٢٩.

٤. الحاقّة: ١٧.

٥. *أصول الكافي*، ج١، ص١٢٩، ح١.

وعن حنّان بن سدير قال: سألت أبا عبد اللّهعليه السلام ـ جعفر الصادق ـ عن العرش والكرسيّ فقال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وضع في القرآن صفة على حدة فقوله: ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يقول: ربّ الملك العظيم، وقوله: «الرحمان ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يقول: على الملك احتوى، وهذا علم الكيفوفيّة في الأشياء. ...ثمّ العرش في الوصل مفرد عن الكرسيّ... لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسيّ...»[1].

وتوجبُ كثرةُ الروايات في هذا المجال القطع بأنّه ليس المراد من العرش والكرسيّ وأمثالهما المعنى الظاهريّ والمحسوس. على هذا الأساس، ما المانع من وجهة نظر الكثير من الروايات أن نعتبر الجنّة والنّار مصاحبةً للدنيا، وموجودتان قبل الدنيا وبعدها؛ كما رآها الحارثة بن مالك وأخبر عنها، وكذلك أخبر عنها النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرونعليهم السلام، ويقول القرآن: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[2]؛ لذلك قال المفسّرون أنّ ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ لا تعني أنّها ستُقرّب في المستقبل، وأنّ التعبير عن المستقبل بالفعل الماضي لأجل أن يكون المستقبل محقّق الوقوع في حكم الماضي، بل إنّه حقيقةٌ موجودةٌ وهذا الموجود الخارجيّ قد أصبح قريبًا. كذلك كلمة ﴿أُعِدَّتْ﴾.

وعن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن ـ الثالث، عليّ بن محمّد النّقيعليه السلام ـ فقلتُ:

«جعلتُ فداك في كلّ الأمور أرادوا (بنو العباس) إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك. فقال: ههنا أنت يا ابن سعيد؟ ثمّ أومأ بيده فقال: انظر فنظرتُ، فإذا بروضاتٍ آنقات، وروضاتٍ ناضرات، فيهنّ خيراتٌ عطرات، وولدانٌ كأنّهن اللؤلؤ المكنون، وأطيارٌ، وظباءٌ، وأنهارٌ تفور، فحار بصري والتمع وحسرت عيني، فقال: حيث كنّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك».[3]

---

١. *الميزان*، ج٨، ص١٦٥.

٢. ق: ٣١.

٣. *البحار*، ج٥٠، ص١٣٢، ح١٥، و٢٠٢، ح١١.

وقد ذكر العلاّمة المجلسيّ في ذيل هذا الحديث وجوهًا منها الوجه الرابع، حيث يقول:

«النشآت مختلفة والحواس في إدراكها متفاوتة، كما أنّ النبيّ كان يرى جبرئيل وسائر الملائكة والصّحابة لم يكونوا يرونهم، وأمير المؤمنين كان يرى الأرواح في وادي السلام وحبّة (حبّة العرني من أصحابه) وغيره لا يرونهم. فيمكن أن يكون جميع هذه الأمور (الحدائق، حور العين، الولدان، الطيور، الغزلان...) في جميع الأوقات حاضرة عندهم، ويرونها ويلتذّون بها، لكن لمّا كانت أجسامًا لطيفة روحانيّة ملكوتيّة لم يكن سائر الخلق يرونها، فقوّى اللّه بصر السائل بإعجازه حتى رآها... وهذا قريب من عالم المثال الذي أثبته الإشراقيّون من الحكماء والصوفيّة، لكن بينهما فرق بيّن».[١]

ويمكن القول إنّ الإمام العاشر الهادي قد أظهر في الواقع لصالح درجةً وزاويةً من الجنّة، وجعله يشاهد الملكوت، وفي حين أنّه كان يملك هذا البدن العنصريّ نفسه، إلاّ أنّه صاحب الإمام في سيره المعنويّ وعرج بروحه إلى ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ وعند ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾.

ويقول القرآن الكريم حول القيامة أيضًا: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[٢]، الكفّار يرون القيامة بعيدة، ولكنّنا نراها قريبة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[٣]؛ لأنّ الكافرين يقوّمون القيامة خلال الزمن، ويقولون: إن كان ذلك صحيحًا، فسوف تُخلق بعد زمن الدنيا وعندها ستقوم وتحدث. ولكن القرآن يقول إنّ الأمر ليس كذلك، ولو كان ثمّة صلاح لرأوا الآن ألسنة النار وعذاب أهل النّار، كما رأى الحارثة بن مالك ذلك وأخبر به.[٤]

بناءً لهذه النظرة، يجب عدم تقويم الجنّة وجهنّم والكثير من تعاليم الإسلام القطعيّة في إطار الزمان والمكان الدنيويّين. فهذه الأمور سماويّة وتتطلّب فكرًا سماويًّا ولن تُفتح

١. ن.م.، ص١٣٤ـ١٣٥.
٢. المعارج: ٦ـ٧.
٣. القمر: ١.
٤. *البحار*، ج٢٢، ص١٢٦.

أبواب السماء أبدًا للّذين حُرّمت عليهم؛ كما يقول القرآن الكريم حول المكذّبين بالآيات الإلهيّة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[١]. على هذا الأساس، المراد من السماوات هو ذلك المقام أو المقامات الإنسانيّة العالية التي وُضعت الجنّة فيها، لا أنّها هذا الفضاء المتّسع ومكان جريان المجرّات والأجرام المادّيّة، وإلّا لو كان المراد من السماء عالم الأجرام، فقد فتح أبوابها الكافرون اليوم ونفذوا إليها. بناءً عليه، أبواب السماوات ليست الأبواب الظاهريّة للفضاء، بل هي أبواب فضاء الملكوت الذي لن يُفتح أبدًا بوجه الكافرين.

ويقول الأستاذ العلّامة الطباطبائي:

«وكأنّ المجتمع البشريّ لم يصل بعد إلى تلك الدرجة من الرّشد والتكامل حتى يصبح بالإمكان تعليمهم رسميًّا حقيقة المعاد والمسائل المرتبطة به، مثل الجنّة، جهنّم، كيفيّة البرزخ، الوجود البرزخيّ، الجسم البرزخيّ، الجسم الأخرويّ، فكلّ مسألةٍ تحتاج إلى زمنٍ».[٢]

الغرض هو أنّه يجب أن لا نتصوّر الجنّة والنّار منفصلتين عن الإنسان، بل بمجرّد الموت تُرفع الحجب، فيرى الإنسان نفسه دُفعةً واحدة في جنّة وُسعها السماوات والأرض ومُعَدّة للإنسان: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[٣]

تبصرة: ذُكر سابقًا أنّ الجنّة المصاحبة للإنسان مرتبطة بجنّة الآخرة الكبيرة.

هذا في حين أنّ المشيّعين لم يعلموا بعد حتى يدفنوا جسد الميّت في القبر.

والجدير ذكره أنّ بعضًا اعتبر أنّ هذه المسائل الآنفة الذكر موجودةٌ في السماوات الظاهريّة وذلك على أساس هيئة بطليموس؛ ولهذا سعوا جاهدين في تبرير ذلك وتفسيره، وواجهوا الفتق والرتق؛ لأنّ الأفلاك التسعة الموهومة لم تكن تسمح لهم الورود. إذن كانوا يبذلون جهدهم بشقّ الأنفس، فيُغلبون أحيانًا ويَغلبون حينًا آخر، ولم يلتفتوا إلى سماء

---

١. الأعراف: ٤٠.

٢. بيان الأستاذ العلامة الطباطبائي.

٣. آل عمران: ١٣٣.

المعارف؛ وصحيح أنّهم كانوا ينظرون إلى السماء بسموٍّ ورفعةٍ، ولكنّهم اقتصروا في التعامل معها على السماوات الظاهريّة. من هنا، واجهوا مشكلاتٍ لا تعدّ ولا تُحصى. والمثير للدهشة أنّهم كانوا لا يزالون مشغولين بالبحث عن حلولٍ، وإذ بسقف هيئة بطليموس ينهار على رؤوسهم ليقولوا ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[1] من تحت حطام الأوهام.

ونختم نهاية هذا القسم بحديثٍ عن النبيّ الخاتمﷺ، نقلاً عن الإمام الصادقؑ أنّ النبيّﷺ قال:

«ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة، ومنبري على تُرعة من تُرع الجنّة وقوائم منبري رُبِّت في الجنّة، قال: قلتُ: هي روضة اليوم؟ قال: نعم، لو كُشُف الغطاء لرأيتم».[2]

بناءً عليه، ليس للجنّة مكانٌ يزاحم فيه عالم المادّة.[3]

أسباب الجنّة في آيات القرآن

من خلال البحث الإجماليّ في آيات القرآن النورانيّة يمكن ترسيم أسباب وأوصاف مصير أهل الجنّة، ومعرفة سبب ورودهم إلى الجنّة والتي تستحقّ جميعها الدقّة والتأمّل، ولكن البحث الكامل والشامل خارجٌ عن نطاق هذا الكتاب.

الأولى: الإيمان والعمل الصالح

خصّص عددٌ كبيرٌ من آيات القرآن للحديث عن الإيمان المطلوب والعمل الصالح، وما لذلك من دور مفتاحيّ في بحث الجنّة، مثل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[4] و﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

---

١. المؤمنون: ٩٩.

٢. *علم اليقين*، ج٢، ص١٢١٧ بنقلٍ عن الكافي، ج٤، ص٥٥٤، ح٣.

٣. ن.م.، ص١٢١٠.

٤. البقرة: ٢٥.

٥. البقرة: ٨٢.

وقد أوضح النبيّ الأكرمﷺ سرّ تسمية الجنّة، قال: فلم سُمّيت الجنّة جنّة؟ قال: «لأنّها جنينة خيرٍ نقيّة، وعند اللّه تعالى ذكره مرضيّة. قال عزّ من قائل ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾».[١] ويقول بعض المفسّرين إنّ أشجار الجنّة قد غطّت الجنّة كلّها، وفي تفسيرٍ آخر يقولون: سرّ تسميتها بالجنّة هو أنّها مغطاةٌ عن العيون وهي من ناحية الملكوت. ويمكن أن يكون الوجهان صحيحين طبعًا.

وفي آيةٍ أخرى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[٢]. وفي آيةٍ أخرى يعتبر اللهُ تعالى المؤمنين هم أفضل النّاس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٣].

وقال الإمام الصادقؑ لرجلٍ من الشيعة: أنتم أهل الرضا عن اللّه جلّ ذكره برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير. فإذا اجتهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البريّة، دياركم لكم جنّة وقبوركم لكم جنّة. للجنّة خلقتم وفي الجنّة نعيمكم والى الجنّة تصيرون.[٤] ومثل هذا المعنى ورد في آياتٍ أخرى.[٥]

الثانية: التقوى

التقوى هي وصفٌ للمتّقين، وفي الحقيقة إنّ التقوى غير منفصلة عن الإيمان والعمل الصالح؛ إلّا أنّ القرآن وعلى أساس بعض الميزات والرسائل الخاصّة، اختار لها كلماتٍ وأعطاها عنوانًا منفصلاً. وإنّ أكثر كرامةٍ وصفةٍ تحمل معها رسالة الجنّة وبشراها هي التقوى الإلهيّة، وقد نزلت آياتٌ كثيرة في هذا الشأن، مثل:

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٤.

٢. البروج: ١١.

٣. البيّنة: ٧ـ٨.

٤. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٤٥، ح١٩.

٥. النساء: ٥٧؛ يونس: ٩؛ ابراهيم: ٢٣.

١. ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[١].

يقول الإمام الصادق؈ في تفسير ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: «لا يحضْنَ ولا يحدثْنَ».[٢]

والجدير ذكره أنّ التقوى عبارة عن شيءٍ يُحفَظ الإنسانُ في شعاعها من خطر المعصية؛ فهي مثل: الملجأ، الدرع، القعلة والسور. وعلى ما يبدو أنّ الإنسان التّقي قد حفظ نفسه من شرّ الذنب وكلّ ما يضرّ بدينه في ظلّ حماية درع الدين وسوره. من هنا جاء في مفردات الراغب: «التّقوى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثِم وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات»[٣].

٢. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٤].

٣. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[٥].

٤. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.[٦]

٥. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.[٧]

٦. ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾.[٨]

إشارة: إنّ كون الباب مفتوحًا لهو نعمةٌ أخرى؛ لأنّه وإن كان لا يحقّ للغريب أن يدخل الجنّة، ولا يتركها الشخص المقبول والمقرّب أبدًا؛ ولكن نفس انفتاح الباب يصاحبه نوع من الحريّة، ويشكّل مصدرًا لإتمام النّعمة.

---

١. آل عمران: ١٥.

٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٢١، ح٥٨.

٣. *مفردات الراغب*، «و ق ى».

٤. المائدة: ٦٥.

٥. الرعد: ٣٥.

٦. الحجر: ٤٥.

٧. النحل: ٣٠ـ٣١.

٨. ص: ٤٩ـ٥٠.

وسأل يهوديٌّ عليًّا‌عليه السلام عن مسائل قال اليهوديّ: فأين يسكن نبيّكم من الجنّة؟ قال: في أعلاها درجةً وأشرفها مكانًا في جنّات عدنٍ، قال: صدقتَ واللَّه إنّه لبخطّ هارون وإملاءِ موسى.[١]

٧. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٢].

عن الإمام الصادق‌عليه السلام قال:

«أيّما عبدٍ أقبل قِبَل ما يحبّ اللَّه عزّ وجلّ، أقبلَ اللهُ قِبَل ما يحبّ ومن اعتصم باللَّه عَصِمه اللَّه ومن أقبل اللَّه قِبَله وعَصِمه، لم يبالِ لو سقطت السماء على الأرض أو كانت نازلةٌ نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة، كان في حزب اللَّه بالتقوى من كلّ بليّةٍ، أليس اللَّه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾».[٣]

٨. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٤].

وقال الصادق‌عليه السلام بعد أن ذكر التّقوى وفيه جُماع كلّ عبادةٍ صالحة، وبه وَصل مَن وَصل إلى الدّرجات العُلى، وبهِ عاش مَن عاش بالحياة الطيّبة، والأُنس الدّائم، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.[٥]

الثالثة: اتّباع اللَّه ورسوله‌صلى الله عليه وآله

١. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٦].

٢. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٧]

---

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٣٦٦، ح٩٧.

٢. الدخان: ٥١_٥٣.

٣. *اصول الكافي*، ج٢، ص٦٥.

٤. القمر: ٥٤_٥٥.

٥. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٨٦، ح٤١.

٦. النساء: ١٣_١٤.

٧. الفتح: ١٧.

الرابعة: الصدق والصادقين

الصدق، صدق العمل، وصدق القول من الصفات الحميدة البارزة، ومن دون شكّ من أسباب الدخول إلى الجنّة. واللّه تعالى يقول بهذا الخصوص: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[١]

أوصاف الصادقين

عدم الشكّ في إيمانهم، والجهاد بالمال والنفس في سبيل اللّه من صفات الصادقين.

وقد وردت أوصاف الصادقين في مورد آخر وفق الترتيب التالي:

١. الإيمان باللّه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾

٢. الإيمان باليوم الآخر: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

٣. الإيمان بالملائكة: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾

٤. الإيمان بالكتب السماويّة: ﴿وَالْكِتَابِ﴾

٥. الإيمان بالأنبياء: ﴿وَالنبيّينَ﴾

٦. إعطاء المال إلى الأقارب، عن اهتمامٍ ورغبة: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾

٧. إعطاء المال للأيتام: ﴿وَالْيَتَامَى﴾

٨. إعطاء المال للمساكين: ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾

إعطاء المال للمسافرين الذين تقطّعت بهم السُبُل: ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾

٩. إعطاء المال للسائلين المتعفّفين:﴿وَالسَّائِلِينَ﴾

١٠. إعطاء المال لعتق العبيد: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾

١١. إقامة الصلاة: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾

١٢. دفع الزكاة إلى مستحقّيها: ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

١٣. الوفاء بالعهد والميثاق: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾

١٤. الصبر في الصّعاب وعند الضّرر والمشقّات: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾

---

١. المائدة: ١١٩.

فأولئك الذين تحلّوا بهذه الأوصاف، هم الصادقون في القول حقًّا، والعاملون صدقًا، وهم المتّقون: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[١]

ويقول الإمام الصادقؑ: «كونوا دعاةً للنّاس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصّدق والورع».[٢]

والجدير بالذكر أنّ المرحوم الفيض في كتاب «المحجّة البيضاء» قد خصّص فصلاً طويلاً عن النيّة والإخلاص والصدق ودوّن بأجمل وجهٍ عن فضيلة الصدق وحقيقته ومعناه ومراتبه.[٣]

الخامسة: الإحسان

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤]

٢. ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥]

٣. ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٦].

يواجه قادة وروّاد أيّ دينٍ ومذهبٍ وقادة وأتباع النهضات والحركات الدينيّة مشكلاتٍ جمّة بطبيعة الحال، كما يعانون من مَراراتٍ كثيرة، والكثير من الخسائر والضربات، ويجب أن يتحمّلوا حالات الفشل، العذابات، السجون والنفي. انطلاقًا من ذلك، ومن خلال الالتفات إلى هذه الحكمة، يخصّص القرآن الكريم درجةً خاصّة للمقدامين السابقين في ميدان التوحيد، وقد أعرب عن رضاه عنهم وسعادته بهم في آياتٍ كثيرة.

---

١. البقرة: ١٧٧.

٢. *المحجة البيضاء*، ج٨، ص١٤٠.

٣. ن.م.، ج٨، ص١٠٢.

٤. الكهف: ٣٠ـ٣١.

٥. المائدة: ٨٥.

٦. التوبة: ١٠٠.

ويبيّن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه للزبيريّ في حديثٍ الحكمةَ الآنفة الذكر، وهذا الحديث في الواقع هو تفسيرٌ وتأويلٌ لآيات القرآن بنحوٍ جميلٍ وقابل للفهم العام: «يقول الزبيريّ، قلتُ للإمام الصادق عليه السلام: إنّ للايمان درجاتٍ ومنازل، يتفاضلُ المؤمنون فيها عند اللّه؟ قال: نعم، قلتُ: صفه لي رحمك اللّه حتى أفهمه، قال: إنّ اللّه سبّق بين المؤمنين كما يسبّق بين الخيل يوم الرّهان، ثمّ فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كلَّ امرئٍ منهم على درجةِ سبقه، لا ينقصه فيها من حقّه ولا يتقدّم مسبوقٌ سابقًا ولا مفضولٌ فاضلاً. تفاضل لذلك أوائل هذه الأمّة وأواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضلٌ على المسبوق، إذًا لَلَحِق آخرُ هذه الأمّة أوّلَها، نعم ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه، ولكن بدرجات الإيمان قدّم اللهُ السابقين وبالإبطاء عن الإيمان أخّر اللهُ المقصّرين، لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثرُ عملاً من الأوّلين وأكثرهم صلاةً وصومًا وحجًا وزكاةً وجهادًا وإنفاقًا، ولو لم يكن ثمّة سوابق يفضّل بها المؤمنون بعضهم على بعض عند اللّه، لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأوّلين، ولكن أبى اللّه عزّ وجلّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أوّلها، ويقدّم فيها من أخّر اللهُ أو يؤخر فيها من قدّم اللّه.

قلت: أخبرني عمّا ندب اللهُ عزّ وجلّ المؤمنينَ إليه من الاستباق إلى الإيمان، فقال: قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[1] وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[3] فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثم ثنّى بالأنصار، ثم ثلّث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قومٍ على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده...».[4]

---

١. الحديد: ٢١.

٢. الواقعة: ١٠ـ١١.

٣. التوبة: ١٠٠.

٤. *اصول الكافي*، ج٢، ص٤٠، باب السبق إلى الإيمان، ح١؛ *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٥٤، ح٢٨٢.

وقد ورد في ذيل الآيات المذكورة الكثير من الرّوايات عن الشيعة والسنّة والتي تعرّف الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام المصداق البارز للسابق في الإيمان؛ كما ورد: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في أثناء كلامٍ له في جمعٍ من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: فأُنشدكم اللّه أتعلمون حيث نزلت:

«﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سُئل عنها رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ فقال: أنزلها اللّه تعالى في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء اللّه ورسلُه وعليّ بن أبي طالب أفضل الأوصياء؟ قالوا: اللهم نعم».[1]

السادسة: الصبر في سبيل اللّه

يعرّف القرآن المجيد مجموعةً بأنّهم من ذوي العقول الخالصة: ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، والصابرون في سبيل اللّه منهم، ومن الآيات التي تبيّن موارد ثباتهم وصبرهم:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[2]

بناءً عليه فإنّ الصبر على الصعاب والمشقّات التي تظهر في سبيل اللّه تعتبر أحد أسباب الدخول إلى الجنّة.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبةٍ له:

«اللهم وإنيّ لأعلم أنّ العلم لا يأزر كلّه، ولا ينقطع موادُه وإنّك لا تُخلي أرضَك من حجّةٍ لك على خلقك، ظاهرٌ ليس بالمُطاع أو خائفٌ مغمور، كيلا تبطل حججك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم؟ أولئك الأقلّون عددًا، والأعظمون عند اللّه جلّ ذكره قدرًا، المتّبِعون لقادة الدين، الأئمّة الهادين، الذين يتأدّبون بآدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقةِ الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على

---

١. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٥٥، ح٢٨٣.

٢. الرعد: ٢٢ـ٢٤.

غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون، وأباه المسرفون. أولئك أتباع العلماء، صحِبوا أهل الدنيا بطاعة اللّه تبارك وتعالى وأوليائه، ودانوا بالتّقية عن دينهم والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلى، فعلماؤهم وأتباعهم خرسٌ صمتٌ في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحقّ وسيُحِقّ اللهُ الحقّ بكلماته ويمحقُ الباطل، ها، ها، طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا اللّه وإيّاهم في جنّات عدنٍ ومن صلُح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم».[1]

السابعة: إقامة الصلاة وحفظها

عدّ القرآن مقيمي الصلاة من زمرة أهل الجنّة؛ كما تمّت الإشارة إلى ذلك في الآية أعلاه: ﴿**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾، وكذلك يقول في آيةٍ أخرى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ**﴾.[2]

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«هذه الفريضة، من صلّاها لوقتها عارفًا بحقّها لا يؤْثِر عليها غيرها، كتب اللّه له براءةً لا يعذّبه، ومن صلّاها لغير وقتها مؤثِرًا عليها غيرها، فإنّ ذلك إليه إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه».[3]

الثامنة: الإنفاق في سبيل اللّه

عدّ اللّه تعالى في الآية السابقة الإنفاق سببًا من أسباب دخول الجنّة وقال: ﴿**أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾[4]، فإنّ هؤلاء حياة تتمّة ستكون في جنّات عدن، وسيتمتّع الصالحون من أبنائهم وأزواجهم بهذه المائدة العظيمة. كذلك يقول: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**

---

١. *أصول الكافي*، ج١، ص٣٣٥، باب نادر في حال الغيبة، ح٣؛ *نور الثقلين*، ج٢، ص٤٩٨، ح١٠٥.

٢. المعارج: ٣٤ـ٣٥.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤١٩، ح٣٩.

٤. فاطر: ٢٩.

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ... أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[١].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ثلاث خصالٍ من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: من صبر على الظلّم، وكظم غيظه واحتسب، وعفا وغَفَر، كان ممّن يدخله اللّه تعالى الجنّة بغير حساب...».[٢]

والجدير ذكره أنّ الإنفاق لا يتعلّق بالأمور المادّيّة والماليّة فقط، بل من أفضل الإنفاق في سبيل اللَّه، إنفاق العلوم محلّ حاجة المجتمع، علوم آل محمّد صلى الله عليه وآله وأحكامهم، تفسيرهم. وحول تفسير ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٣]، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وممّا علّمناهم يبثّون».[٤]

التاسعة: العبادة

الإيمان باللَّه وعبادته والتضرّع إليه، وخاصّة في الّليل عندما تكون جميع الأبواب موصدة إلّا باب رحمة اللَّه أمام العابدين والمصلّين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥].

وقد ورد عن سليمان بن خالد عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ألا أُخبرك بالإسلام أصلُه وفرعُه وذروةُ سِنامه؟ قلتُ: بلى جعلت فداك، قال: أمّا أصلُه فالصلاة، وفرعُه الزكاة، وذروةُ سنامه الجهاد، ثمّ قال: إن شئت أخبرتُك بأبواب الخير؟ قلتُ: نعم جعلت فداك، قال: الصومُ جُنّة، والصدقةُ تُذهب بالخطيئة، وقيامُ الرجل في جوف الليل يذكر اللَّه، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾»[٦].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

---

١. آل عمران: ١٣٤ـ١٣٦.

٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٩٠، ح٣٥٨.

٣. البقرة: ٣.

٤. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٢، ح١٣.

٥. السجدة: ١٦ـ١٧.

٦. *نور الثقلين*، ج٤، ص٢٢٨، ح٣٠.

«العبادة ثلاثة: قومٌ عبدوا اللَّه عزّ وجلّ خوفًا، فتلك عبادة العبيد، وقومٌ عبدوا اللَّه تبارك وتعالى طلبًا للثّواب، فتلك عبادة الأجراء، وقومٌ عبدوا اللَّه عزّ وجلّ حبًّا له، فتلك عبادةُ الأحرار، وهي أفضل العبادة».[١]

العاشرة: الإخلاص

الإخلاص إكسيرٌ يجعل كلّ عملٍ ملكوتيًّا ويُبعده عن متناول الشيطان. والإخلاص ملاذٌ لا يقترب منه إبليسٍ أو أيّ شيطان، حيث لا يهدد شعاع ميدان وسوساته ذلك المكان.

وقد أذعن إبليس بهذه الحقيقة، وفي حين أنّه أقسم أنّه سيلقي جميع بني آدم في مصيدة خداعه وحيلته، إلاّ أنّه خصّص حسابًا خاصًّا للمخلَصين واستثناهم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢].

وقد خصّص لهم اللَّه أيضًا أجرًا خاصًّا، حيث قال عزّ وجلّ أنّكم لن تروا سوى أجر ما تعملون، واللَّه قد خصّ المخلَصين والطاهرين بأجرْ عالٍ جدًّا: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.[٣]

ونقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قال في وصف أهل الجنة: [وأمّا قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ قال:] يعلمه الخدّام، فيأتون به أولياء اللَّه قبل أن يسألوهم إيّاه..».[٤]

الحادية عشرة: الاستقامة والثّبات

تعتبر الاستقامة والثّبات في سبيل اللَّه وأهداف الإسلام المجيدة من موجبات العزّة والكبرياء في الدنيا والآخرة:

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ

---

١. ن.م.، ص٢٢٨، ح٣١.

٢. ص: ٨٢ـ٨٣.

٣. صورة الصافات: ٤٠ـ٥٠.

٤. *نور الثقلين*، ج٤، ص٤٠٣، ح٢٨.

الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.[١]

ويقول الإمام الصادق‌ؑ في تفسير الآية أعلاه: «استقاموا على الأئمّة واحدًا بعد واحدٍ، تتنزّل عليهم الملائكة...».[٢]

وكذلك لأمير المؤمنين‌ؑ بيانٌ في ذيل هذه الآية بمنزلةٍ تفسيرٍ لها؛ إذ يقول:

«وقد قلتم ربّنا اللَّه، فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطّريقة الصالحة من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإنّ أهل المروق منقطعٌ بهم يوم القيامة».[٣]

ويقول أبو بصير، سألت الإمام الباقر‌ؑ عن معنى قول اللَّه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: «هي واللَّه ما أنتم عليه»[٤]؛ أي أقسم باللَّه أنّها ذلك الطريق والمسار الذي أنتم عليه؛ واتّباعكم لولاية أهل بيت العصمة‌ؑ وصمودكم على عقيدتكم.

وينقل الإمام الباقر‌ؑ في تفسير ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ حديثًا طويلاً عن رسول اللَّه‌ﷺ حاكيًا حال أهل الجنّة، إلى أن قال:

«وليس من مؤمن في الجنّة إلّا وله جنانٌ كثيرةٌ معروشاتٌ وغير معروشات، وأنهارٌ من خمرٍ وأنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ، وأنهارٌ من لبنٍ وأنهار من عسلٍ، فإذا دُعي وليّ اللَّه بغذائه أُتي بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمّي شهوته».[٥]

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٦]

اعتبر المفسّرون، وفق تتبّعهم للأحاديث، أنّ الاستقامة والثّبات على ولاية عليّ بن أبي

---

١. فصّلت: ٣٠ـ٣٢.

٢. *نور الثقلين*، ج٤، ص٥٤٦، ح٣٧.

٣. ن.م.، ح٣٩.

٤. ن.م.، ص٥٤١، ح٤٣.

٥. ن.م.، ص٥٤٨، ح٤٧.

٦. الأحقاف: ١٣ـ١٤.

طالبٍ والأئمّة الطاهرينعليهم السلام من أبرز المحاور التي تحتاج إلى القدرة على التحمّل، وقد أثبت التاريخ أنّ التضحية والصمود في سبيل ولاية المعصومينعليهم السلام لا يزال يصاحبها لغاية اليوم معظم المشاكل. ومن البديهيّ أنّه طبقًا للكلمة النورانيّة «**أفضل الأعمال أحمزها**»[١] ينبغي للملائكة ـ و لأجل اعطاء الأجر لهم ـ أن تتنزّل الملائكة على الماضين في درب الولاية والصامدين الثابتين على هذا الهدف الشريف، وأن يلاقوا أئمّة الدين ولا سيّما أمير المؤمنينعليه السلام عند الموت، وأن يخلَّدوا إلى الأبد في جنةٍ عنبرٌ خلقها ومزاجها. ﴿**طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾.

الثانية عشرة: الخوف والخشية من اللّٰه

الفرق بين الخوف والخشية هو أنّ «الخشية» عبارة عن الخوف من شيءٍ لما فيه من عظمةٍ وجلال، وقد قُصد التأثير العليّ لهذا الشيء؛ ولذلك يقول القرآن: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾.[٢] أمّا في الخوف لم يؤخذ هذا القيد بعين الاعتبار، لأنّه يُستخدم في العلل والأسباب العاديّة للضرر أيضًا، وفي بعض الموارد من القرآن، ذُكر الخوف من أمر اللّٰه ومقامه. على كلّ حال، سوف يكافىء الحقّ تعالى أولئك الخائفين في الدين أمر اللّٰه وذاته المقدّسة ويتّخذون جانبه، فيمليون إليه أكثر، وينفّذون أوامره، أجرًا شريفًا للغاية.

١ . ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾.[٣] يقول الإمام الباقرعليه السلام: «وأمّا المنجيات فخوف اللّٰه في السرّ والعلانية».[٤]

إشارة: إنّ تعدّد الجنّة وتكثّر الجنّات ممكنٌ بلحاظ الدرجة الوجوديّة؛ مثلاً هناك جنّة المعقول، وأخرى جنّة المحسوس، ومن الممكن أن يكون التعدّد بلحاظ أصناف نوعٍ واحدٍ من الجنّة مثلاً الجنّة الحسّيّة.

---

١. *البحار*، ج٦٧، ص١٩١، ح٢,
٢. فاطر: ٢٨.
٣. الرحمن: ٤٦.
٤. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٧٩، ح٥٢.

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.[١]

ونقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«أوتينا ما أُوتي النّاس وما لم يُؤتوا، وعُلّمنا ما يعلم النّاس وما لم يعلموا، فلم نجد شيئًا أفضل من خشية اللّه في المغيب والمشهد، والقصد في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضا والغضب، والتضرع إلى اللّه تعالى على كلّ حال».[٢]

٣. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.[٣]

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من علم أن اللّه يراه ويسمع ما يقول، ويعلم ما يعمله من خيرٍ أو شرٍّ، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى».[٤]

وكذلك قال عليه السلام: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيءٌ أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم».[٥]

الثالثة عشرة: الإحسان

١. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.[٦]

٢. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.[٧]

وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«كلّ ما في كتاب اللّه عزّ وجلّ من قوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾، فوالله ما أراد به إلّا عليّ بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين، لأنّا نحن أبرارٌ بآبائنا وأمّهاتنا وقلوبنا عملت

---

١. الملك: ١٢.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٣٨٢، ح٢٦.

٣. النازعات: ٤٠ـ٤١.

٤. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٠٧، ح٤٤.

٥. ن.م.، ص٥٠٨، ح٤٩.

٦. الإنسان: ٥ـ٦.

٧. المطفّفين: ٢٢ـ٢٣.

بالطّاعات والبرّ، ومبرّأةٌ من الدنيا وحبّها، وأطعنا اللّه في جميع فرائضه وآمنّا بوحدانيّته وصدّقنا برسوله».[١]

ومن البديهي أنّ إيثار أهل البيت﵈ وإحسانهم بنحوٍ أنّهم يهبون طعامهم المحبوب إلى مسكينٍ ويتيمٍ وأسيرٍ، وهم يعانون شدّة الجوع والصوم؛ كما يقول اللّه تعالى عنهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٢]؛ ويُجمع جميع المفسّرين على أنّ هذا الإحسان والإيثار هو في شأن عليّ، وفاطمة، والحسن والحسين﵈.

وبناءً على القاعدة العامة المُستفادة من كلام الإمام الحسن المجتبى﵇، نرى أنّ القرآن المجيد قد مدح «الأبرار» في عدة موارد:

١. ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.[٣]

٢. ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾.[٤]

٣. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.[٥]

٤. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.[٦]

٥. ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.[٧]

٦. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.[٨]

الرابعة عشرة. القلب المطمئن

القلب المطمئن بذكر اللّه، يصبح قويًّا وساكنًا ويرجع في النهاية إلى اللّه والجنّة الإلهيّة الخاصّة:

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٣٣، ح٣٣ و ص٥٢٦، ح٢٧ و ص٤٧٣، ح٢٢.

٢. الإنسان: ٨.

٣. آل عمران: ١٩٣.

٤. آل عمران: ١٩٨.

٥. الإنسان: ٥.

٦. الانفطار: ١٣ـ١٤.

٧. المطفّفين: ١٨.

٨. المطفّفين: ٢٢ـ٢٣.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.[١]

وهذا الكلام الجميل والمبهج يجعل من كلّ إنسانٍ ينجذب إلى بحر الرحمة واللطف اللامحدود، ويوله به، ويستنير القلب بذكر ذلك المنزل المرغوب والجذّاب والمبهج.

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

«...أنّه إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك فيقول ملك الموت: يا وليّ اللّه لا تجزع، فوالذي بعث محمّدًا لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والدٍ رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: ويمثل له رسول اللّهصلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذريّتهمعليهم السلام، فيُقال له: هذا رسول اللّه وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّةعليهم السلام رفقاؤك، قال فيفتح عينيه فينظر فينادي روحَه منادٍ من قِبَل ربّ العزّة فيقول: يا أيّتها النّفس المطّمئنة إلى محمّد وأهل بيته، ارجعي إلى ربّك راضيةً بالولاية مرضيّةً بالثواب، فادخلي في عبادي يعني محمّد وأهل بيته، وادخلي جنّتي فما من شيءٍ أحبّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي».[٢]

الخامسة عشرة: الهجرة والجهاد

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٣]؛ ويُلاحظ هذا المضمون أيضًا في آيةٍ أخرى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[٤]

ويعتبر المفسّرون في تفسير هذه الآية أنّ أمير المؤمنينعليه السلام هو المصداق الأكمل للهجرة والجهاد.

---

١. الفجر: ٢٧ـ٣٠.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٧٧، ح٢٨.

٣. التوبة: ٢٠.

٤. التوبة: ٨٨ـ٨٩.

وينقل الإمام الصادقعليه السلام أنّه قيل لعليّ بن أبي طالبعليه السلام:

«يا أمير المؤمنين أخبرنا بأفضل مناقبك، قال: نعم، كنت أنا وعباسٌ وعثمانٌ بن أبي شيبة في المسجد الحرام، قال عثمان بن أبي شيبة: أعطاني رسول اللّٰهصلى الله عليه وآله الخزانة يعني مفاتيح الكعبة، وقال العبّاس: أعطاني رسول اللّٰهصلى الله عليه وآله السقاية وهي زمزم، ولم يعطِك شيئًا يا عليّ، قال: فأنزل اللّٰه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾.[١]

السادسة عشرة: الشهادة والتضحية بالنفس

تُعتبر الشهادة في مدرسة الإسلام من أعلى المقامات والدرجات التي يمكن للبشر أن يدركوها؛ والقرآن كما تمّت الإشارة إليه سابقًا، جعل للشهداء مقام «العنديّة»: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢]، يعني تلك الجنّة التي ذُكرت بعنوان «عند الرّب» (لقاء اللّٰه) وقد شرّفهم بمثل تلك الدرجة.

ويقول القرآن في موضع آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[٣]

وعندما نزلت الآية الآنفة الذكر، قام رجلٌ إلى النبيّصلى الله عليه وآله فقال: يا نبيّ اللّٰه أرأيتُك الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يُقتَل، إلاّ أنّه يقترف من هذه المحارم، أشهيدٌ هو؟ فأنزل اللّٰه عزّ وجلّ على رسوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] ففسّر النبيّصلى الله عليه وآله المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنّة، وقال:

---

١. *نور الثقلين*، ج٢، ص١٩٤، ح٨٢.

٢. آل عمران: ١٦٩.

٣. التوبة: ١١١.

٤. التوبة: ١١٢.

«التائبون» من الذنوب، «العابدون» الذين لا يعبدون إلّا اللّٰه ولا يشركون به شيئًا، «الحامدون» الذين يحمدون اللّٰه على كلّ حال في الشّدّة والرخاء و ﴿السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ﴾ الذين يواظبون على الصلوات الخمس الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها والخشوع فيها وفي أوقاتها، ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بعد ذلك والعاملون به ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ والمنتهون عنه، قال: فبشّر من قُتل وهو قائمٌ بهذه الشرائط بالشهادة والجنّة».[1]

وجاء في تفسير مجمع البيان:

«والجهاد قد يكون بالسيف، وقد يكون باللسان، وربما كان جهاد اللسان أبلغ؛ لأنّ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه، والدعاء إلى الدين يكون باللسان أوّلًا، والسيف تابعٌ له... وقد قال النبيّ: «يا عليّ! لئن يهدي اللّٰه على يديك نسمة، خير مما طلعت عليه الشمس»... وكان الصادق يقول: «أَيَا من ليست له همّة! إنّه ليس لأبدانكم ثمنٌ إلّا الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها»».[2]

وطبقًا لقول بعض مفسّري الآيات الآنفة الذكر وخاصّةً الآية الثانية، أنّها شاملةٌ وجامعةٌ لأمّهات منازل وأسفار السالكين إلى اللّٰه، وتحوي جميع مقامات السالكين لهذا الطريق.[3]

السابعة عشرة: بناء النفس والتزكية

من الثابت في علم الأخلاق أنّه إن لم يطهّر الإنسان نفسه وينظّف مرآة قلبه من الغبار والكدورات، فلن يتحلّى بزينة الأخلاق والقيم. وأصل جميع هذه القيم والمصدر الأساس والمنشأ لجميعها هو القرآن الحكيم، وعلى الرّغم من أنّ الكثير من آياته ناظرةٌ إلى تهذيب الروح، ولكنّه أنزل أكثر من ٦٠ آية حول التزكية؛ من جملة ذلك: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

---

١. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٧١، ح٣٥٧.

٢. مجمع *البيان*، ج٥ـ٦، ص١٢٩.

٣. *تفسير بيان السعادة*، ج٢، ص٢٨١.

الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.[١]

وقد سأل عمّار الساباطي الإمام الصادقعليه السلام عن قول اللّه:

> ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ...﴾[٢] فقال: هم واللّه يا عمّار درجات المؤمنين عند اللّه، وبموالاتهم وبمعرفتهم إيّانا يضاعف اللّه للمؤمنين حسناتهم، ويرفع لهم الدّرجات العلى... .[٣]

الثامنة عشرة: التولّي والتّبري

إنّ التودّد والتولّي لأحباء اللّه وأوليائه وإظهار العداوة لأعدائه من الأسباب الأخرى لدخول الجنّة. وقد أثنى اللّه سبحانه على التعامل بوجهٍ ولونٍ واحدٍ دون مراوغة، من أنّ الحكيم الذي ذمّ النفاق والتلوّن بشدّة؛ ولذلك يقول: **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.[٤]

ويقول النبيّصلى الله عليه وآله:

> «..ألا إنّ أعداء عليّعليه السلام هم أهل الشّقاق هم العادون وإخوان الشياطين الذين **﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾**[٥]، ألا إنّ أولياءهم الذين ذكرهم اللّه في كتابه المؤمنون، فقال عزّ وجلّ: **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾**.[٦]

ويقول الإمام الباقرعليه السلام والإمام الصادقعليه السلام في تفسير **﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾** أنّ ذلك الروح

---

١. طه: ٧٥ـ٧٦.

٢. آل عمران: ١٦٢.

٣. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٠٦، ح٤٢٠.

٤. المجادلة: ٢٢.

٥. الأنعام: ١١٢.

٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢٦٨، ح٥٦.

الإلهيّ هو «الإيمان».[١] ومن الواضح أنّ معظم الموارد الآنفة الذكر هي من سنخ الجري والتطبيق على المصاديق، فالمصداق الكامل لهذه الموارد هم أهل بيت العصمة عليهم السلام.

التاسعة عشرة: الصفات الحسنة

يشير القرآن الكريم في بعض الآيات إلى بيان بعض الحالات النفسيّة للإنسان، حيث إنه خُلق حريصًا وغير صبور، فإن أصابه شرٌّ وضررٌ يضطرب بشدّة، وإذا ما حصّل مالاً وسلطةً بَخُلَ ولم يُحسن، إلاّ عدّة فئات مستثناةٌ من ذلك، وهم:

١. مقيمو الصلاة، وهم الثّابتون على صلاتهم.

٢. أولئك الذين يعطون من أموالهم ما فيه حقّ معلوم (مثل الخمس، الزكاة و...) إلى السائلين والمحرومين.

٣. أولئك الذين يؤمنون باليوم الآخر.

٤. أولئك الذين يخافون عذاب ربّهم.

٥. أولئك الذين يحافظون على فروجهم طاهرة من الشهوة، إلاّ على أزواجهم وإمائهم.

٦. أولئك الذين يحافظون على أماناتهم وعهودهم ومواثيقهم.

٧. أولئك الذين يحافظون على صلاتهم.

٨. أولئك الذين يقومون للشهادة بالحقّ ويثبتون على ذلك.

وجميع هذه الفئات سوف يتمّ تقديرها في جنّات من الجنّة.[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ اللّه تعالى فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضةً لا يُحمدون إلاّ بأدائها وهي الزكاة، بها حقنوا دماءهم وبها سُمُّوا مسلمين، ولكن اللّه تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقًا غير الزكاة، «فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾،

---

١. ن.م.، ج٥، ص٢٦٨، ح٥٦.

٢. المعارج: ١٩ـ٣٥.

فالحقّ المعلوم غير الزكاة، وهو شيءٌ يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله». وفي حديثٍ آخر قال: «يصل به رحمًا ويقويّ به ضعيفًا ويحمل به كلاًّ أو يصِل به أخًا له في اللّه. وإن شاء في كلّ جمعة وإن شاء في كلّ شهر».[١]

والجدير ذكره أنّه إذا ما بحثنا أكثر في القرآن، سوف نجد آياتٍ أكثر تبيّن أسباب الدخول إلى الجنّة، أمّا الروايات فقد عدّدت الكثير من أسباب الدخول إلى الجنّة، لا مجال هنا لبيانها، إلاّ أنّنا سنتعرّض لبعضٍ منها.

أسباب الجنّة في الروايات

إنّ روايات أهل البيت عليهم السلام هي الموضّحة والمفسّرة لآيات القرآن الكريم النورانيّة، وقد أوردنا في هذا الكتاب في ذيل كلّ آيةٍ روايةً أو عدّة رواياتٍ مناسبة مع المقام، ومع ذلك يتمّ في بعض الروايات التأكيد والتركيز بشدّة على الإظهار الكامل لموضوعٍ هو محلّ اهتمامٍ جدّيّ.

إشارات:

١. الكثير من الأحاديث المأثورة لم يتمّ بحثها من ناحية رجال السند، ولم يتمّ الجرح والتعديل في الرواة.
٢. بعض هذه الروايات مقطوعٌ، مرفوعٌ، موقوفٌ، مرسلٌ أو مسند ضعيف، وبعضها الآخر تتمتّع بموثوقيّة نسبيّة.
٣. لعدم حجّية الخبر الواحد في غير الفروع الفقهيّة بحثه الخاصّ به.

الغرض من ذلك أنّه من الضروريّ الالتفات إلى هذه المطالب في البحث الروائيّ. ولن يكون إدّعاء التواتر الإجماليّ من مجموعها مجازفةً، فضلاً عن الاستفادة من المطالب الموثوقة. ومن الأسباب الموجبة للجنّة الواردة في الروايات:

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤١٦، ح٢٣ و٢٦.

التوحيد، الولاية والإخلاص، من أهم الأسباب

١. يبدأ نبيّ الإسلامﷺ رسالته بجملةٍ جميلة، جذّابة وسارّة: «قولوا لا إله إلاّ اللَّه تفلحوا»[١]. وهذه الجملة الجميلة المحاطة بالقداسة تتلألأ تمامًا وتزداد تألّقًا كلّ يومٍ مع مرور الزمن وإشعاعًا مذهلاً، فالعالم الذي أصمّت أذناه وأعمت عيناه بريق الصناعة وسحرها، يشعر اليوم جيّدًا بالحاجة إلى هذا الجوهر النادر.

نعم، هذه الكلمة مع الشروط المصاحبة لها، هي مستتبعة للجنّة؛ إذ يقول نبيّ الإسلامﷺ: «التوحيد ثمن الجنّة».[٢] وكذلك يقولﷺ: «فبالتّوحيد حُرّم أجساد أمّتي على النّار»[٣]، وقد ورد مفاد هذا الحديث أيضًا عن الأئمّةعليهم السلام.

وورد عن الإمام الثامن الرضا (عليه آلاف التحية والثناء) أنّه قال عند تركه لمدينة نيشابور متجهًا إلى مرو: «سمعت أبي موسى بن جعفر يقول... سمعت رسول اللَّهﷺ يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت اللَّه جلّ جلاّله يقول: «لا إله إلاّ اللَّه حصني، فمن دخل حصني أمِن عذابي»... بشروطها وأنا من شروطها».[٤]

٢. سأل رجلٌ رسولَ اللَّهﷺ: «يا رسول اللَّه، هل للجنّة من ثمن؟» [ذلك كما احتكر بعضٌ الجنّة وجعلوها مقتصرةٌ عليهم، إذ قالوا: ﴿**لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾[٥]] قال: «نعم، قال: ما ثمنها؟»، فأجابه النبيّﷺ بهذا المضمون أنّ مفتاح الجنّة هو الاعتقاد بالتوحيد، والأخلاق والعمل الصالح ومحبّة أهل بيتي. [الجنّة لا يمكن أبدًا بيعها بمتاع الدنيا، ولا يقع محلّ سوق الجنّة أبدًا في الصومعة والكنيسة والدير (وبيد الرهبان والقساوسة و...)، بل هي إلى جانب الإنسان وفي روحه، ومناطةٌ بالتخلّق بالأخلاق الإلهيّة؛ إذ يجب أن ينقش الفكر الصالح والعمل الصالح في روح الإنسان وأعضائه وجوارحه حتى يستطيع دفع ثمن الجنّة.] قال: لا إله إلا

---

١. *البحار*، ج١٨ـ ص٢٠٢، ح٣٢.
٢. ن.م.، ج٣، ص٣، ح٣.
٣. ن.م.، ح٤.
٤. ن.م.، ص٧، ح١٦.
٥. البقرة: ١١١.

اللَّه، يقولها العبد مخلصًا بها، قال: وما إخلاصها؟ قال: العمل بما بعثت به في حقّه وحبّ أهل بيتي، قال: فداك أبي وأمي، وإنّ حبّ أهل البيت لمن حقها؟ قال إنّ حبّهم لأعظم حقّها».[١]

أمّا التوحيد فله شرطٌ، بل شروطٌ، وإحداها ولاية وإمامة أهل بيت عصمة النبيّ الأكرمﷺ؛ كما ذُكر في الحديث أعلاه.

٣. وفي حديثٍ آخر، ضمّ الرسول الأكرمﷺ الإخلاص وقال: «إنّ لا إله إلّا اللَّه كلمةٌ عظيمةٌ كريمةٌ على اللَّه عزّ وجلّ، ومن قالها مخلصًا استوجب الجنّة، ومن قالها كاذبًا عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النّار».[٢] بناءً عليه، التوحيد عن إخلاصٍ هو ذاك الذي يجري على اللسان يصاحبه الإيمان بولاية وإمامة أئمة الدين الطاهرين (صلوات اللَّه عليهم أجمعين)، وعن اعتقادٍ دينيّ من صميم القلب، والاعتقاد الخالص والصحيح.

٤. سأل رجلٌ الإمامَ الخامسؑ عن الحديث الذي رُوي عن رسول اللَّهﷺ «**من قال لا إله إلا اللَّه دخل الجنّة**»، فقال الإمام الباقرؑ: الخبر حقٌّ، فولّى الرجل مدبرًا، فلمّا خرج أمر بردِّه، ثمّ قال: يا هذا إنّ للا إله إلا اللَّه شروطًا ألّا وإنّي من شروطها».[٣]

٥. قال الإمام السادس، الصادقؑ لأبان بن تغلب: يا أبان إذا قدمت الكوفة فاروِ هذا الحديث:

««من شهد أن لا إله إلا اللَّه مخلصًا وجبت له الجنّة»، قال: قلت له: إنّه يأتيني كلُّ صنفٍ من الأصناف (البعضُ لا يقبل إمامتكم وولايتكم أهل بيت النبيّ) فأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان، ولكن اعلم أنّه في يوم القيامة لن يستطيع قول «لا إله إلا اللَّه» إلّا الشيعة، إنّه إذا كان يوم القيامة وجمع اللَّه الأوّلين والآخرين، فيسلُب منهم لا إله إلا اللَّه، إلّا من كان على هذا الأمر».[٤]

---

١. *البحار*، ج٣، ص١٣، ح٣٠.

٢. ن.م.، ص٥، ح١٣.

٣. *ن.م.*، ص١٣، ح٢٨.

٤. ن.م.، ص١٢، ح٢٥.

على هذا الأساس، لقد مدّ التوحيد جسور علاقةٍ لا تنفصم مع الإيمان بالإمامة، ومن دون إحداها لا فائدة من الأخرى، ويجب الانتباه من أن لا تتحطّم هذه القلعة القويّة من خلال اتّباع الشيطان، فيحفر فيها؛ لأنّه قادرٌ على النفوذ إليها من الأعلى، الأسفل، الشمال واليمين ومن كلّ جانبٍ آخر، فالشيطان ليس مثل يأجوجٍ ومأجوج الذين لم يتمكّنوا من نقب السدّ الحديديّ والنفوذ منه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[1]، بل إنّ الشيطان يمكنه تسلّق جميع القمم العالية والنفوذ من أيّ طريقٍ ليحطّم جدار التوحيد القويّ ويجعل الإنسان يتّجه إلى جهنّم؛ لذلك فضلاً عن الاعتقاد بالولاية، احتلّت الكلمة المقدّسة «الإخلاص» مكانًا إلى جانب التوحيد حتى يسلَم الإنسان الموحّد والموالي المخلص في التوحيد والولاية من مكر إبليس وأذاه.

أبواب الجنّة

لأنّ الإنسان عنصرٌ يفكّر ويُفهم بواسطة المادة والعنصر، فإنّ المحسوسات والتجسيم يشكلاّن بالنسبة له دورًا تطبيقيًّا ويقرّبانه من الهدف، وكذلك يستفيد القرآن في مقام التحاور من هذه الأدوات والوسائل المحسوسة ويصل من خلالها إلى المعقول؛ ولأجل الورود إلى مكانٍ خاصّ، فلا بدّ من فعل ذلك عبر طريقٍ وبابٍ يؤدّي إليه ويوصل إلى المقصد، والقرآن يصف للجنّة أبوابًا ومستقبلين؛ ومن الآيات التي تعرّضت لذلك:

١. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[2]

وقال النبيّ ﷺ لعثمان بن مظعون: «للجنّة ثمانية أبوابٍ وللنّار سبعة أبواب».[3]

ولأنّ رحمانيّة الحقّ تعالى مطلقة ورحمته عامّة وواسعة، فقد جعل أبواب رحمته أكثر

---

١. الكهف: ٩٧.

٢. الزمر: ٧٣ـ٧٥.

٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص٥٠٦، ح١٣٢.

من أبواب غضبه؛ لذا فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «أحسنوا الظنّ باللّه، واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبوابٍ عرض كلّ بابٍ منها مسيرة أربعمئة سنة».[١]

إشارة: إنّ سِعة الرحمة الإلهيّة غير سِبقتها على الغضب، وكلٌّ لديه معنًى خاصّ وحكم مختصّ به، وما يمكن أن يزيد من أبواب الجنّة أكثر مقارنةً مع أبواب جهنّم هو سعة رحمة اللّه كما ذُكر بإيجاز.

أسماء أبواب الجنّة

سُمّيت بعض أبواب الجنّة في الروايات الإسلاميّة بأسماء جماعاتٍ خاصّة؛ كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «للجنّة بابٌ يُقال له باب المجاهدين يمضون إليه...».[٢]

وورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام الصادق عليه السلام أنّ للجنّة بابًا يقال له باب المعروف، لا يدخله إلّا أهل المعروف ومن اصطنع المعروف.[٣]

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ في الجنّة ثمانية أبواب، منها بابٌ يسمى الرّيان لا يدخلها إلّا الصائمون».[٤]

وينقل بلال عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ للجنّة أبوابًا مختلفة: باب الرّحمة، باب الصّبر، باب الشكر.[٥]

وكذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ للجنّة ثمانية أبواب، بابٌ يدخل منه النبيّون والصّدّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسةُ أبوابٍ تدخل منها شيعتنا ومحبّونا،... وبابٌ يدخل منه ساير المسلمين ممّن يشهد أن «**لا إله إلّا اللّه**»، ولم يكن في قلبه مثقال ذرّةٍ من بغضنا أهل البيت.»[٦]

٢. ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ**﴾.[٧]

---

١. ن.م.، ح١٣٠؛ *البحار*، ج٨، ص١٣١، مع قليل من الاختلاف.
٢. *نور الثقلين*، ج٤، ص٥٠٦، ح١٣٣.
٣. ن.م.، ح١٣٤ و١٣٥.
٤. ن.م.، ح١٣٦.
٥. ن.م.، ص٥٠٧، ح١٣٧.
٦. ن.م.، ص٥٠٥، ح١٢٩؛ *البحار*، ج٨، ص١٢١، ح١٢.
٧. ص: ٥٠ـ٥١.

لقد تمّت الإشارة إلى أنّ الحقّ تعالى قد فتح أبواب الرحمة وأغلق أبواب الغضب وجهنّم، ومفاتح الغيب بيده: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾.[١] وللمفتاح حالتان: من جهةٍ يفتح ومن جهةٍ أخرى يُغلق، فهو مِفتاحٌ ومِغلاق أيضًا، ولكن ما هو بيد اللَّه جانب المفتاح وليس المغلاق؛ إذ إنّ تدبيره وربوبيّته إلى جانب الرحمة والفتح دائمًا، وليس الإغلاق والإقفال؛ ولذلك يقول النبيّ الأكرمﷺ في خطبته المشهورة في شهر شعبان، مشيراً إلى قُرب شهر رمضان المبارك وإقباله: «أيّها النّاس أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة»، فالأبواب عندما تكون مفتوحة تمامًا، يُقال لها «مفتّحة»؛ لأنّ هذه الكلمة تدلّ خاصّةً على المبالغة والنّسبة، ولكن لو كان الباب مفتوحًا بشكلٍ عاديّ لقالﷺ «مفتوحة»؛ أي أنّها غير مقفلة، حتى لو كانت نصف مفتوحة؛ ولذلك قال اللَّه سبحانه: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[٢]؛ لأنّه كون الباب مغلقًا هو عذابٌ في حدّ ذاته، بخلاف كون الباب مفتوحًا، فهذا يعدّ نعمةً، وتلك النّعمة هي الحرّيّة؛ ولذا يكمل النبيّﷺ: «فاسألوا ربّكم أن لا يُغلقها عليكم، وأبواب النّيران مغلّقةٌ فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم».[٣]

ومن الجدير بالذكّر أنّ الحديث المشهور عن النبيّﷺ حول الشخصيّة الثانية في عالم الإسلام، أي عليّ بن أبي طالبؑ، يقول: «أنا مدينة العلم (أو أنا مدينة الحكمة) وهي الجنّة وأنت يا عليّ بابها»[٤]، هذا الحديث الجميل لا يعني أنّ هناك سورًا يحيط بجميع أطراف هذه المدينة، وأنّ الباب يقع في جزءٍ منها فقط، بل إنّ جميع أطراف هذه المدينة هي بابٌ، وكلّ من يريد الوصول إلى النبيّﷺ يجب أن يكون بحضور عليّؑ وأن يصل إليهﷺ عن طريق ولايته وإمامته؛ نظير ما يقوله اللَّه عن أنّ كلّ السموات ستكون بابًا أثناء القيامة: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[٥]. فكلّ حدود مدينة العلم والحكمة باب، ولا يمكن

---

١. الأنعام: ٥٩.

٢. ص: ٥٠.

٣. *أربعين الشيخ البهائي*، ص١٨١، ح٩.

٤. سفينة *البحار*، ج٨، ص٤١، «م د ن».

٥. النبأ: ١٩.

الوصول إلى مدينة الحكمة التي هي الجنّة في حدّ ذاتها، من دون الاستمداد من ولاية عليّ عليه السلام وإمامته وأهل بيت العصمة والطهارة.

على أيّ حال، إذا أراد الإنسان أن يختبر نفسه ما إذا كانت أبواب الجنّة مفتوحةً أم مغلقةً عليه، فعليه أن ينظر في قلبه وروحه، هل هما ملوثان أم طاهران. ويقول الإمام الصادق عليه السلام بهذا الشأن: «تبحّروا قلوبكم فإنّ أنقاها اللّه من حركة الواجس لسخط شيءٍ من صنعه، فإذا وجدتموها كذلك، فاسألوه ما شئتم».[1]

على هذا الأساس، يجب أن تُصبّ الحكمة في قلب الإنسان والحكمة أي معرفة اللّه وأوصافه وأسمائه، معرفة الملائكة، الوحي، الرسالة والإمامة. ولا تتوفّر الحكمة الحقّ إلّا عبر منطق عليّ بن أبي طالب وطريقته؛ فشخصيّة عليّ عليه السلام وسيرته هي الأسوة. باب عليّ هو باب الحقّ، وأيّ بابٍ آخر هو باب الضّلالة: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.[2]

٣. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.[3]

ونقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال ـ في حال المؤمن ـ :

> «...إذا دخل جنّته وغرفه... يبعث اللهُ له ألف ملكٍ يهنّونه بالجنّة ويزوّجونه بالحوراء، فينتهون إلى أوّل بابٍ من جنانه، فيقولون للملك الموكل بأبواب الجنان: استأذن لنا على وليّ اللّه، فإنّ اللّه قد بعثنا مهنّين، فيقول الملك: حتّى أقول للحاجب فيُعلِمه مكانهم، قال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتى ينتهي إلى أوّل بابٍ، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين، جاؤوا يهنون وليّ اللّه، وقد سألوا أن أستأذن لهم عليه، فيقول له الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن استأذن لأحدٍ على وليّ اللّه وهو مع زوجته، قال: وبين الحاجب وبين وليّ اللّه جنتان، فيدخل الحاجب على القيّم فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملكٍ أرسلهم ربّ العالمين يهنّون وليّ اللّه فأستأذن، فيقول

---

١. *أمالي المفيد*، ص٥٤، المجلس السابع، ح١.

٢. يونس: ٣٢.

٣. الرعد: ٢٣ـ٢٤.

القيّم إلى الخدّام فيقول لهم: إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم يهنّون وليّ اللّه فأعلموه مكانهم، قال: فيعلمون الخدّام مكانهم قال: فيؤذن لهم فيدخلون على وليّ اللّه، وهو في الغرفة، ولها ألف باب وعلى كلّ بابٍ من أبوابها ملكٌ موكلٌ به. فإذا أذن للملائكة بالدّخول على وليّ اللّه، فتح كلّ ملكٍ بابه الذي قد وكّل به، فيدخل كلّ ملك من بابٍ من أبواب الغرفة، فيبلّغونه رسالة الجبّار، وذلك قول اللّه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾».[١]

إشارة: إنّ ما يملكه الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في الدنيا سوف يملك المؤمن في الجنّة تجلّيًا منه ببركة وفضل اتّباعه لتلك الذوات المقدّسة؛ فنزول الملائكة لأجل المؤمن وعليه وتحيّتهم وتهنئتهم له ما هو إلاّ تجلٍّ لنزول الملائكة من أجل الذوات المقدّسة المعصومة وعليهم. البتّة، إنّ مضمون رسالتهم للذوات المقدّسة مختلفٌ عن رسالتهم للمؤمنين.

خصائص أبواب الجنّة

الأولى: يفتح كلّ بابٍ من أبواب الجنّة ويُغلق من خلال رمزٍ خاصٍّ، وقد نُقشت عليها جملٌ جميلةٌ وحكيمة كنقوشٍ ولوحات، وقد كشف لنا أئمة الدين في أحاديثهم الحجبَ عن هذه الرموز والأسرار:

١. يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «مكتوبٌ على باب الجنّة: لا إله إلاّ اللّه، محمّدٌ رسول اللّه، عليٌّ أخو رسول اللّه...».[٢]

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «على باب الجنّة مكتوبٌ: الصّدقة بعشرةٍ والقرض بثمانية عشر».[٣] وقد تمّ ذكر هذا الحديث سابقًا وهو يشتمل على زاويةٍ من البُنية الاقتصاديّة لنظام الإسلام وهيكله.

---

١. *نور الثقلين*، ج٢، ص٤٩٩ـ٥٠٠، ح١١١.

٢. *البحار*، ج٨، ص١٣١.

٣. ن.م.، ص١٨١.

٣. ويقول نبيّ الإسلامﷺ:

«لما أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيلعليه السلام: قد أمرت الجنّة والنّار أن تُعرض عليك، قال: فرأيت الجنّة وما فيها من النّعيم، ورأيت النّار وما فيها من العذاب، والجنّة فيها ثمانية أبواب، على كلّ بابٍ منها أربع كلمات، كلّ كلمةٍ خيرٌ من الدّنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها، وللنّار سبعة أبواب، على كلّ بابٍ منها ثلاث كلمات، كلّ كلمةٍ خيرٌ من الدّنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها، فقال لي جبرئيلعليه السلام: اقرأ يا محمّد ما على الأبواب فقرأت ذلك، أمّا أبواب الجنّة، فعلى أول بابٍ منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيءٍ حيلة وحيلة العيش أربعُ خصالٍ: القناعة، وبذل الحق، وترك الحقد، ومجالسة أهل الخير.

وعلى الباب الثاني مكتوبٌ: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيءٍ حيلة وحيلة السرور في الآخرة أربع خصالٍ: مسح رؤوس اليتامى، والتعطّف على الأرامل، والسعي في حوائج المؤمنين، والتفقّد للفقراء والمساكين.

وعلى الباب الثالث مكتوبٌ: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيءٍ حيلة وحيلة الصّحة في الدنيا أربع خصالٍ: قلّة الكلام، وقلّة المنام، وقلّة المشي، وقلّة الطعام.

وعلى الباب الرابع مكتوبٌ: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليُكرم جاره، من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليُكرم والديه، من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت.

وعلى الباب الخامس مكتوبٌ: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، من أراد أن لا يُظلم فلا يظلم، ومن أراد أن لا يُشتم فلا يشتم، ومن أراد أن لا يُذلّ فلا يذلّ، ومن أراد أن يستمسك بالعرّوة الوثقى في الدّنيا والآخرة فليقل: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه.

وعلى الباب السادس مكتوبٌ: لا إله إلا اللَّه، محمّد رسول اللَّه، عليّ وليّ اللَّه، من أراد أن يكون قبره وسيعًا فسيحًا فليبن المساجد، ومن أراد أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليسكن المساجد، ومن أحبّ أن يكون طريًّا مطرًا لا يبلى فليسكن المساجد، ومن أحبّ أن يرى موضعه في الجنّة فليكنس المساجد بالبسط.

وعلى الباب السابع مكتوبٌ: لا إله إلا اللَّه، محمّد رسول اللَّه، عليّ وليّ اللَّه، بياض القلب في أربع خصالٍ: عيادة المريض، واتّباع الجنائز، وشراء الأكفان، وردّ القرض.

وعلى الباب الثامن مكتوبٌ: لا إله إلا اللَّه، محمّد رسول اللَّه، عليّ وليّ اللَّه، من أراد الدخول من هذه الأبواب فليتمسّك بأربع خصالٍ: السخاء، وحسن الخلق، والصّدقة، والكفّ عن أذى عباد اللَّه تعالى...»[1]

الثانية: صوت باب الجنّة: عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: إنّ حلقة باب الجنّة من ياقوتةٍ حمراء على صفائح الذهب، فإذا دُقّت الحلقة على الصفحة طنّت وقالت: يا عليّ[2]

ويقتضي الأدب أنّ يقرع الإنسان الباب عندما يريد دخول منزلٍ، حتى لو لم يكن الباب مغلقًا.

ويقول الأستاذ العلاّمة الطباطبائي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:

إنّ صوت حلقة باب الجنّة «يا علي» بسبب أنّ: ١. عندما يذهب الإنسان إلى ضيافةٍ، يدقّ الباب وينادي صاحب المنزل. ٢. ويظهر صوت الضيف والمؤمن العازم إلى الجنّة على شكل صوت قرعٍ للباب. ٣. صوت قرع الباب «يا عليّ»؛ لأنّ صاحب الجنّة والمَضيف الأساس للجنّة هو مقام الولاية والذي يكون عليّ بن أبي طالب عليه السلام المصداق الجامع، الكامل والتّام له.

على هذا الأساس، عليّ عليه السلام هو قسيم الجنّة والنّار، وكذلك صاحب الجنّة والمؤمن من أهل الجنّة يحلّ ضيفًا عليه.

---

١. *البحار*، ج٨، ص١٤٤.

٢. ن.م.، ص١٢٢، ح١٣؛ *أمالي الصدوق*، المجلس ٨٦، ح١٣.

الفصل الواحد والعشرين

نِعم الجنّة

النِعم الجسمانيّة والحسّيّة

الإنسان من منظار القرآن هو حقيقةٌ مركّبةٌ من جسمٍ وروح؛ ولو أنّه يعتبر الأصالةَ لروحه، ويعمل هذان الأمران في الدنيا بشكلٍ متناسق، ويحدّدان معًا الخير والسعادة أو الشرّ والشقاء، على هذا الأساس، سوف يكونان معًا في الآخرة سيكون الإنسان في تركيبةٍ خاصّة، إمّا في ظلّ النِعم الجسمانيّة والمعنويّة، وإمّا معذّبٌ في العذابات الجسمانيّة والروحيّة. بناءً على ذلك، تنقسم كلٌّ من النّعم والنِقم الإنسانيّة إلى قسمين: جسمانيّة وروحانيّة.

فضلاً عن ذلك، ذكر القرآن المجيد بعض النعم والمقامات التي يجهلها الإنسان، والتي لا يملك القدرة على إدراكها أصلاً، لا بواسطة الأدوتة الحسّيّة ولا بالوسائل العقليّة، كما سنشير إليها، ولكن بأيّ حال من الأحوال لن تكون تلك النعم خارج نطاق الحسّ والعقل، رغم أنّ القوى الإدراكيّة المعروفة لم تجرّبها ولم تتنبأ بها، وفيما يلي سوف نتطرّق إلى النعم الجسمانيّة والحسّيّة:

الحدائق

ذكر القرآن الكريم تكرارًا ومرارًا حدائق الجنّة وجنّاتها التي تجري من تحتها الأنهار[1] وقد أشرنا إلى أنّه إنّما سُمّيت الجنّة «جنّةً» لأنّ جنيناتها مغطاةٌ بالأشجار الكثيفة بحيث تغطي ظلالها فضاء الجنّة وأرضها تمامًا.

---

١. البقرة: ٢٥؛ آل عمران: ١٥؛ النساء: ١٣ وأكثر من ٦٠ موردٍ آخر.

ومن خصائص أشجار الجنّة أنّ ظلالها مثل فاكهتها دائمةٌ وليست مثل بعض أشجار الدنيا التي تكون بلا فاكهة في بعض الفصول أو تتساقط أوراقها في فصل الخريف؛ ولذلك يقول: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾.[1]

الأنهار

تختلف السوائل الجارية في أنهار الجنّة عن سوائل أنهار الدنيا، سواء أكان من ناحية الجوهر والذات أم من ناحية الكيفيّة؛ لأنّه لا يجري في أنهار الدنيا شيءٌ غير الماء، فضلاً عن أنّ الماء في الدنيا يتغيّر رائحته بعد مدّة، في حين أنّ سوائل أنهار الجنّة تتمتّع بميزتين ستتضح في الآيات القرآنيّة التالية:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾[2].

عن عبد اللَّه بن سنان قال:

«سألت أبا عبد اللَّه‌عليه‌السلام عن الحوض، فقال: حوض ما بين بصرى إلى صنعا تحب أن تراه؟ قلت له: نعم جعلت فداك، فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظَهر المدينة ثمّ ضرب برجله، فنظرتُ إلى نهرٍ يجري لا تُدرك حافّتاه إلّا الموضع الذي أنا فيه قائم؛ وأنّه شبيه بالجزيرة، فكنت أنا وهو وقوفًا، فنظرت إلى نهرٍ جانباه ماءٌ أبيض من الثلج، ومن جانبيه لبنٌ أبيض من الثلج، وفي وسطه خمرٌ أحسنُ من الياقوت، فما رأيتُ شيئًا أحسن من تلك الخمر بين اللّبن والماء، فقلت: جعلت فداك ومن أين يخرج هذا ومجراه؟ قال: هذه العيون التي ذكرها في الجنّة، عينٌ من ماءٍ وعينٌ من لبنٍ وعينٌ من خمرٍ تجري في هذا النهر، ورأيتُ حافتيه عليها شجرة فيهنّ جوارٍ معلّقات برؤوسهنّ ما رأيت شيئًا أحسن منهنّ، وبأيديهنّ آنيةٌ ما رأيتُ أحسن منها، ليست من آنية الدنيا، فدنا من إحداهنّ فأومأ بيده لنفسه، فنظرتُ إليها وقد مالت

---

١. الرعد: ٣٥.

٢. محمد‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: ١٥.

لتغرف من النهر، فمال الشجر معها فاغترفت ثمّ ناولته، ثمّ شرب ثم ناولها، فأومأ إليها فمالت فاغترفت ومالت الشجرة معها، ثم ناولته فناولني فشربتُ، فما رأيتُ شرابًا كان ألين منه ولا ألّذ منه، وكانت رائحته رائحة المسك، فنظرت في الطاس فإذا فيه ثلاثة... من الشراب، فقلتُ له: جُعلتُ فداك ما رأيتُ كاليوم قط ولا كنتُ أرى أنّ الأمر هكذا، فقال لي: هذا أقل ما أعدّه اللّه لشيعتنا إنّ المؤمن إذا تُوفي طارت روحه إلى هذا النهر، فرعت في رياضه وشربت من شرابه...».[١]

الأشربة والسُقاة

وصف القرآن المجيد أشربة الجنّة بأجمل تعبيرٍ برفقة أجمل السُقاة البهيي الوجه والرشيقي القامة بعيون ذابلة؛ ومن جملة هذه الآيات:

١. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾.[٢]

٢. ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.[٣]

٣. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤]

الشراب الخاصّ

١. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا... وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾.[٥]

قال الحسن بن مهران في حديثه ـ بعد أن صام كلٌّ من عليّ، فاطمة، الحسن

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٣٢ـ٣٣، ح٣٠.

٢. الصافات: ٤٥ـ٤٧.

٣. ص: ٥١ـ٥٣.

٤. الزخرف: ٧١.

٥. الإنسان: ٥ـ٦ و ١٧ـ١٨.

والحسين عليهما السلام ثلاثة أيّامٍ، وأعطوا طعام إفطارهم لمسكينٍ ويتيمٍ وأسيرٍ، عرف النبيّ بالحادثة ـ : فوثب النبيّ حتّى دخل منزل فاطمة عليها السلام، فرأى ما بهم، فجمعهم ثمّ انكب عليهم يبكي ويقول: أنتم منذ ثلاثٍ فيما أرى وأنا غافلٌ عنكم؟! فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآيات: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: «هي عينٌ في دار النبيّ صلى الله عليه وآله تفجّر إلى دور الأنبياء والمؤمنين يوفون بالنذر يعني عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام وجاريتهم...»[1]

٢. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾.[2]

تمّت الإشارة إلى أنّ أحد أبرز مصاديق «الأبرار» عليّ وفاطمة، والحسن والحسين.

وينقل الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه المعصومين عليهم السلام عن عليّ بن أبي طالب عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «في وصيّته له يا علي، إنّ اللَّه تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصالٍ إلى قوله: وأنت أوّل من يشرب من الرّحيق المختوم الذي ختامه مسك».[3]

وفي وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا عليّ، من ترك الخمر لغير اللَّه سقاه اللَّه من الرحيق المختوم، فقال عليّ: لغير اللَّه؟ قال: نعم واللَّه صيانةً لنفسه، فيشكره اللَّه تعالى على ذلك».[4] وفي أحاديثٍ أخرى، كُتب نفس هذا الثواب لمن أطعم مؤمنًا من جوعٍ، ومن سقى مؤمنًا من ظمأ، ومن نفّس عن مؤمنٍ كربةً، ومن صام للَّه في يومٍ صائف.[5]

ساقي الأبرار والمقرّبين

يُلاحظ أنّ أعظم درجةٍ من أيّ شيءٍ آخر هو، أنّ اللَّه تبارك وتعالى هو ساقي الأبرار

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٧٧، ح٢٤.

٢. المطففين: ٢٢ـ٢٨.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٣٣، ح٣٤.

٤. ن.م.، ص٥٣٤، ح٣٧.

٥. ن.م.، ص٥٣٣ـ ٥٣٤، ح٣٥، ٣٦، ٣٩.

والمقرّبين: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.[١]

وقد قال النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام:

«...يا عليّ أما والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة أنّهم ليخرجون من قبورهم وأنّ الملائكة لتستقبلهم... تطير بهم إلى المحشر مع كلّ رجلٍ منهم ألف ملكٍ من قدّامه وعن يمينه وعن شماله، يزفّونهم زفًّا، حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم. وعلى باب الجنّة شجرةٌ إنّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجلٍ من النّاس، وعن يمين الشجرة عينٌ مطهّرة مزكّية، فيُسقون منها شربةً، فيطهّر اللّه بها قلوبهم من الحسد... وذلك قول اللّه عز وجل: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ من تلك العين المطهّرة. ثمّ يُصرَفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة، فيغتسلون فيها وهي عين الحياة، فلا يموتون أبدًا».[٢]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «لأنّ المؤمن يشرب شرابًا طهورًا، فإنّه يعرض عن كلّ ما سوى اللّه، ولا يُقبِل إلّا عليه».[٣]

إشارة: إنّ الاستغراق في التوحيد الخالص وكمال الانقطاع عمّا سوى اللّه هو طهارةٌ تامّة؛ لذا فإنّ كلّ شيءٍ لا ينسجم معه فاقدٌ لملكة الطهارة؛ لأنّه إذا سُقي الإنسان شرابًا من يدِ مثل هكذا ساق ـ الذي لا يد له ـ ، سوف يُطهَّر من تمام ما سوى اللّه؛ كما أنّ هذا المضمون بصفته أصلًا جامعًا وشاملًا هو من غُرَر تعاليم أهل البيت عليهم السلام وما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام.[٤]

الأواني والكؤوس

١. الكؤوس والأواني الذهبية: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾.[٥]

---

١. الإنسان: ٢١.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٨٥، ح٦٠.

٣. *منهج الصادقين*، ج١٠، ص١١٠.

٤. مجمع *البيان*، ج٩ـ١٠، ص٦٢٣.

٥. الزخرف: ٧١.

٢. أوانٍ زجاجيّة وكؤوسٍ من فضّة: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.[١]

الألبسة والزينة

١. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[٢]

٢. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٣]

٣. ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٤]

٤. ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٥]

بناءً لما تقدّم، إنّ أفضل الزينة والألبسة وأجمل الألوان توجد معًا مزاجًا مفرحًا جدًّا، وقد اختار الحقّ تعالى أفضلها؛ لأنّهم يعتبرون المصطفين في عالم الخِلقة، على الرغم من أنّه ليس لأيٍّ من هذه النِعم المحسوسة والمعقولة القدرة على ثني عنان وجذب انتباه أولئك الغارقين في بحر الجمال الإلهيّ والمستغرقين في بحر الجلال الإلهيّ.

الأسرّة والأرائك والفرش

١. ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[٦]

٢. ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٧]

٣. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٨]

---

١. الإنسان: ١٥ـ١٦.

٢. الكهف: ٣١.

٣. الحج: ٢٣؛ فاطر: ٣٣.

٤. الدخان: ٥٢ـ٥٣.

٥. الإنسان: ٢١.

٦. الكهف: ٣١.

٧. الصافات: ٤٣ـ٤٤.

٨. الطور: ٢٠.

٤. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[١]
٥. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٢]
٦. ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾[٣]
٧. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾[٤]
٨. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.[٥]

وقد جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم حول الآية ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: «كلّ شيء خلقه اللّه في الجنّة له مثالٌ في الدنيا،إلّا الزرابي، فإنّه لا يُدرى ما هي».[٦] ولعلّها سجّادٌ منسوجٌ من الذهب.

الأزواج

لقد اقتضت حكمة اللّه بمقتضى طبع الإنسان أنّ يخلق له زوجًا منذ بداية خِلقته ويضع على عاتقهما حملاً عظيمًا ووظيفة ثقيلة وصعبة ومشتركة في مسار الحياة، وأن يمضيا هذه الحياة الدنيويّة معًا، ويترافقا سويًّا خطوة خطوة. والقرآن يقول إنّ الآخرة أفضل من هذه الدنيا كما في الآية:

١. ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾.[٧]

وعن الإمام الصادقؑ في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، قال: «لا يحضن ولا يحدثْن».[٨]

---

١. الرحمن: ٥٤.
٢. الرحمن: ٧٦.
٣. الواقعة: ٣٤.
٤. الغاشية: ١٣.
٥. الغاشية: ١٥ و١٦.
٦. *تفسير عليّ بن إبراهيم*، ج٢، ص٤١٨.
٧. آل عمران: ١٥.
٨. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٢١، ح٥٨.

٢. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[1]

٣. ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[2]

٤. ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[3]

٥. ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[4]

ويروي النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «مررت ليلة أُسري بي بنهرٍ حافتاه قِباب المرجان، فنوديت عنه: «**السلام عليك يا رسول اللّه**»، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جوارٍ من الحور العين استأذنّ ربّهنّ أن يسلّمن عليك فأذن لهنّ، فقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نيأس، أزواج رجال كرام، ثمّ قرأ صلى الله عليه وآله: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾». [5]

٦. ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ... كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾.[6] ومن الخصائص الحسنة لأزواج الجنّة، أنّهن غضيضاتٌ ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ عن غير أزواجهنّ ولا يردن غيرهم.

٧. ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[7]

٨. ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[8]

٩. ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[9]

---

١. النساء: ٥٧.

٢. الدخان: ٥٤؛ الطور: ٢٠.

٣. الواقعة: ٢٢ـ٢٣.

٤. سوةر الرحمن: ٧٢.

٥. *نور الثقلين*، ج١، ص٢٠٢، ح٨٠.

٦. الرحمن، الآيات٥٦ و٥٨.

٧. الصافات: ٤٨ـ٤٩.

٨. ص، الآية٥٢.

٩. الواقعة، الآيات٣٦ـ٣٧.

وقد سأل أبو بصير الإمامَ الصادقعليه السلام أسئلةً حول الحور؛ من جملة هذه الأسئلة: قال: «جعلتُ فداك لهنّ كلامٌ يتكلّمن به أهل الجنّة؟ قالعليه السلام: نعم، كلامٌ يتكلّمن به لم يسمع الخلايق أعذب منه، قلتُ: ما هو؟ قالعليه السلام: يقلن بأصواتٍ رحيمة: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خُلق لنا، وطوبى لمن خُلقنا له، ونحن اللّواتي لو أنّ قَرن (خصلة الشعر) إحدانا علّق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار».[1]

الخدم

١. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾[2]

٢. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾.[3]

ومن الجدير الإشارة إلى أنّ هذه المجموعة من الخدم هم غير الخدم من الحور، ويوجد اختلافٌ في وجهات النظر بين المفسّرين بخصوص هؤلاء الوِلدان؛ إذ قال البعض إنّهم نفس أولئك الولدان في الدنيا الذين لم يقوموا بعملٍ حسنٍ حتى يثابوا عليه، ولم يرتكبوا سيّئة حتى يُعاقبوا عليها بالعذاب؛ لذلك جعل الحقّ تعالى درجتهم ومقامهم خِدمةَ أهل الجنّة، وهذا التفسير منقولٌ عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام. وقد روي عن النبيّصلى الله عليه وآله أنّه سُئل عن أطفال المشركين؟ فقالصلى الله عليه وآله: هم خَدم أهل الجنّة.[4]

على أيّ حال، هذه المجموعة من الوُلدان يخدمون أهل الجنّة بكلّ نشاطٍ وحبور، ويقدّمون لهم الأقداح والأباريق المليئة بأشربة الجنّة: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.[5]

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢١٧، ح٥٣.

٢. الطور: ٢٤.

٣. الواقعة: ١٧؛ الإنسان: ١٩.

٤. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢١٢، ح٢٩.

٥. الواقعة: ١٨.

المساكن والقصور

١. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[١]

٢. ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾.[٢]

ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

«بماذا بُنيت هذه الغرف يا رسول اللّه؟ فقال: يا عليّ، تلك غرفٌ بناها اللّه لأوليائه بالدرّ والياقوت والزبرجد، سقوفها الذهب، محبوكةٌ بالفضّة، لكلّ غرفةٍ منها ألف بابٍ من ذهب، على كلّ بابٍ منها ملكٌ موكلٌ به، وفيها فرشٌ مرفوعة، بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوانٍ مختلفة، حشوها المسك والعنبر والكافور، وذلك قول اللّه: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾[٣] فإذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة وُضع على رأسه تاج الملك والكرامة، وأُلبس حلل الذهب والفضّة والياقوت والدرّ منظومًا في الإكليل تحت التاج...، وذلك قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٤] فإذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحًا، فإذا استقرت بوليٍّ اللّه منازله في الجنّة استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنّئه بكرامة اللّه إيّاه...».[٥]

٣. ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.[٦] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «جنّتان من فضة أبنيتهما وما فيهما، وجنّتان من ذهب أبنيتهما وما فيهما».[٧]

---

١. التوبة: ٧٢.

٢. الزمر: ٢٠.

٣. الواقعة، الآية٣٤.

٤. الحج: ٢٣؛ فاطر: ٣٣.

٥. *نور الثقلين*، ج٤، ص٤٨٢، ح٣٦.

٦. الرحمن: ٦٢.

٧. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢٠٠، ح٦٥.

الفاكهة

١. ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.[١]

قال الإمام الصادقعليه السلام: «خمسٌ من فواكه الجنّة في الدنيا: الرمان الأمليسيّ، والتفاح الشيسقان، والسفرجل، والعنب الرازقيّ، والرطب المشان».[٢]

وعن الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال: «أربعةٌ نزلت من الجنّة: العنب الرازقيّ والرطب المشان والرمان الأمليسيّ والتفاح الشيسقان».[٣]

وكذلك قال الإمام الصادقعليه السلام: «الفاكهة مئة وعشرون لونًا سيّدها الرمان».[٤]

وعن الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام: «ما على وجه الأرض ثمرةٌ كانت أحبّ إلى رسول اللّهصلى الله عليه وآله من الرّمان، وكان واللّه إذا أكله لا يشركه فيها أحد».[٥]

وقال الإمام الصادقعليه السلام: «ما من شيءٍ أشارك فيه أبغض إليّ من الرّمان، وما من رمانةٍ إلّا وفيها حبّة من الجنّة، فإذا أكلها الكافر بعث اللّه عز وجل إليه ملكًا فانتزعها منه».[٦]

٢. ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[٧]؛ ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾.[٨]

وقال النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله:

«لما دخلتُ الجنّة رأيتُ في الجنّة شجرة طوبى أصلُها في دار عليّ، وما في الجنّة قصرٌ ولا منزلٌ إلّا ومنها غصنٌ... وأسفلها ثمار أهل الجنّة، وطعامهم متذلّلٌ في بيوتهم، يكون في القضيب منها مئة لونٍ من الفاكهة مما رأيتم في دار الدنيا وممّا لم تروه، وما سمعتم به وما لم تسمعوا مثلها. وكلّما يجتني منها شيءٌ نبتت مكانها

---

١. الرحمن، الآية٦٨.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢٠٠، ح٦٩.

٣. ن.م.، ص٢٠١، ح٧٠.

٤. ن.م.، ح٧١.

٥. ن.م.، ح٧٢.

٦. ن.م.، ح٧٣.

٧. الواقعة: ٢٠.

٨. الواقعة: ٣٢ـ٣٣.

أخرى، «﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾».[١]

٣. ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢].

٤. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾.[٣] وقد ورد أيضًا في هذه الآيات ذكر كروم العنب. لقد تمّت الإشارة إلى أنّ شجر الجنّة ينتج أيّ نوعٍ من الفاكهة في اللحظة نفسها التي يريد المؤمن فيها تلك الفاكهة.

لحم الطيور

على الرغم من أنّ الإنسان يستطيع التغذية بأنواعٍ من الأطعمة الأخرى مثل القمح وسائر الحبوب وكذلك أنواع الخُضار، إلاّ أنّه يتلذّذ بتناول اللحم، وخاصّةً بعض أنواعها؛ ولذلك فقد أشار القرآن إلى أنّ اللحم عمومًا، ولحم الطيور خصوصًا، مُعدّ للإنسان؛ كما يقول:

١. ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.[٤]

٢. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.[٥]

١. يقول عبد اللّٰه بن سنان: سألت الإمام الصادقعليه‌السلام عن سيّد الإدام في الدنيا والآخرة، فقال: اللحم، أما سمعت قول اللّٰه عز وجل: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.[٦]

٢. ويقول النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله: «اللحم سيّد الطعام في الدّنيا والآخرة».[٧]

٣. وكذلك يقولصلى‌الله‌عليه‌وآله: «سيّد إدام الجنّة اللحم».[٨]

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢١٦، ح٤٨.

٢. المرسلات: ٤٢_٤٣.

٣. النبأ: ٣١_٣٤.

٤. الطور: ٢٢.

٥. الواقعة: ٢١.

٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢١٢، ح٣٠.

٧. ن.م.، ح٣١.

٨. ن.م.، ح٣٢.

حوض الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.[١] [الكوثر = خير وبركات كثيرة]

وقد قيل في تفسير الكوثر معانٍ كثيرة؛[٢] من جملتها:

١. نهرٌ في الجنّة. عن ابن عباسٍ قال: «لمّا نزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ صعد رسول اللّهﷺ المنبر، فقرأها على النّاس. فلمّا نزل قالوا: يا رسول اللّه، ما هذا الذي أعطاك اللّه؟ قال: نهرٌ في الجنّة، أشدّ بياضًا من اللّبن، وأشدّ استقامةً من القدح، حافّتاه قباب الدّر والياقوت، ترده طيرٌ خضرٌ لها أعناق كأعناق البخت...».[٣] وعن الإمام الصادقؑ أيضًا: «نهر في الجنّة أعطاه اللّه نبيّهﷺ عوضًا من ابنه (إبراهيم)».[٤]

٢. الكوثر عبارة عن حوض النبيّﷺ والذي يكثر النّاس حوله يوم القيامة. يقول النبيّﷺ: «...فإنّه نهر وعدنيه عليه ربيّ خيراً كثيراً، هو حوضي، ترد عليه أمّتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء...».[٥]

٣. الكوثر هو ذلك الخير الكثير.

٤. الكوثر هو تلك النبوّة والكتاب (القرآن).

٥. الكوثر عبارة عن كثرة الأصحاب والأشياع.

٦. الكوثر كثرة النسل والذرّيّة؛ وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمةؑ، حتى لا يحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم.

٧. الكوثر هو الشفاعة؛ كما رُوي عن الإمام الصادقؑ.[٦]

ويقول الطبرسيّ؛ في ذيل الآية الآنفة الذكر وبعد نقل جميع الأقوال أعلاه:

«واللفظ يحتمل للكلّ، فيجب أن يحمل على جميع ما ذُكر من الأقوال، فقد أعطاه

---

١. الكوثر: ١.

٢. مجمع *البيان*، ج٩ـ١٠، ص٨٣٦.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٨٠، ح٣.

٤. ن.م.، ح٤؛ ص٦٨٣، ح٣.

٥. ن.م.، ص٦٨٠، ح٥.

٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٨١، ح٦.

اللَّه، سبحانه وتعالى، الخير الكثير في الدنيا، ووعده الخير الكثير في الآخرة، وجميع هذه الأقوال تفصيلٌ للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين».[١]

ونقلاً عن أمير المؤمنينعليه السلام، يقول النبيّصلى الله عليه وآله: «من لم يؤمن بحوضي فلا أورده اللَّه حوضي».[٢]

ويقول عبد اللَّه بن ع

«لما نزل على رسول اللَّهصلى الله عليه وآله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول اللَّه؟ قال: نهرٌ أكرمني اللَّه به، قال عليّ: إنّ هذا النهر شريفٌ فانعته لنا يا رسول اللَّه، قال: نعم يا عليّ، الكوثر نهرٌ يجري تحت عرش اللَّه تعالى، ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، وحصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش اللَّه عزّ وجلّ. ثمّ ضرب رسول اللَّهصلى الله عليه وآله يده في جنب عليّ أمير المؤمنينعليه السلام وقال: يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي».[٣]

ويقول أمير المؤمنينعليه السلام:

«أنا مع رسول اللَّه ومعي عترته على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعلمنا، فإنّ لكلّ أهل بيتٍ نجيب ولنا شفاعة، ولأهل مودّتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض، فإنّا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحباءنا وأولياءنا، ومن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا، حوضنا مترعٌ، فيه مثقبان ينصبّان من الجنّة، أحدهما من تسنيمٍ والآخر من معينٍ، على حافتيه الزعفران، وحصاه اللؤلؤ والياقوت وهو الكوثر».[٤]

ساقي الكوثر

١. يقول النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدّنيا والآخرة،

---

١. *مجمع البيان*، ج٩-١٠، ص٨٣٧.

٢. *البحار*، ج٨، ص١٩، ح٤.

٣. *البحار*، ج٨، ص١٨، ح٢.

٤. ن.م.، ص١٩، ح٩.

وأنت صاحب حوضي، مَن أحبّك أحبّني ومن أبغضك أبغضني». [١]

٢. ويقول عبد اللّه بن عمر:

«حدّثنا النبيّ ﷺ ـ وهو الصادق المصدّق ـ قال: إذا كان يوم القيامة وجمع اللّه الأولين والآخرين نادى منادٍ بصوتٍ يسمعُ به البعيد كما يسمع به القريب: أين عليّ ابن أبي طالب؟ أين عليّ الرضا؟ فيؤتى بعليّ الرضا فيحاسبه حسابًا يسيراً، ويُكسى حلّتين خضراوين ويُعطى عصاة من الشجرة وهي شجرة طوبى، فيقال له: قف على الحوض فاسقِ من شئت وامنع من شئت». [٢]

٣. ويقول ابن عباس:

قال رسول اللّه ﷺ: «أنا سيّد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيّين والمرسلين، وذرّيّتي أفضل ذرّيّات النبيّين والمرسلين، وأصحابي الذين سلكوا منهاجي أفضل أصحاب النبيّين والمرسلين، وابنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين، والطاهرات من أزواجي أمّهات المؤمنين، وأمّتي خير أمّةٍ أخرجت للنّاس، وأنا أكثر النبيّين تِبَعًا يوم القيامة، ولي حوضٌ عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وخليفتي على الحوض يومئذ خليفتي في الدنيا، فقيل: ومن ذاك يا رسول اللّه؟ قال: إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي عليّ بن أبي طالب، يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه، كما يذود أحدكم الغريبة من الإبل عن الماء. ثم قال ﷺ: من أحبّ عليًّا وأطاعه في دار الدنيا ورد عليّ حوضي غدًا، وكان معي في درجتي في الجنّة، ومن أبغض عليًّا في دار الدنيا وعصاه لم أره ولم يرني يوم القيامة،...». [٣]

يقول المرحوم الصدوق ﵀ الذي بنى أساس اعتقاداته على نصّ الروايات:

«اعتقادنا في الحوض أنّه حقّ، وأنّ عرضه ما بين «أيلة وصنعاء»، وهو حوض النبيّ ﷺ، وأنّ فيه من الأباريق عدد نجوم السّماء، وأنّ الوالي عليه يوم القيامة أمير

---

١. ن.م.، ح٥.

٢. *البحار*، ج٨، ص٢٥، ح٢٣.

٣. ن.م.، ص٢٢، ح١٥.

المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا».[١]

إنّ ماء الجنّة وشرابها هو بنحوٍ يجعل الشارب يشبع من الطعام أيضًا.

ويقول المرحوم الفيض في ذلك:

«يخطر بالبال: أنّ مثال الكوثر في الدنيا هو العلم والحكمة، ومثال أوانيه علماء الأمّة؛ ولهذا فسّر بالخير الكثير، فإنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[٢]

ويؤيّد هذا ما رواه بعض علماء العامّة عن مولانا الصادق عليه السلام في تأويل الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: «إنّا أعطيناك نورًا في قلبك، دلّك عليّ وقطعك عمّا سواه».»[٣]

ـ قال (هذا العالم من العامّة) ـ «وكان هذا منه عليه السلام نوع إشارة كإشارات الصوفيّة، لا أنّه تفسير السورة».

فيجيب الفيض الكاشانيّ على هذا العالم:

«ومن شرب كأس العلم من مشرب التحقيق علم أنّ مثل هذه الإشارة يرجع إلى التفسير عند التحقيق، ويتّحدان بحسب المعنى، لما عرفت مرارًا أنّ لكلّ حقيقة في كلّ موطنٍ صورة ومثالاً على حدة، وإن اتّحد المعنى».[٤]

بناءً على ما تقدّم، مِثال الكوثر الأخرويّ هو نور العلم نفسه الذي يشعّ في القلب ويقطع الإنسان عمّا سوى اللّه ولا يجعله متّصلاً إلّا به تعالى، والغرض هو أنّه بناءً على المبنى الدقيق في أنّ الألفاظ قد وُضعت لأجل أرواح المعاني وأهدافها، وليس لأجل مصاديق خاصّة وأفرادٍ محدّدين، فإنّ جميع العناوين المذكورة أعلاه يمكن أن تكون مصاديق للكوثر.

---

١. *البحار*، ج٨، ص٢٧، ذيل ح٢٩.

٢. البقرة: ٢٦٩.

٣. *حقائق التفسير*، رسائل السلمي، ج١، ص٦٣.

٤. *علم اليقين*، ج٢، ص١٢٠٣.

عين تسنيم

إنّ نِعم الجنّة أعم من المأكولات والأشربة... منوطةٌ بمراتب إخلاص الإنسان، تقواه وعمله الصالح. انطلاقًا من ذلك، وبما أنّ معتقدات النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وأخلاقهم وأعمالهم خالصة تمامًا، فقد أعطاهم اللّه بركاتٍ ونعمًا خالصةً نقيّة؛ على سبيل المثال، يقول النبيّ ﷺ عن «تسنيم»:

«هو أشرف شرابٍ في الجنّة، بشّر به محمّد وآل محمّد وهم المقرّبون السّابقون: رسول اللّه ﷺ وعليّ بن أبي طالب والأئمّة وفاطمة وخديجة، صلوات اللّه عليهم، وذريّتهم الّذين اتّبعوهم بإيمان، يتسنّم عليهم من أعالي دورهم».[1]

وفي حديثٍ آخر، يضيّق النبيّ ﷺ دائرة كلامه، ويقول: «تسنيم أشرف شرابٍ في الجنّة يشربه محمّد وآله محمّد صرفًا ويمزج لأصحاب اليمين ولسائر أهل الجنّة».[2]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في موعظةٍ حكيمة: «وكلّ نعيمٍ دون الجنّة فهو محقور».[3]

حِكمة اللّذّات الجسمانيّة في الجنّة

لماذا بشّر اللّه تعالى في القرآن المجيد أهل الجنّة بالمأكولات والأشربة، الألبسة والزينة، الأسرّة والأرائك، المساكن والقصور، الحور والغلمان و...، على الرغم من أنّه لا وجه للاستفادة منها في الجنّة؛ لأنّ الإنسان سيحيا هناك إلى الأبد ولا حاجة له إلى إنجاب الذرّيّة والماء والطعام و... على هذا الأساس، ما هي الحكمة من أمثال هذه البشائر؟

وجواب العلاّمة الجليل الطباطبائي قدس سره بهذا المضمون:

لو كان الإنسان روحًا فقط، طبعًا لكانت المنزلة المستنبطة من الآية: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[4] هي أفضل مكانٍ ولا حاجة لسائر النِعم المذكورة، ولكن للإنسان

---

١. *البحار*، ج٢٤، ص٣، ح٧.

٢. *ن.م.*، ص٣، ح٨.

٣. *نهج البلاغة*، الحكمة ٣٨٧.

٤. القمر: ٥٥.

حقيقةٌ مركّبة من الروح والجسم وتذهب هذه الحقيقة من الدنيا إلى منزل الآخرة وتكون هذه الحقيقة إمّا سعيدة أو شقيّة، إمّا مُثابة أو مُعاقبة. بناءً عليه، في القيامة فضلاً عن النِعم المعنويّة والروحانيّة، يطلب الإنسان اللّذات الجسمانيّة بمقتضى طبعه المركّب؛ كما أنّ بعض أنواع العذاب تحرق القلب: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[1]، وبعض العذابات تحرق الجلد: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.[2] وهذه الحقيقة تتجلّى في البرزخ أيضًا: «القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّيران»[3].[4] (بتصرف)

النِعم الروحانيّة والمعنويّة

لا شكّ أنّه لا يمكن التعبير بالقلم عن النِعم الروحانيّة والمعنويّة ولذّات الجنّة، ذلك أنّها تُرى وتُسمع وتُذاق، ولكنّها ليست من النوع الذي يُقال أو يُكتب ويُقرأ؛ وإنّ أول نعمةٍ هي تلك الطمأنينة التي تحيط بتمام وجود الإنسان، فيشعر بأنّه وصل إلى منطقة الأمن والأمان، ويُقدِم إلى ساحة الطهر والخلود للحقّ تعالى، ويكون في محضره. وتنقطع النفوس المطمئنّة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ عن كلّ لذّةٍ جسمانيّة، لتصبح غَرقى لذّة الحضور والنور والسرور؛ فتجعل لذّةُ النّجوى والمناجاة حاسة شمّهم الملكوتيّ عبقًا، وتتوجّه قلوبهم إلى المنزلة الشامخة للكمال والسعادة.

١. يقول الإمام الصادق عليه السلام لزرارة:

«...وما من عبدٍ يُحشر إلاّ وعيناه باكية إلاّ الباكين على جدّي، فإنّه يُحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يُعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظلّ العرش، لا يخافون سوءَ

---

١. الهمزة: ٦ـ٧.

٢. النساء: ٥٦.

٣. *البحار*. ج٦، ص٢٧٥، ذيل ح١٢٨.

٤. *الميزان*، ج٣، ص١٢٥ـ١٢٩.

الحساب يُقال لهم ادّخلوا الجنّة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإنّ الحور لترسل إليهم أنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة...».[1]

٢. ويقول الإمام الثامن، عليّ بن موسى الرضاعليه السلام:

«من زار الحسين بن عليعليهما السلام عارفًا بحقّه كان من محدّثي اللّه فوق عرشه، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾».[2]

وأيّ مقامٍ للإنسان المشتاق أعلى من لقاء اللّه فوق عرشه والتحدّث معه؛ إذ عندما يعتبر أحبّاء زوّار الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه الجلوس تحت العرش والإنصات لكلام الإمام أفضل من الجنّة ولقاء الحور والغلمان، فما هي هذه الدرجة التي لديهم بحيث يحضرون فوق العرش عند مليكٍ ومالكٍ مطلق؟! يعتقد المفسّرون والعلماء أنّه لا يمكن قياس اللّذّات المعنويّة والروحانيّة باللّذّات الحسّيّة والجسمانيّة، وإنّما قياسهما «مع الفارق». على أيّ حال، لقد عدّ القرآن الكريم بعض اللّذّات المعنويّة والروحانيّة مثل:

١. السلام والتحيّة

١. يستقبل اللّه تعالى أهل الجنّة بمحض دخولهم الجنّة بالتحيّة والسلام: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾.[3] ويقول عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسير الآية: «السلام منه تعالى هو الأمان»؛[4] يعني الأمن والأمان الذي ينزل من قِبل اللّه وفي ظلّ رحمته الرحيميّة الخاصّة بالمؤمنين حقًّا والمتّقين، و سوف يهنؤن في ظلّها خالدين. وهذا السلام هو التحيّة والترحيب اللذان يلقيهما خالق الجنّة على عبده الصالح، وسينزل العباد في دار السلام عند ربّهم؛ ولذلك فإنّه يقول في آيةٍ أخرى:

---

١. *البحار*، ج٤٥، ص٢٠٧، ح١٣.

٢. القمر: ٥٤ـ٥٥؛ *كامل الزيارات*، ص٢٦٧ـ٢٦٨.

٣. يس: ٥٨.

٤. *تفسير القمّيّ*، ج٢، ص٢١٦.

٢. ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]

٣. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[٢]

وانطلاقًا من أنّ أفضل أنواع التحيّة والتبريك هو السلام، فإنّ كلام أهل الجنّة يبدأ بالسلام ويبادرون بعضهم بالسلام، من هنا يقول القرآن:

٤. ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.[٣]

ويُفهم من الأخبار والأحاديث أنّ أكثر كلمة قداسةً ودلالةً للتحيّة والاحترام، هي كلمة «السلام».

١. رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إنّ في الجنّة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها يسكنها من أمّتي مَن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى بالليل والنّاس نيام، ثمّ قال: إفشاءُ السّلام أن لا يبخل بالسلام على أحد من المسلمين».[٤]

إشارة: مَن يكون ظاهره منسجمٌ مع باطنه، ويكون باطنه في صفاءٍ كظاهره، فسوف يكون في حدّ نفسه مظهرًا لـ ﴿هُوَ ... الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٥]، وأجر مثل هذا الفرد في الجنّة قصر من زجاجٍ، بحيث يُرى خارجه من داخله، ويظهر داخلُه من خارجه.

٢. وجاء في حديث آخر،

«لما أسجد اللّٰه عزّ وجلّ الملائكة لآدم عليه السلام وأبى إبليس أن يسجد، قال له ربّه عزّ وجلّ: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثمّ قال عزّ وجلّ لآدم: يا آدم انطلق إلى هؤلاء الملأ من الملائكة فقل: «السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته»، فسلّمَ عليهم فقالوا: «وعليك السلام ورحمة اللّٰه وبركاته»، فلمّا رجع

---

١. الأنعام: ١٢٧.

٢. الرعد: ٢٣ـ٢٤.

٣. ابراهيم: ٢٤.

٤. *البحار*، ج٧٣، ص٢، ح٢.

٥. الحديد: ٣.

إلى ربّه عزّ وجلّ قال له ربّه تبارك وتعالى: «هذه تحيّتك وتحيّة ذريّتك من بعدك، فيما بينهم إلى يوم القيامة».[١]

٣. وعن الإمام الصادقعليه السلام: «من قال **سلام عليكم ورحمة اللّه**، فهي عشرون حسنة».[٢]

٤. وقال النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه: فقال: إفشاء السلام في العالم».[٣]

٢. التنازع الممدوح

إنّ الجنّة مكان السلام والأمان والاحترام: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾[٤]، ولا يوجد فيها مكانٌ للعداوة والبغضاء، والبخل، والحسرة، والطمع، وضيق النظر، والنقص، والتنازع، والمجادلة؛ ولذلك يقول القرآن الكريم:

١. ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[٥].

وفي خطابٍ للإمام الصادقعليه السلام إلى محمّدٍ بن مروان وسائر الشيعة، قال: «ليس منكم رجلٌ ولا امرأة إلّا وملائكة اللّه يأتونه بالسّلام، وأنتم الذين قال اللّه: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾».[٦]

٢. ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[٧]

---

١. *البحار*، ج٧٣، ص٦، ح٢١.
٢. ن.م.، ص١١، ح٤٦.
٣. ن.م.، ص١٢، ح٥٠.
٤. الحجر: ٤٦.
٥. الحجر: ٤٦ـ٤٨.
٦. *نور الثقلين*، ج٣، ص٢٠، ح٧٢.
٧. الأعراف: ٤٣.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام حول أهل الجنّة:

«يحيّون ويدخلون، فإذا أساس بيوتهم من حندل (جندل) اللؤلؤ وسررٍ مرفوعة وأكوابٍ موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، ولولا أنّ اللّه تعالى قدّرها لهم لالتمعت أبصارهم لما يرون، ويعانقون الأزواج، ويقعدون على السرر ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قول اللّه عزّ وجلّ ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ قال:

«إذا كان يوم القيامة دُعي بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين وبالأئمّة من ولده عليهم السلام فينصّبون للنّاس. فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾، يعني هدانا اللّه في ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من ولده عليهم السلام».[2]

٣. ﴿**يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ**﴾.[3]

وهذا التنازع هو نوعٌ من إيجاد السرور الممدوح والجميل الذي يحدث بين الأصدقاء الأعزاء؛ ولأجل خلق جوٍّ من الفرح مثلاً يقوم الصديق بخطف الفاكهة من يد صديق آخر، ولا يتنازعون عن غشٍّ وغلٍّ أبدًا؛ لأنّ الغلّ قد سُلب منهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**﴾[4] وإلّا لو لم تُمحَ هذه الكدورات ويتطهّروا منها، فلن يكونوا من أهل الجنّة. بناءً عليه، إنّ تنازع وتشاحّ أهل الجنّة من قبيل التخاصم الممدوح في الملأ الأعلى: ﴿**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾.[5]

٣. عدم الكذب، اللغو والإثم

ليس شائعًا في الجنّة قول الأراجيف والكلام العبثيّ اللهويّ الضّال والفاحش؛ كما أنّه لا

---

١. *نور الثقلين*، ج٢، ص٣١، ح١١٩.

٢. ن.م.، ح١١٧.

٣. الطور: ٢٣.

٤. الأعراف: ٤٣.

٥. ص: ٦٩.

وجود للكذب والمعصية؛ ويقول القرآن الكريم في ذلك:

١. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[١]

٢. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[٢]

وعن عليّ بن إبراهيم أنّه فسّر اللغو والتأثيم بالفحش، الكذب والغناء.[٣]

٣. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[٤]؛ ففي الجنّة لا يُسمع كلام لغوٍ وبلا طائل، ولا الكذب؛ لأنّ الجنّة مكان السلام، الصفاء والألفة وبُنية كلّ شيءٍ الشرف، الشهامة والفضل والمحبّة: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[٥]؛ لأنّه ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.[٦]

نعم، إنّ ما يوصِل أهل الجنّة إلى هذا المقام العالي هو التوحيد، الإخلاص، ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة الطاهرين عليهم السلام وسبيل التشيّع الحقّ، أي سبيل الحمزة، جعفر، سلمان، أبي ذرّ، المقدار وعمّار.[٧]

٤. نفي الحزن والخوف والألم

ليست الجنّة مكانًا للخوف، أو القلق والاضطراب، أو الحزن والألم، أو التعب والعناء.

١. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[٨]

عندما يدخل محبّو وأصحاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى الجنّة، يقولون للّه عزّ وجلّ: «فائذن لنا بالسّجود. قال لهم ربّهم عزّ وجلّ: إنّي قد وضعت عنكم مؤنة العبادة

---

١. مريم: ٦٢.

٢. الواقعة: ٢٥ـ٢٦.

٣. *تفسير القمّيّ*، ج٢، ص٣٤٨.

٤. النبأ: ٣٥.

٥. الغاشية: ١١.

٦. الحجّ: ٢٤.

٧. *نور الثقلين*، ج٤، ص٣٦٧، ح١٠٤.

٨. فاطر: ٣٤ـ٣٥.

وأرحت لكم أبدانكم، فطالما أنصبتم في الأبدان وعنيتم لي الوجوه فالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي».[١]

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٢]

سُئل الإمام الصادق عليه السلام:

«فكيف يتنعّم أهل الجنّة بما فيها من النعيم وما منهم أحدٌ إلاّ وقد افتقد ابنه وأباه أو حميمه أو أمه، فإذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النّار، فما يصنع بالنّعيم من يعلمَ أنّ حميمه في النّار يعذّب؟ قال عليه السلام: إنّ أهل العلم قالوا: إنّهم ينسون ذكرهم، وقال بعضهم انتظَروا قدومهم ورجَوا أن يكونوا بين الجنّة والنّار في أصحاب الأعراف».[٣]

بناءً عليه، يمكن القول مثلاً حول ابن النبيّ نوح عليه السلام أنّ الحقّ تعالى يمحو ذِكر مثل هذا الولد من عنده؛ لأنّ اللّه يمكنه النفوذ في قلب الإنسان وروحه، ويجعل النسيان يعرض عليه، وعندها لا يكون ثمّة مورد للاضطراب والتأسّف.

أولئك الذين قاموا في الدنيا بأعمالٍ غير صالحة، ومن ثمّ اغتسلوا بماء التوبة وتطهّروا، سوف ينسون أعمالهم السيّئة التي اقترفوها في الدنيا في الجنّة؛ ولهذا السبب لن يشعروا بالحرج أبدًا؛ لأنّ الإنسان يشعر بالحرج والخجل عندما يتذكّر المعصية، ولكن رحمة ولطف اللّه تقتضي تسليم مثل هذه الذكريات إلى غياهب النسيان، حتى لا يسعى الحرج والخجل خلف العبد التائب.

٥. حمد أهل الجنّة وثناؤهم

من خصائص القيامة أنّ النّاس لا يتكلّمون إلاّ بإذن الذات الربوبيّة المقدّسة:

---

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٣٦٧، ح١٠٤.

٢. الأحقاف: ١٣ـ١٤.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٨٤، ح٥٨.

١. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[١]. إنّ هذا البرنامج العامّ للمعاد متاحٌ لأهل الجنّة بشكلٍ خاصّ؛ لأنّ مقام حضور اللّه، وفي مقام الحضور لا يتكلّم أحدٌ دون إذن اللّه، ولن يكون كلام المأذون له إلّا صوابًا. فهم دائمًا في ذكر النِعم الإلهيّة ولا ينطق لسانهم إلّا بحمده وشكره.

٢. أشرنا سابقًا إلى أنّ قلوب أهل الجنّة مطهّرةٌ ومنزّهةٌ عن الرين، والحقد، والبخل و...؛ لذا فإنّهم يمجّدون اللّه على هذه النعم ويثنون عليه؛ ثناءٌ وحمدٌ أمام نعمة الوحي والرسالة والهداية التشريعيّة، وثناءٌ وحمدٌ أمام نعمة التوفيق للعمل الصالح والمعرفة في الهداية التكوينيّة. على هذا الأساس، يقولون من صميم قلوبهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ...﴾؛[٢] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.[٣]

٣. إنّ أداء أهل الجنّة الشكر والثناء على صدق الوعد الإلهيّ ونِعم الجنّة وعلى تسليم أرض الجنّة لهم يتّخذون فيها مأوًى حيثما شاؤوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.[٤]

ولمّا حضرت الوفاة عليّ بن الحسين عليه السلام أغمي عليه، ثمّ فتح عينيه وقرأ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. وقال: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، ثم قُبض من ساعته ولم يقل شيئًا.[٥] نعم، إنّه مقام الحمد والشكر وتصديق الوعود الإلهيّة حول عباده الصالحين والعاملين المتّقين والمرتبطين بالحقّ.

٤. وآخر كلام أهل الجنّة حمد اللّه وشكره أيضًا؛ كما أنّ بداية كلامهم ووسطه الدعاء للّه العظيم أيضًا: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

---

١. النّبأ: ٣٨.

٢. الأعراف: ٤٣.

٣. فاطر: ٣٤.

٤. الزمر: ٧٤.

٥. *نور الثقلين*، ج٤، ص٥٠٩، ح١٤٦.

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]، دعاؤهم هناك ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾؛ وتحيّتهم هناك ﴿سَلَامٌ﴾، وآخر دعائهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وقد ذُكر سابقًا أنّه إذا أراد أهل الجنّة شيئًا ورغبوا به، فإنّهم لا يسألون أحدًا بأنّ يُحضر لهم ذلك الشيء، بل يريدونه بأنفسهم، فتجري ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ على ألسنتهم، فيحضر ذلك الشيء المنشود، ويُفهم هذا الأمر من بعض الأحاديث التي سوف يأتي ذكرها.

١. سأل زيدٌ الشحّام ـ وهو أحد خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ الإمام الصادق عليه السلام عن التسبيح؟ فقال: «**هو اسم من أسماء اللّه ودعوى أهل الجنّة**».[٢]

٢. عن النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسير «**سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر**»، قال: إذا قال المؤمن: «الحمد للّه» أنعم اللّه عليه بنِعم الدنيا موصولاً بنِعم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنّة إذا دخلوها، وينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا الحمد، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ...﴾.[٣]

٣. كذلك يقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أراد المؤمن شيئًا، إنّما دعواه إذا أراد أن يقول: «سبحانك اللهم»، فإذا قالها تبادرت إليه الخدّام بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به، وذلك قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يعني الخدّام، قال: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني بذلك عندما يقضون من لذّاتهم من الجماع والطعام والشراب يحمدون اللّه عزّ وجلّ عند فراغهم.[٤]

٤. وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّ اللّه تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب إلى قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دعوى أهل الجنّة حين شكروا منه حسن الثواب».[٥]

---

١. يونس: ١٠.
٢. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٩٥، ح٢١.
٣. ن.م.، ص٢٩٤، ح٢٠.
٤. ن.م.، ص٢٩٥، ح٢٣.
٥. ن.م.، ح٢٦.

٦. أصدقاء الجنّة

من النِعم العظيمة والقيم الإنسانيّة الجليلة اتخاذ الأصحاب والأصدقاء الموافقين في الفكر والعمل والعِشرة، ويصرّح القرآن أنّه قد أخذ الغلّ من صدور أهل الجنّة، وهم يجلسون على الأسرّة متقابلين، ويقدّم اللّه في آياتٍ من القرآن جلساء أهل الجنّة ويمدحهم على النحو التالي: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾.[1]

وقد ذكر ذيل هذه الآيات في الكثير من الأحاديث التي تفسّرها وتأوّلها وتتضمّن نكاتٍ بارزة:

١. التعريف بجلساء ورفاق الجنّة: عن الأصبغ بن نباتة الحنظليّ قال: رأيتُ أمير المؤمنين‹ع› يوم افتتح البصرة وركب بغلة رسول اللّه‹ص›، ثمّ قال: أيّها النّاس ألا أُخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم اللّه: فقام إليه أبو أيّوب الأنصاريّ، فقال: بلى يا أمير المؤمنين، حدّثنا فإنّك كنت تشهد ونغيب، فقال: إنّ خير الخلق يوم يجمعهم اللّه سبعةٌ من وُلد عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلّا كافر، ولا يجحد به إلّا جاحد، فقام عمار بن ياسر‹رض›، فقال يا أمير المؤمنين سمّهم لنا فلنعرفهم. فقال: إنّ خير الخلق يوم يجمعهم اللّه الرّسل وإنّ أفضل الرّسل محمّد‹ص›، وإنّ أفضل كلّ أمّة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتى يدركه نبيّ، ألا وإنّ أفضل الأوصياء وصيّ محمّد‹ص›، ألا وإنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء ألا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطّلب وجعفر بن أبي طالب، له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة لم يُنحل أحدٌ من هذه الأمة جناحان غيره، شيء كرّم اللّه به محمّدًا‹ص› وشرّفه والسبطان والحسن والحسين والمهدي‹ع› يجعله اللّه من شاء منّا أهل البيت ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ...**﴾.[2]

---

١. النساء: ٦٩ـ٧٠.

٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٥١٣، ح٣٨٣.

٢. عن محمّد بن سليمان عن أبي عبد اللّٰه‌؏ أنّه قال لأبي بصير: يا أبا محمّد لقد ذكركم اللّٰه في كتابه فقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾، فرسول اللّٰه‌ﷺ في الآية النبيّين، ونحن في هذا الموضع الصّدّيقون والشهداء، وأنتم الصالحون فتسمّوا بالصلاح كما سمّاكم اللّٰه عزّ وجلّ.[١]

٣. ويتمتّع رفاق الأنبياء، ورفاق الصدّيقين والشهداء والصالحين وجلساؤهم بالخصائص التالية:

عن سيّد الشهداء الحسين بن عليّ‌؈ قال:

«إنّ رسول اللّٰه‌ﷺ أوصى إلى عليّ بن أبي طالب‌؏، وكان فيما أوصى به أنْ قال له: يا عليّ من حفظ من أمّتي أربعين حديثًا يطلب بذلك وجه اللّٰه تعالى والدار الآخرة حشره اللّٰه يوم القيامة مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، فقال عليّ‌؏:يا رسول اللّٰه، ما هذه الأحاديث؟ فقال: أن تؤمن باللّٰه وحده لا شريك له وتعبده ولا تعبد غيره، إلى أن قال بعد تعدادها صلوات اللّٰه عليه وآله: فهذه أربعون حديثًا من استقام عليها وحفظها عنّي من أمّتي دخل الجنّة برحمة اللّٰه، وكان من أفضل النّاس وأحبّهم إلى اللّٰه تعالى بعد النبيّين والوصيّين، وحشره اللّٰه تعالى يوم القيامة مع النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا».[٢]

٧. مقام الرضوان

مقام الرضوان من أعلى درجات الجنّة، ومَن ينال ذلك المقام، فقد حصل بطبيعة الحال على الجنّة المحسوسة التي ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. ومقام الرضوان مختصٌ بأولئك الذين قد وصلوا في الدنيا إلى مقام الرضا، فقد قسّم اللّٰه تعالى النَاس في سورة الواقعة إلى ثلاثة فئات:

---

١. ن.م.، ص٥١٤، ح٣٨٨.

٢. ن.م.، ج١، ص٥١٥، ح٣٩٠.

١. أصحاب اليمين الذين هم بأحسن حالٍ، سلام على أصحاب اليمين.
٢. أصحاب الشمال؛ الذن يقضون دهرهم في الشؤم والشقاء.
٣. السابقون في الإيمان؛ أولئك المقرّبون الذين يتمتّعون بنعمٍ لا تعدّ ولا تحصى في جنّة النعيم. ثمّ يقول في نهاية السورة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.[١] ولم يقل القرآن إنّ المقرّبين في راحةٍ وطمأنينة وإنّهم في الجنّة، بل ينسب الراحة والطمأنينة إلى نفس المؤمنين المقرّبين؛ لذلك قيل إنّ المؤمنين المقرّبين سوف يكونون في جنّة الذات ويدخلون إلى الجنّة بخطابِ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.[٢] وعلى هذا الأساس، يقول القرآن: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[٣]

وكما تقدّم، إنّ عليّ بن أبي طالبعليه السلام هو المصداق الأكمل للذين وصلوا إلى مقام الرضوان ورضا الحق تعالى، وذلك بشهادة الروايات والتاريخ والتفسير، فقد جاهد في سبيل اللّه بماله ونفسه ولم يذق طعم الراحة حتى نال الشهادة وفاز بأعظم الدرجات ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾.

وجاء في آيةٍ أخرى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[٤]

١. يقول النبيّصلى الله عليه وآله:

«عدنٌ دار اللّه التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشرٍ لا يسكنها غير ثلاثة: النبيّين والصّدّيقين والشهداء، يقول اللّه: طوبى لمن دخلك».[٥]

---

١. الواقعة: ٨٨ـ٨٩.

٢. الفجر: ٢٩ـ٣٠.

٣. التوبة: ٢٠ـ٢٢.

٤. التوبة: ٧٢.

٥. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٤١، ح٢٣٦.

٢. يقول الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام:

«إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ اللَّه جنّاته ومساكنه، واتكى كلّ مؤمنٍ منهم على أريكته حفّته خدّامه وتهدّلت عليه الثمار وتفجّرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار، وبُسطت له الزرابي، وصُفّفت له النّمارق... فيمكثون بذلك ما شاء اللَّه، ثمّ إنّ الجبّار يُشرف عليهم، فيقول: أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي في جواري! ألا هل أنبّئكم بخيرٍ ممّا أنتم فيه؟ فيقولون: ربّنا وأيّ شيء خيرٌ ممّا نحن فيه، نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذّت أعيننا من النّعم في جوار الكريم، قال: فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربّنا نَعم يا ربّنا رضاك عنّا ومحبتك لنا خيرٌ لنا وأطيب لأنفسنا. ثمّ قرأ عليّ بن الحسين عليه السلام هذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾».[1]

نعم، عندما يصل الإنسان إلى مقامٍ يرضى فيه اللَّه عنه ويكون راضيًا عن قضاء اللَّه وقدره أيضًا، فإنّه في الحقيقة قد وصل إلى مقام «الرضوان»: ﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2] وورد هذا المضمون نفسه في الآية ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾.[3] على هذا الأساس، الوصول إلى مقام «الرضوان» هو من أعلى منازل أهل الجنّة ومقاماتها، حيث محلّه جنّة عدن.

٨. النضارة والسرور

لا يظهر أثر بعض أنواع السرور على ظاهر الجسم والوجه، في حين أنّ أثر بعضها يكون شديدًا إلى درجة أنّه يظهر على وجه الإنسان. ويذكر القرآن الكريم نضارة أهل الجنّة ونشاطهم وسرورهم في عددٍ من الآيات؛ مثل:

١. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[4]

٢. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[5]

---

١. ن.م.، ص٢٤٠ـ٢٤١، ح٢٣٤.

٢. المائدة: ١١٩.

٣. الفجر: ٢٨.

٤. المطففين: ٢٢ـ٢٤.

٥. الزخرف: ٧٠.

وعن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال لأبي بصير: «يا أبا محمّد صرتُم عند أهل هذا العالم شرار النّاس، وأنتم واللّه في الجنّة تُحبَرون، وفي النّار تُطلبون فلا توجدون».[1]

٣. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[2]

٤. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ...﴾[3]

وجاء في تفسير عليّ بن إبراهيم في تفسير ذيل هذه الآية، أنّ أصحاب هذه الوجوه النضرة والمشرقة هم أتباع أمير المؤمنينعليه السلام الذين رضي اللّه عنهم وعن سعيهم.[4]

٥. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[5]

إشارة: أوّلًا إنّ نظر الوجه غير نظر العين، وثانيًا النظر غير الرؤية.

٩. نعمٌ تفوق التصوّر

يظهر من القرآن الكريم أنّ ثواب المحسنين والصالحين في الجنّة متناسبٌ مع درجات إيمانهم، فقد وعد اللّه بعضهم بغفران الذنوب وإدخالهم الجنّة، وبعضهم الآخر جعل ثوابهم الحدائق التي تجري من تحتها الأنهار، وجعل لبعضهم الآخر أفضل الثواب، وهو جنّة عدن ولقاء اللّه، وقد وردت هذه المراتب والدرجات في الآية الشريفة:

١. ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[6]

ويذكر الشيخ الطوسيّ في الأمالي وسائر المفسّرين عن: «ذهاب عليّعليه السلام بالفواطم من مكّة إلى المدينة ملتحقًا بالنبيّصلى الله عليه وآله حين هاجر، ومقارعتهعليه السلام الفرسان من قريش، وفيه ثمّ سار ظاهرًا قاهرًا حتى نزل ضجنان (اسم جبل بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلًا)، فلزم فيها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من

---

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٦١٣، ح٨٥ و٨٦.

٢. عبس، الآيات ٣٨ـ٣٩.

٣. الغاشية: ٨ـ١٠.

٤. *تفسير القمّيّ*، ج٢، ص٤١٨.

٥. القيامة: ٢٢ـ٢٣.

٦. آل عمران: ١٩٥.

المؤمنين، وفيهم أمّ أيمن مولاة رسول ـ اللّهﷺ، فصلّى ليلته تلك الليلة، والفواطم: أمّه بنت أسد، وفاطمة بنت رسول اللّهﷺ، وفاطمة بنت الزبير، يصلّون ليلتهم ويذكرونه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فلن يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلّىعليه السلام صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل، يعبدون اللّه عز وجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ...﴾ إلى قوله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى...﴾ الذكر: عليّ، والأنثى فاطمة، بعضكم من بعض يقول: عليّ من فاطمة أو قال الفواطم، وهم من عليّ، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾.»[١]

٢. يذكر اللّه تعالى في آياتٍ كثيرة أنّه يوجد في الجنّة كلّ ما يريده المؤمنون: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾[٢]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٣]، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾[٤]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٥].

وقد ورد في حديثٍ ذيل الآية الأخيرة أنّه: يُعطى أهل الجنّة أيام الجمعة للمؤمنين فضلٌ ورحمةٌ مثل ما في أيديهم في الجنّة سبعين ضعفًا، وإنّ ليلة الجمعة ليلة غرّاء ويومُها يومٌ أزهر، فأكثروا فيها من التسبيح والتهليل والتكبير والثناء على اللّه والصلاة على رسول اللّه.[٦]

٣. ويعبرّ القرآن أحيانًا عن أنّ ثمّة نعمًا في الجنّة لا أحد يعلم شيئًا عن ماهيّتها ولا يتّسع لها تصوّرًا؛ مثل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٧]

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٢٤، ح٤٨٥.

٢. النحل: ٣١؛ الفرقان: ١٦.

٣. الزمر: ٣٤.

٤. فصّلت: ٣١.

٥. ق: ٣٥.

٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص١١٦، ح٤٤.

٧. السجدة: ١٧.

١. يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«ما من حسنةٍ إلّا ولها ثوابٌ مبين في القرآن إلّا صلاة الليل، فإنّ اللّه عزّ اسمه لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها، قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ...﴾».[١]

٢. وكذلك ورد عن الإمام الصادقعليه السلام:

«من أطعم مؤمنًا حتى يشبعه لم يدرِ أحدٌ من خلق اللّه عزّ وجلّ ما له من الأجر في الآخرة، لا ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل إلّا اللّه ربّ العالمين».[٢]

٣. يسأل عاصم بن حميد الإمام الصادقعليه السلام:

«...جعلتُ فداك إنيّ أردتُ أن أسألك عن شيءٍ أستحيي منه، ثمّ قلتُ: أفي الجنّة غناء؟ قال: إنّ في الجنّة شجرًا يأمر اللّه رياحها فتهبّ فتضرب تلك الشجر بأصواتٍ لم يسمع الخلائق مثلها حسنًا، ثمّ قال: هذا عوضٌ لمن ترك السّماع للغناء في الدنيا مخافة اللّه قال: قلتُ: جعلتُ فداك زدني، فقال: إنّ اللّه تعالى خلق جنّةً بيده ولم ترها عينٌ ولم يطّلع عليها مخلوقٌ، يفتحها الربّ كلّ صباحٍ فيقول: ازدادي ريحًا ازدادي طيبًا وهو قول اللّه ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ...﴾».[٣]

درجات ومقامات الجنّة

يبيّن القرآن المجيد الدرجات والمقامات الأخرويّة أحيانًا بشكلٍ موجزٍ ومجمل؛ مثل: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾؛[٤] وفي الدنيا يتفوّق بعض النّاس على الآخرين من ناحية الرفاه والإمكانات المادّيّة. ولكن هذا الفرق في الآخرة يكون أكثر بروزًا من الدنيا، إذ رفع الدرجات إنّما هو بيد اللّه: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾؛[٥] فهو الذي يرفع الدرجات مقابل الصفات الحسنة للمؤمنين. وتذكر بعض آيات القرآن خمس صفاتٍ بارزة تساهم في رفع الدرجات:

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٢٣٠، ح٣٧.
٢. ن.م.، ح٤٠.
٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص٢٢٧، ح٢٧.
٤. الإسراء: ٢١.
٥. غافر: ١٥.

١ . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

٢ . ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾

٣ . ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

٤ . ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾

٥ . ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.[١]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزّيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند اللّه، وبالنقصان دخل المفرطون النّار».[٢]

ويقول عليّ بن إبراهيم في تفسير الآية الآنفة الذكر: «...فإنّها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبا ذرّ وسلمان والمقداد رضي اللّه عنهم».[٣]

ومن الجدير ذكره أنّ هذه الدرجات ليست أمرًا اعتباريًّا وتعاقديًّا محضًا كي توضع في ملف واحدٍ أو تُعلّق على كتفه بهدف الترغيب والتشجيع على الخدمة، بل هي درجةٌ ترفع من المرتبة والمقام التكوينيّ للإنسان؛ ولذلك قال القرآن في آيةٍ أخرى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.[٤]

ويقول عمّار الساباطيّ: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ..﴾، فقال: «الذين اتّبعوا «رضوان اللّه» هم الأئمّة عليهم السلام، وهم واللّه يا عمّار درجاتٌ للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يُضاعف اللّه لهم أعمالهم، ويرفع اللّه لهم الدرجات العلى».[٥] ويقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «الجنّة مئة درجة ما بين كلّ درجةٍ منها كما بين السّماء والأرض...»[٦]

---

١ . الأنفال: ٤.

٢ . *نور الثقلين*، ج٢، ص١٢١، ح٢٤.

٣ . ن.م، ح٢٣.

٤ . آل عمران: ١٦٣.

٥ . *نور الثقلين*، ج١، ص٤٠٦ـ٤٠٧، ح٤٢٢.

٦ . *البحار*، ج٨، ص١٩٦، ح١٨٤.

أعظم درجةٍ

يعتبر القرآن الكريم أنّ أكبر درجةٍ هي من نصيب الذي هاجر في سبيل اللّه؛ ذلك الذي انسلخ من وطنه، وقومه وعشيرته وتذوّق مرارة هجر أقاربه والبُعد عنهم واشترى ذلك بروحه، كذلك المجاهد والمقاتل في سبيل اللّه والذي لم يقصّر في التضحية لا بنفسه ولا بروحه، إنّ لهؤلاء أعظم درجةٍ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.[١]

وبالأساس، إنّ أي مذهبٍ أو نظامٍ يشتمل على سياسة المجتمع وتدبيره، إذا لم يشمل الجهاد أيضًا، فلن يضمن بقاءه؛ إذ ما يحفظ المذهب قائمًا وحيًّا هو القتال وبذل النّفس في سبيل اللّه، فالدين الذي يجعل درجة المقاتل وطالب الشهادة أفضل درجات الجنّة، ويُعدّ منزلة الشهادة أعلى منزلةٍ، لن يعرف الهزيمة أبدًا، فمن الضروريّ وجود النهضة الشاملة لأجل استمرار ذلك الدين، وطالما أنّ ثقافة الجهاد متألّقة وساطعة باقية، فإنّ نهضة ذلك الدين المقدّس مضمونة؛ وعلى هذا الأساس يقول القرآن: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[٢]

وقد ورد في الحديث ذيل هذه الآية: «أنّ اللّه سبحانه فضّل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كلّ درجتين مسيرة سبعين خريفًا للفرس الجواد المضمر».[٣] وكذلك فقد ذُكر أنّ أبي عمرو الزبيريّ نقل أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ للإيمان درجاتٍ ومنازل يتفاضلُ المؤمنون فيها عند اللّه؟ قال: نعم...».[٤]

---

١. التوبة: ٢٠.

٢. النساء: ٩٥ـ٩٦.

٣. *نور الثقلين*، ج١، ص٥٣٦، ح٥٠٠.

٤. ن.م.، ج٢، ص٢٥٤، ح٢٨٢.

وعلى هذا الأساس، فإنّ فضيلة ودرجات الأنبياء متفاوتة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾.[١]

ويروي الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام عن أبيه عن آبائهعليهم السلام عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام قال: «قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: ما خلق اللّه خلقًا أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي. قال عليّعليه السلام: فقلتُ: يا رسول اللّه، أفأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقالصلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّ اللّه تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين و المرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا...».[٢]

جنّاتٌ متنوعة

١. جنّة المأوى، جنّتان، جنّات المأوى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[٣]؛ ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٤] فدرجات الجنّة متناسبة مع درجات إيمان أهل الجنّة؛ فعن الإمام الصادقعليه السلام: «لا تقولنّ: الجنّة واحدة، إن اللّه يقول: «ومن دونهما جنّتان»[٥] «ولا تقولنّ درجة واحدة إنّ اللّه يقول: «درجاتٌ بعضها فوق بعض» إنّما تفاضل القوم بالأعمال».[٦]

وعن العلاء بن سيّابة عن أبي عبد اللّهعليه السلام قلت له: إنّ الناس يتعجّبون منّا إذا قلنا: يخرج قومٌ من النّار، فيدخلون الجنّة، فيقولون لنا: فيكونون مع أولياء اللّه في الجنّة؟ فقال: يا عليّ إنّ اللّه يقول: «ومن دونهما جنتان» ما يكونون مع أولياء اللّه.[٧]

---

١. البقرة: ٢٥٣.
٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٢٥٤، ح١٠١٢،
٣. النجم: ١٣_١٥.
٤. السجدة: ١٩.
٥. الرحمن: ٦٢.
٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢٠٠، ح٦٦.
٧. ن.م.، ح٦٧.

٢. جنّة النعيم، جنّات النّعيم: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[1]؛ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.[2]

وفي روايةٍ عن الإمام الكاظم عليه السلام تعرّف مجموعة من خواصّ ومقرّبي النبيّ وأئمة الدين عليهم السلام؛ وهم أولئك الذين يكونون في جنّة النّعيم أو جنّات النّعيم؛ إذ يقول أبو الحسن موسى عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريّ محمّد بن عبد اللّه رسول اللّه الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر، ثمّ ينادي: أين حواريّ عليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد بن عبد اللّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعيّ ومحمّد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التّمار مولى بني أسد، وأويس القرنيّ قال: ثمّ ينادي المنادي: أين حواري الحسن بن عليّ بن فاطمة بنت محمّدٍ بن عبد اللّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ فيقوم سفيان بن ليلى الهمدانيّ، وحذيفة بن أسد الغفاريّ، قال: ثم ينادى: أين حواريّ الحسين بن عليّ؟ فيقوم من استشهد معه ولم يتخلّف عليه قال: ثم ينادي أين حواريّ عليّ بن الحسين؟ فيقوم جبير بن مطعم، ويحيى بن أم الطويل، وأبو خالد الكابليّ، وسعيد بن المسيّب، ثمّ ينادي: أين حواريّ محمّد بن عليّ وحواريّ جعفر بن محمّد؟ فيقوم عبد اللّه بن شريك العامريّ، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية العجليّ، ومحمّد بن مسلم، وأبو بصير ليث بن البختريّ المراديّ، وعبد اللّه بن أبي يعفور، وعامر بن عبد اللّه بن جذاعة، و حجر بن زائدة، وحمران بن أعين، ثم ينادي ساير الشيعة مع ساير الأئمّة عليهم السلام يوم القيامة فهؤلاء أوّل السابقين وأوّل المقرّبين وأوّل المتحوّرين من التابعين».[3]

٣. جنّة الخلد: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾.[4]

---

١. الواقعة: ٨٨ـ٨٩.

٢. الواقعة: ١٠ـ١٢.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢١٠، ح٢٢.

٤. الفرقان: ١٥.

٤. دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[١] وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ، فُسّر دار السلام بالجنّة.[٢] كما سوف يأتي في الحديث.

فعن ابن عبّاس أنّه قال:

«دار السلام: الجنّة، وأهلها لهم السلامة من جميع الآفات و العاهات والأمراض والأسقام، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغيّر الأحوال عليهم، وهم المكرمون الذين لا يهانون أبدًا، وهم الأعزّاء الذين لا يُذلّون أبدًا، وهم الأغنياء الذين لا يفتقرون أبدًا، وهم السعداء الذين لا يشقون أبدًا، وهم الفرحون المسرورون الذين لا يغتمّون ولا يهتمّون أبدًا، وهم الأحياء الذين لا يموتون أبدًا، فمنهم في قصور الدرّ والمرجان، أبوابها مشرّعة إلى عرش الرحمن: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾».[٣]

وجاء في آيةٍ أخرى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[٤]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية: «إنّ السلام هو اللّه عز وجل وداره التي خلقها لعباده ولأوليائه الجنّة».[٥]

٥. جنّات عدن: وقد تكرّر هذا الاسم ١١ مرّة في القرآن الكريم، ويُستفاد من الأحاديث أنّها في وسط الجنان وتحيط بأطرافها الجنّات.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأمّا منزل محمّد صلى الله عليه وآله من الجنّة في جنّة عدنٍ وهي وسط الجنان وأقربها من عرش الرّحمن (جلّ جلاله) والذين يسكنون معه في الجنّة هؤلاء الأئمّة الاثنا عشر».[٦]

---

١. الأنعام: ١٢٧.

٢. *تفسير القمّيّ*، ج١، ص٢١٦.

٣. الرعد: ٢٣؛ *البحار*، ج٨، ص١٩٤.

٤. يونس: ٢٥.

٥. *نور الثقلين*، ج٢، ص٣٠٠، ح٤٢.

٦. *البحار*، ج٨، ص١٨٩.

إشارة: المراد من وسط الجنّة، تلك النواة المركزيّة للخلوص والمحبّة والمنزّهة عن الإفراط والتفريط، وليس الوسط الجغرافيّ الذي لا يكون بعيدًا ولا قريبًا، بل وَسَطيًّا بحيث يكون الأقرب إلى العرش الإلهيّ بالنسبة للنقاط كافة و ملموسًا في الوقت عينه.

وقد ورد في بعض الأحاديث أنّ جنّات عدنٍ هي أشرف مكانٍ وتقع في أفضل درجةٍ من الجنّة.[١]

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«عرض إبليسُ لنوحٍ عليه السلام وهو قائمٌ يصلّي، فحسده على حُسن صلاته فقال: يا نوح، إنّ اللّه عزّ وجلّ خلق جنّة عدنٍ بيده وغرس أشجارها، واتّخذ قصورها، وشقّ أنهارها، ثمّ اطّلع إليها فقال: قد أفلح المؤمنون...»[٢]

٦. الفردوس الأعلى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.[٣]

الأوّل: عن عيسى بن داود النّجار، قال: حدّثنا مولانا الكاظم عليه السلام عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام حول تفسير الآية الآنفة الذكر، فقال عليه السلام: «نزلت في آل محمّدٍ (صلوات اللّه عليهم أجمعين)».[٤]

الثاني: يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لكلّ شيءٍ ذروةٌ وذروة الجنّة الفردوس، وهي لمحمّد وآل محمّد (صلوات اللّه عليهم أجمعين)».[٥]

الثالث: عن أبي بصير، قال الإمام الصادق عليه السلام: «هذه ـ الآية أعلاه ـ نزلت في أبي ذر والمقداد وسلمان الفارسيّ وعمار بن ياسر، جعل اللّه عزّ وجلّ لهم جنّات الفردوس نُزُلًا، أي مأوى ومنزلًا».[٦]

الرابع: عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال:

---

١. ن.م.، ص١٩٥.

٢. ن.م.

٣. الكهف: ١٠٧.

٤. *تفسير البرهان*، ج٣، ص٦٨٨، ح٩٩ـ/٦٨١٣.

٥. ن.م.، ح٩٩ـ/ ٦٨١٤.

٦. *نور الثقلين*، ج٣، ص٣١٣، ح٢٥٦.

«كنّا عند الرضاؑ والمجلس غاصٌّ بأهله، فتذاكروا يوم الغدير، فأنكره بعض الناس، فقال الرضاؑ: حدثني أبي، عن أبيه (الإمام الصادق) قال: إنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض، إنّ للّٰه في الفردوس الأعلى قصرًا، لبنةٌ من فضّة ولبنةٌ من ذهب، فيه مئة ألف قبةٍ من ياقوتة حمراء، ومئة ألف خيمةٍ من ياقوت أخضـر، ترابه المسك و العنبر، فيه أربعة أنهار: نهرٌ من خمر، ونهرٌ من ماء، ونهرٌ من لبن، ونهرٌ من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ، وأجنحتها من ياقوت، و تصوّت بألوان الأصوات. فإذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصـر أهل السماوات يسبّحون اللّٰه ويقدّسونه ويهلّلونه، تتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء، وتتمرغ على ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنّهم في ذلك اليوم ليتهادون نِثار فاطمة عليها السلام، فإذا كان آخر ذلك اليوم نودوا: انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم الخطء والزلل إلى قابل في مثل هذا اليوم تكرمةً لمحمّدٍ و عليّؑ».[١]

وقد ذُكر في الأحاديث أسماء أخرى للجنّة، من قبيل: «دار الكرامة»[٢]، «جنّة الجلال»[٣] و... في حديثٍ نذكر مختصره قد تمّ ترتيب العديد من أسماء الجنّة على هذا النحو: عن ابن عباس، عن النبيّﷺ قال: لو علمتم ما لكم في شهر رمضان، لزدتم للّٰه تعالى شكرًا:

إذا كان أوّل ليلة منه غفر اللّٰه عز وجلّ لأمّتي الذنوب كلّها سرّها وعلانيتها، ورفع لكم ألفي ألف درجة، وبنى لكم خمسين مدينة.

وأعطاكم اللّٰه عزّ وجلّ في اليوم الثالث بكلّ شعرةٍ على أبدانكم قبّة في «**الفردوس**» من درّةٍ بيضاء... وأعطاكم اللّٰه عزّ وجلّ اليوم الرابع في «**جنّة الخلد**» سبعين ألف قصـر، سرير، حوراء...

وأعطاكم اللّٰه اليوم الخامس في «**جنّة المأوى**» ألف ألف مدينة، بيتًا، قصرًا، مائدةً، قصعةً من الطعام... وأعطاكم اللّٰه عزّ وجلّ اليوم السادس في «**دار السلام**» مئة ألف مدينة،

---

١. *البحار*، ج٨، ص١٨٢، ح١٤٤.

٢. ن.م.، ص٢١٨، ح٢٠٧.

٣. ن.م.، ص١٨٥، ح١٤٧.

دار، أسرّة من ذهب، زوجة من الحور العين، ذؤابات منسوجة بالدرّ والياقوت...

وأعطاكم اللَّه عزّ وجلّ اليوم السابع في «**جنّة النعيم**» ثواب أربعين ألف شهيد، وأربعين ألف صدّيق ... إلى أن قال:

ويوم خمسة وعشرين بنى اللَّه عزّ وجلّ لكم تحت العرش ألف قبة خضراء، على رأس كلّ قبّة خيمة من نور، يقول اللَّه عز وجل: يا أمّة محمّد أنا ربّكم وأنتم عبيدي وإمائي، استظلّوا بظل عرشي في هذه القباب، وكلوا واشربوا هنيئًا، فلا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون، يا أمّة محمّد و عزّتي وجلالي لأبعثنّكم إلى الجنّة يتعجّب منكم الأوّلون والآخرون ... .

ويوم ثمانية وعشرين جعل اللَّه لكم في «**جنّة الخلد**» ... في «**جنّة المأوى**» ... في «**جنّة النعيم**» مئة ألف دار من عنبر أشهب، وأعطاكم اللَّه عزّ وجلّ في «**جنّة الفردوس**» مئة ألف مدينة... وأعطاكم اللَّه عز وجلّ في «**جنّة الجلال**» مئة ألف منبر من مسك، زعفران، سرير من درّ وياقوت... .

فإذا كان يوم تسعة وعشرين أعطاكم اللَّه عزّ وجلّ ألف ألف محلة، في جوف كلّ محلة قبة بيضاء، في كلّ قبّة سرير من كافور أبيض، على ذلك السرير ألف فراش من السندس الأخضر... وللجنّة بابٌ يقال له «**الريان**»، لا يُفتح إلى يوم القيامة، ثمّ يُفتح للصائمين والصائمات من أمّة محمّدﷺ و...[1]

وُسع الجنّة

قد يُطرح هذا السؤال أنّه إذا كانت الجنّة مكان المقرّبين، الصالحين والمؤمنين حقًّا، فما هي حدودها ونطاقها الجغرافيّ؟

وقد أجاب القرآن الكريم بدقّة خاصّة عن هذا السؤال في عدة آياتٍ؛ من جملتها:

١. ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[2]

---

١. *البحار*، ج٨، ص١٨٣ـ١٨٤ـ١٨٥، ح١٤٧.

٢. آل عمران: ١٣٣.

فإذا سُئل: إذا كانت الجنّة عرضها السماوات والأرض، فأين تكون النار؟ وجواب ذلك أنّهُ روي أنّ النبيّ ﷺ سُئل عن ذلك فقال ﷺ: «**سبحان اللّه إذا جاء النّهار فأين الليل؟**»؛ وقد قال بعض المفسّرين:

«وهذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأنّ القادر على أن يُذهب بالليل حيث يشاء قادرٌ على أن يخلق النّار حيث يشاء»[١]

ولكن يمكن القول إنّ جواب النبيّ ﷺ ليس بنقضيٍّ، ورغم أن ظاهره كونه إسكاتيًّا، إلّا أنّه برهانيّ؛ أي أنّه ليس اللّيل والنّهار، النور والظلمة من مكانٍ فيزيقيّ محدودٍ ومحدّد. فالنور هو رمزٌ لـ ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ والنهار رمزٌ للنور والليل مَظهرٌ للظلمة.

على أيّ حال، لقد عَلِم السائل أنّ الجنّة والنّار في نظام الآخرة موجودتان، ولا يوجد تزاحمٌ فيما بينهما.

والجدير ذكره أنّ المفسّرين قد طرحوا احتمالاتٍ عدة في تفسير هذه الآية:

١. معنى العرض في هذه الآية هو المساحة، الوُسع، النطاق والمدى.

٢. العرض مقابل الطول، لأنّه يدلّ على أنّ طول الجنّة أعظم من السماوات والأرض.

٣. معناه ثمنها، و المراد بذلك عظم مقدارها، و جلالة قدرها، و أنّه لا يوازيها شيء و إن عَظُم، ولكن الشيخ الطوسيّ ؒ يقول: «وهذا مليحٌ غير أنّ فيه تعسّفًا شديدًا».[٢]

إنّ الوجه الثاني ضعيفٌ أيضًا؛ ولذلك فإنّ الوجه الأوّل يبدو صحيحًا؛ لأنّ الذين كانوا أقرب إلى صدر الإسلام كانوا يفهمون من الآية المذكورة الوسع والمدى والعظم، وليس العرض في مقابل الطول، وليس العرض بمعنى الإقليم، أو الحدود الجغرافيّة والوطنية والعالمية؛ لأنّه في القيامة تُطوى السماء والأرض كالسِّجل، وتنهار الشمس والنجوم والكواكب وتتناثر، فلا يبقى سماءٌ ولا أرضٌ، ولا سيكون من ليلٍ ولا نهارٍ ولا سنةٍ ولا شهرٍ ولا حيّزٌ فيزيقيّ.

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٨٩، ح٣٥٥.

٢. *تفسير التبيان*، ج٢، ص٥٩٢.

٢. ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.[١]

وقد ورد حديث في ذيل هذه الآية يشير إلى وُسع الجنّة: يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ أدنى أهل الجنّة منزلاً لو نزل به الثّقلان الجنّ و الإنس لوسِعهم طعامًا وشرابًا، ولا ينقص ممّا عنده شيئًا. وإنّ أيسر أهل الجنّة منزلاً من يدخل الجنّة فيرفع له ثلاث حدائق؛ فإذا دخل أدناهنّ رأى فيها من الأزواج ومن الخدم والأنهار والثّمار ما شاء اللّه، مما يملأ عينه قرّةً وقلبه مسرّةً، فإذا شكر اللّه وحمده...».[٢]

بناءً لما تقدّم، نصل إلى نتيجةٍ مفادها أنّ الآيات الآنفة الذكر لم تكن في وارد بيان الظرف والمظروف، ولا يوجد تزاحمٌ فيزيقيّ وعنصريّ هناك؛ لذلك يجب اعتبار كلٍّ من الجنّة ـ جنّة المأوى ـ وجهنّم فوق النظام الدنيويّ؛ فالإنسان حينما يُصاب بالحُمّى لا يمكنه تحديد مكانها، إنّما يشعر بالحرارة فقط، دون أن يكون ثمّة أساسٌ وعنصرٌ للنّار ومن دون أن تكون مستقرّةٌ في زاويةٍ محدّدةٍ من البدن؛ ولهذا قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «الحمّى بريدُ الموت وسجن اللّه في أرضه وفورها من جهنّم».[٣]

سيماء الجنّة وأهلها في كلام عليّ عليه السلام

لقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام سيماء الجنّة وأوصاف أهل الجنّة بأجمل البيان وأشار إلى أسباب وعوامل دخولهم الجنّة، ولقد ترك لنا من بعده الكثير من النكات الرائعة وبأبلغ العبارات على هذا الصعيد؛ إذ يقول:

«ولقد كان في رسول اللّه صلى الله عليه وآله كافٍ لك في الأسوة، ودليلٌ لك على ذمّ الدّنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها... وإن شئت ثنّيتُ بموسى كليم اللّه؛ إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، واللّه ما سأله إلاّ خبزاً يأكله، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض،

---

١. الحديد: ٢١.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٢٤٦، ح٨٣.

٣. *علم اليقين* الفيض، ج٢، ص١٢١٧.

ولقد كانت خُضرةُ البقل تُرى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذّب لحمه. وإن شئت ثلّثتُ بداوود صاحب المزامير، وقارىء أهل الجنّة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها! ويأكل قرص الشّعير من ثمنها. وإن شئتَ قلتُ في عيسى بن مريمعليه السلام، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانُه ما تُنبت الأرض للبهائم،...».[١]

ويقولعليه السلام في وصف الجنّة وكيفيّتها:

«فلو رميتَ ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزَفَت نفسُك عن بدائع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها ولذّاتها، وزخارف مناظرها، ولذُهلتَ بالفكر في اصطفاق أشجارٍ غُيّبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها، وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرّطب في عساليجها وأفنائها، وطلوع تلك الثمار مختلفةً في غُلُف أكمامها، تُجنى من غير تكلّفٍ، فتأتي على مُنية مجتنيها، ويُطاف على نُزّالها في أفنية قصورها بالأعسال المُصفقة، والخمور المُروقة.

قومٌ لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتّى حَلّوا دار القرار، وأمِنوا نقلة الأسفار، فلو شغلتَ قلبك أيّها المستمعُ بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة، لزهقت نفسك شوقًا إليها، ولتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها، جعلنا اللّه وإيّاكم ممّن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته».[٢]

شجرة طوبى

ورد في الكثير من الأحاديث ذِكر شجرةٍ مثاليّةٍ في الجنّة، تُدعى «شجرة طوبى»:

١. يقول النبيّصلى الله عليه وآله:

«دخلتُ الجنّة وإذا شجرةٍ لو أُرسل طائرٌ في أصلها ما دارها سبعمئة عامٍ، وليس

---

١. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٦٠، المقاطع ١٤ـ٢١.

٢. *ن.م.*، الخطبة ١٦٥، المقاطع ٣٠ـ٣٥.

في الجنّة منزلٌ إلّا وفيها شجرٌ منها، فقلتُ: ما هذه يا جبرئيل؟ فقال: هذه شجرة طوبى، قال اللّه تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1].»[2]

٢. يقول الإمام الصادقعليه‌السلام:

«طوبى شجرةٌ في الجنّة في دار أمير المؤمنينعليه‌السلام، وليس أحدٌ من شيعته إلّا وفي داره غصن من أغصانها، وورقة من أوراقها تستظلّ تحتها أمّةٌ من الأمم».[3]

٣. وينقل الإمام الصادقعليه‌السلام عن أنّ النبيّ الأكرمصلى‌الله‌عليه‌وآله كان يُكثر من تقبيل فاطمةعليها‌السلام، فأنكرت ذلك عايشة، فقال رسول اللّهصلى‌الله‌عليه‌وآله:

«يا عايشة إنيّ لمّا أُسري بي إلى السماء دخلتُ الجنّة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها فأكلته، فحوّل اللّه ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطتُ إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، وكلّما اشّتقت إلى الجنّة قبّلتُها وما قبلتُها قطّ إلّا وجدت رائحةَ شجرةِ طوبى فهي حوراءٌ إنسيّة».[4]

٤. ويقول النبيّ الأكرمصلى‌الله‌عليه‌وآله لعليّعليه‌السلام: «يا عليّ أنت المظلوم بعدي وأنت صاحب شجرة طوبى في الجنّة أصلها في دارك وأغصانها في دار شيعتك ومحبّيك».[5]

٥. ونقلاً عن الإمام موسى بن جعفرعليهما‌السلام أنّه سُئل رسول اللّهصلى‌الله‌عليه‌وآله عن طوبى؟ قال: «شجرةٌ أصلُها في داري وفرعُها على أهل الجنّة، ثمّ سُئل عنها مرّةً أخرى فقال: في دار عليّعليه‌السلام، فقيل له في ذلك؟ فقال: إنّ داري ودار عليّ في الجنّة بمكانٍ واحد».[6]

ويقول المرحوم الفيض الكاشانيّ:

قال بعض المحقّقين:

«وتأويل ذلك من جهة العلم: أنّ المعارف الإلهيّة ـ سيّما ما يتعلّق بأحوال الآخرة

---

١. الرعد: ٢٩.

٢. *نور الثقلين*، ج٢، ص٥٠٢، ح١٢٠.

٣. ن.م.، ح١٢١.

٤. ن.م.، ح١٢٢.

٥. ن.م.، ص٥٠٤، ح١٢٦,

٦. ن.م.، ج٢، ص٥٠٦، ح١٣٧.

وما لا تستقلّ بإدراكه العقول على طريقة الفكر البحثيّ ـ إنّما يقتبس من مشكاة نبوّة خاتم الأنبياء ـ عليه وعليهم السّلام ـ ونور ولايته المندمج في رسالته، المنتشر أضواؤه من ولاية أفضل أوصيائه عليّ عليه السلام في نفوس القابلين للهدى والإيمان، المستعدّين للعلم والعرفان؛ فإنّ آثار العلوم الإلهيّة والمعارف الحقيقيّة إنّما نشأت في قلوب عرفاء هذه الأمّة المرحومة من بدر ولايته ونجم هدايته. كما أفصح عنه قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». ونسبة ذاته المقدّسة بالنسبة إلى سائر الأولياء والعلماء بالولادة المعنويّة كنسبة آدم أبي البشر إلى سائر الناس بالولادة الصوريّة؛ ولذلك ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا عليّ أنا و أنت أبوا هذه الأمّة».[١]

١. *علم اليقين*، ج٢، ص١٢٤٩.

الفصل الثاني والعشرين

جهنّم وأسباب دخولها

أسماء جهنّم

ذكر القرآن جهنّم بأسماءٍ عديدة، ويشير كلّ اسمٍ إلى ميزةٍ خاصّةٍ بها، ولكن اسم «جهنّم» هو أكثر الاستعمالات؛ فقد تكررت هذه الكلمة ٢٨ مرّة في السور المكّيّة و٢٩ مرّة في السور المدنيّة، ومجموع ذلك ٧٧ مرّة، وأمّا الأسماء الأخرى لجهنّم وعددها فهي كالتالي:

«لظى» مرّة واحدة، «الحُطمة» مرّتان، «السعير» ثماني مرّات، «سُعُر» مرّتان، «سقر» أربع مرات، وكلّها في السور المكّيّة، و«الجحيم» خمس وعشرون مرّة (تسع عشرة مرّة في السور المكّيّة و٦ مرّات في السور المدنية)، «الهاوية» مرّة واحدة.[١]

معنى جهنّم

جهنّم بعقيدة جميع الأديان، هي مكانٌ في عالمٍ آخر يُجازى فيه المجرمون بأنواعٍ من العقوبات.

و«جهنّم» في الدين الزردشتيّ مكانٌ في العالم الآخر، حيث يرى المذنبون جزاء أعمالهم السيّئة وذلك المحلّ عميقٌ بشدّة، مثل بئرٍ مظلمٍ وباردٍ جدًّا، ينتشر فيه الضباب والنتانة والحيوانات المؤذية التي يبلغ حجم أصغرها ارتفاع جبلٍ وتقوم بمعاقبة الأشرار. ومن العذابات الموجودة في هذا المكان أيضًا العطش، الجوع، التعليق رأسًا على عقب، غرز المسامير الخشبيّة في العيون، إلصاق الثدي (للإناث) على التنور الساخن، التعليق بالأثداء، قطع اللسان، وأمثال ذلك من أنواع عذابات أهل جهنّم.

---

١. *المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن*، ج٢ و٣.

وفي الدين الزرادشتيّ، ذُكر لجهنّم ثلاث طبقات:

بعد أن تصل روح المذنب إلى جسر «تشنوت/چنوت» (الصراط)، ترِد في المرحلة الأولى إلى «دُجمت/دژمت» (الخيال السيّئ)، وفي المرحلة الثانية «دُجُوخت/ دژوخت» (القول السيّئ)، وفي المرحلة الثالثة «دُجورشت/ دژورشت» (العمل السيّئ). وبعد العبور من هذه المهالك تصل في النهاية إلى فضاءٍ مظلمٍ لا نهاية له، وهناك حيث «دوجنكه/ دوژنگه» أي العالم القبيح وهو في اللغة الفارسيّة «دوزخ» (جهنّم).[1]

واعتبر قاموس الكتاب المقدّس أنّ جهنّم = هنوم مكان للهلاك؛ ولذلك تُطلق كلمة جهنّم على مكان بكاء المجرمين وعويلهم وضجيجهم، نارهم الأبديّة وعقابهم الدائم؛ وكما أنّ الجحيم (= الهاوية) محطّ الأموات، كذلك تُستعمل هذه الكلمة أحيانًا بمعنى القبر والموت وأحيانًا تُصوّر على أنّها مكانٌ تحت الأرض له أبوابٌ عدّة وهو مكانٌ مظلمٌ ومرعب، حيث تؤخذ الأرواح إلى هناك للقصاص ولا يمكن الرجوع منه إلى الأرض. ويحضر الأموات هناك أمام الحقّ تعالى. وهناك يوم القيامة، سيكون الأخيار مع اللَّه وسيُبعد الأشرار عنه ويُبتلون بالقصاص الأبديّ.

كذلك نقرأ في الكتاب المقدّس أنّ «الفردوس» كلمةٌ فارسيّة ومعناها الأصليّ «سايبان» و«باغ» أي «الحظيرة» و«الحديقة». والفردوس هو مكان سعادة الأموات الصالحين. وقد ميّز اليهود بين فردوسين، الفردوس العلويّ وهو جزءٌ من السماء، والفردوس السفليّ وهو قسمٌ من مقرّ الموتى وتُخصّص لنفوس الأبرار.[2]

سرّ خلق جهنّم

أوّلًا، في الرؤية الكونيّة للإسلام وفي النظام الإلهيّ الحكيم كما أنّ وجود الجنّة ضروريّ ومفيد في كلّ نظام الوجود، كذلك فإنّ وجود جهنّم أيضًا لازمٌ ومفيد. لذلك، عندما يعدّد اللَّه تعالى النِعم الإلهيّة في سورة «الرحمن» ويأخذ الاعتراف من الجنّ والإنس أنّه بأيّ

---

١. *لغت نامه دهخدا*، نقلاً عن «يشت ها»، ج١٢، ص١٧٠.

٢. *قاموس الكتاب المقدس*، كلمات جهنّم، هنوم، الجحيم، الفردوس.

آلاء ربكما تكذّبان، يجعل جهنّم وعذاباتها في نفس مستوى النِعم الإلهيّة ويدعو الجميع إلى الاعتراف بها: ﴿...هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.[١]

ويقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنّة».[٢] كذلك يسأل الراوي الإمامَ الرضا عليه السلام:

«يا بن رسول اللّه فأخبرني عن الجنّة والنّار: أهما اليوم مخلوقان؟ قال: نعم. وأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النّار لمّا عُرج به إلى السماء. قال: فقلت له: إنّ قومًا يقولون: أنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين؟ فقال: ما أولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويُخلّد في نار جهنّم. قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿...هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾».[٣]

ثانيًا، إنّ خلق جهنّم ووجودها والإشارة إلى عذابها المؤلم وعقوباتها المرهقة جدًّا يجعل مجموعةً كبيرة من أواسط النّاس الذين لم يصلوا بعد إلى ذروة رؤية العبوديّة تمتنع عن فعل السوء، وتصدّهم عن الانحراف والفساد والتعسّف، بل إنّها أفضل عاملٍ للردع عن المعاصي، وما أكثر الذين نالوا السعادة والشرف الخالد بسبب خوفهم من جهنّم، وإذا كان اللّه الحكيم قد عدّ جهنّم في عداد النِعم، فقد ذكرها حقًّا على أنّها نعمةٌ عظيمة، ولو لم تكن هذه النّار المحرقة لربما لم يكن أكثر النّاس من أهل العبوديّة؛ لذلك عندما يذكر اللّه مختلف الفاكهة والنّخل ذات الأكمام، واللؤلؤ والمرجان، وحور العين والسفن التي تشقّ البحار بإذنه، فإنّه يقول بعد ذلك مباشرةً: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾.[٤] إذن، أيّ نعمةٍ من هذه النِعم تنكرون أيّها الجنّ والإنس؟ ولذلك يقول إنّ

---

١. الرحمن: ٤٣ـ٤٥.
٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٩٦، ح٤٥.
٣. *ن.م.*، ص١٩٦، ح٤٤.
٤. الرحمن: ٣٥.

مقيمَ الصلاة يخاف من جهنّم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾.[١] إذ إنّ أحدًا لم يأخذ عهد أمانٍ من اللّه، وليس لأحد ضمانة في أن لا يُعاقب ويُجازى وأنّه سيؤخذ مباشرةً إلى جنّة العلى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾.[٢] نعم، هذا هو حال المقيمين للصلاة حقًّا؛ ولذلك فقد قال النبيّ ﷺ مرارًا وتكرارًا: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أبدًا».[٣] واليوم تؤدّي القوانين الجزائيّة للدول دور المانع والرادع، بحيث أنّه لو لم يتمّ وضع هذه القوانين لارتفعت معدّلات الجريمة بشكلٍ كبير. على هذا الأساس، إنّ خَلق جهنّم في هندسة حكمة العالَم، محلّ حاجةٍ وضرورة.

ثالثًا، إنّ جهنّم ليست إلّا جزاء عمل الإنسان. وهذا النوع من العقوبات التكوينيّة قهريّة، حيث إنّ الإنسان هو من يورّط نفسه بها ويسعّرها: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[٤] وجاء في آيةٍ أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[٥] فالله لم يجعل وسائل الإحراق والاحتراق إلّا أعمالكم، بل إنّ وجود الظالم في حدّ ذاته هو الحطب والمادّة المُحرقة لجهنّم: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.[٦] على هذا الأساس، يجب أن يخشى المرءُ اللهَ في علاقته بمثل هذه النار: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.[٧] ويصرّح القرآن بهذه الحقيقة بوضوحٍ تامٍّ ومن دون اللجوء إلى المجاز والاستعارة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾.[٨]

على أيّ حال، فإنّ أيّ بذرةٍ يبذرها الإنسان في مزرعة نفسه ويرويها، سوف يحصد محصولها، وإلى ذلك يشير المسيح عليه السلام في قوله: «إنّ الدنيا خُلقت مزرعةً يزرع فيها العباد

---

١. المعارج: ٢٧.

٢. المعارج: ٢٨.

٣. *البحار*، ج٩٥، ص٤٧.

٤. النمل: ٩٠.

٥. التحريم: ٧.

٦. الجنّ: ١٥.

٧. البقرة: ٢٤.

٨. النساء: ١٠.

الحلو والمرّ والشرّ والخير؛ الخير له مغبّة نافعة يوم الحساب، والشرّ له عناءٌ وشقاءٌ يوم الحصاد».[١] بناءً لما تقدّم، إنّ القيامة هي «يوم الحصاد».

جهنّم من منظار الإمام عليّ عليه السلام

بعد أن يقوم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بمقارنةٍ بين الجنّة والنّار ويصوّر صفات الجنّة الجميلة ويُعلن عن أجر أهل الطاعة في جوار الرحمة في الجنّة الخالدة من دون تغيير حالٍ و... يقول:

«وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار، وغلّ الأيدي إلى الأعناق وقرن النّواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران ومقطّعات النيران، في عذابٍ قد اشتدّ حرّه وبابٍ قد أطبق على أهله، في نارٍ لها كَلَبٌ ولَجَبٌ ولهبٌ ساطع، وقصيفٌ هائل، لا يظعن مقيمها ولا يفادى أسيرها، ولا تُفصم كُبولها، لا مدّة للدّار فتفنى، ولا أجلٌ للقوم فيُقضى».[٢]

كذلك يقول عليه السلام: «فاحذروا نارًا قعرها بعيدٌ، وحرّها شديدٌ، وعذابها جديدٌ، دارٌ ليس فيها رحمة، ولا تُسمع فيها دعوة، ولا تُفرّج فيها كربة...». وحتى لا يقع المرء في اليأس، يستمر أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه، وأن يحسن ظنّكم به، فأجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه، وإن أحسن النّاس ظنًّا باللّه أشدّهم خوفًا للّه».[٣]

فكلما أصبح ظنّ العبد باللّه أكثرحُسنًا، أصبح خوفه أكبر ولا يُقدِم على عملٍ يعذبّه اللّه عليه. وينقل ابن أبي الحديد عن الإمام الرابع، علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «لو أنزل اللّه عزوجل كتابًا أنّه معذّبٌ رجلاً واحدًا لرجوت أن أكونه، وأنّه راحم رجلاً واحدًا لرجوت أن أكونه...).[٤]

---

١. *البحار*، ج١٤، ص٣١٤.

٢. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٠٩، المقاطع ٣٢ـ٣٤.

٣. ن.م.، الرسالة ٢٧، المقاطع ١٠ـ١٢.

٤. شرح *نهج البلاغة*، ابن أبي الحديد، ج١٥ـ١٦، ص١١٤.

أوصاف جهنّم في القرآن

يذكر القرآن المجيد بعض أوصاف جهنّم كالتالي:

١. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.[1]

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[2]

ويسأل شخصٌ الإمامَ الصادق عليه السلام: «كيف تبدّل جلودهم غيرها؟ قال عليه السلام: أرأيت لو أخذت لبنةً فكسرتها وصيّرتها ترابًا ثم ضربتها في القالب أهي الّتي كانت، إنّما هي ذلك وحدث تغييرٌ آخر والأصل واحد».[3]

وقد أشار نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله إلى عينةٍ عن الذين تنتظرهم مثل هذه العذابات:

«إنّ قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام في تابوتٍ من نارٍ عليه نصفُ عذاب أهل الدّنيا، وقد شُدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نارٍ منكّسٍ في النّار حتى يقع في قعر جهنّم، وله ريحٌ يتعوّذ أهل النّار إلى ربّهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالدٌ، ذائق العذاب الأليم مع جميع مَن شايع على قتله. كلّما نضجت جلودهم بدّل اللّه عزّ وجلّ عليهم الجلود، حتّى يذوقوا العذاب الأليم، لا يفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنّم. فالويل لهم من عذاب النّار».[4]

وهذه النّار ليست من نوع النيران الرحيمة، التي تُحرق الإنسان فتقضي عليه ومن ثمّ لا يعود جسم الإنسان يشعر بالاحتراق والحرارة مهما احترق، بل طالما هو يحترق، فإنّه لا يموت وتصل إلى أعماق جلده، وعظامه، وأعضائه وجوارحه وقلبه. نعم، حتى عِظام الإنسان التي حاسة لمسها لا تشبه حاسة لمس الجلد، تشعر بالألم والاحتراق. وأولئك

---

١. الزخرف: ٧٤ـ٧٨.

٢. النساء: ٥٦.

٣. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٩٤، ح٣١٣.

٤. *ن.م.*، ص٤٩٥، ح٣١٧.

الذين يقومون بحرق أنفسهم أو الانتحار مخطئون إذ يظنّون أنّهم سيرتاحون بعد لحظاتٍ من الاحتراق والذوبان. فهم غافلون عن أنّ النّار الأخرويّة ليست من نفس نوع النّار الدنيويّة؛ إذ من خصائص هذه النّار أنّها لا تُميت الإنسان ولا تُبقيه حيًّا كسائر الأحياء: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.[١]

٣. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.[٢]

وتشير هذه الآية أيضًا إلى أنّ الإنسان هو من يسعّر النّار لتُحرقه، واللّه تعالى هو من يتولّى هذه النّار المحرقة وجهنّم المتحرّكة: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ ويوصله إلى جهنّم الأصليّة والعظيمة، والانقلاب إلى جهنّم من أسوأ «المصائر»: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، فصيرورة الإنسان إلى جهنّم من أسوأ المصائر. ومن البديهي أن يتمّ في النهاية نقل هذا النوع من جهنّم إلى جهنّم أكبر قد أُعدّت للكافرين: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾؛ لذلك فإن كان القرآن يقول: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[٣]، فلا ينبغي إظهار التعجّب كيف سيتمّ إحضار جهنّم، بل ما سيتمّ إحضاره هو نموذجٌ عن جهنّم الصغرى، أي الإنسان العاصي المذنب.

وهناك الكثير من الكلام حول أوصاف جهنّم، سوف تتمّ الإشارة إلى بعضها ضمن المطالب اللاحقة.

أسباب جهنّم

الأول: الذنب

تعتبر المعصية والذنب من أعظم وأهم أسباب الدخول إلى جهنّم ويمكن القول بدقّة أنّ جميع أسباب دخول جهنّم تقع تحت كلمة «الذنب»، ولكن لم يكتفِ القرآن بهذا العنوان فقط، بل ذكر أسبابًا وعوامل أخرى أيضًا لعلّ الإنسان يتذكّر ويرجع إلى نفسه. ولذلك فإنّه يقول:

---

١. الأعلى: ١٣.
٢. النساء: ١١٥.
٣. الفجر: ٢٣.

١. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[١]

والمهاد هي الفرش الممدود والمعدّ ليصبح سريرًا للاستقرار فيه، والتمهيد يعني الإعداد والتجهيز أيضًا؛ لذا يعتبر القرآن الكريم جهنّم مهدًا وفراشًا للمجرمين؛ أي أنّ الإنسان بعمله يمدّ فراشه بنفسه. يقول تعالى في آيةٍ أخرى مبيّنًا هذا المعنى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.[٢]

٢. ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٣]

٣. ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾؛[٤] أي لا يموت حتى يتخلّص من العذاب، ولا يتمتّع بحياةٍ سليمة حتى يمكن وصفها بأنّها حياة.

٤. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.[٥]

وجاء في الحديث نداء أهل النار وطلبهم أن يخفّف اللّه عنهم العذاب، فآتاهم الجواب أنّكم ماكثون هنا؛ ثمّ قال اللّه عز وجل: لقد جئناكم بالحقّ، يعنى بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن أكثرهم للحقّ كارهون... وظلمتم آله محمّدٍ صلى الله عليه وآله وتعاهدتم بأن لا تردّوا الأمر في أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله. ـ بتصرّف ـ[٦]

٥. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٧]

وورد في تفسير عليّ بن إبراهيم «ومن يعص اللّه ورسوله في ولاية عليّ، فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها ابدًا. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا عليّ أنت قسيم الجنّة والنّار...**»[٨]

إشارة:

---

١. البقرة: ٢٠٦.

٢. الروم: ٤٤.

٣. مريم: ٨٦.

٤. طه: ٧٤.

٥. سرة الزخرف: ٧٤ـ٧٥.

٦. *نور الثقلين*، ج٤، ص٦١٤، ح٩١.

٧. الجن: ٢٣.

٨. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٤١، ح٤٦.

١. تُطرح مسألة التمرّد على اللّه وعصيانه أحيانًا من ناحية كونها مسألةٌ كلاميّة، نظير ما يُطرح حول ولاية أهل البيتﷺ، وقد تطرح من ناحية كونها مسألة فقهيّة وحقوقيّة لا تحتاج إلى التمثيل أحيانًا.
٢. إنّ ما ذُكر في الأحاديث الآنفة الذكر هي من سنخ التطبيق وليس التفسير.

الثاني: الكفر والنفاق

من أبرز فئات أهل النّار هم الكفّار والمنافقين؛ ذلك أنّ القرآن قد خصّ الكفر والنفاق والكافرين والمنافقين بالكثير من الآيات؛ مثل:

١. ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1]

٢. ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[2]

٣. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.[3]

٤. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[4]

والنكتة البارزة التي يمكن استخراجها من هذه الآية هي أنّ الكفّار يستعجلون العذاب، في حين أنّهم لا يعلمون أنّ جهنّم محيطةٌ بهم الآن؛ لأنّ كلمة «محيطة» حتى لو كانت على وزن اسم فاعل من باب إِفعال، إلاّ أنّها صفةٌ مشبّهة وليست اسم فاعل، وهي تدلّ على الثبات والاستمرار وليس الحدوث. وفي النهاية، سوف تُبرِز جهنّم في يوم القيامة وجهها للكافر وإحاطتها به، وسوف يطّلع عليها الملحد المذنب بعد كشف الغطاء والحجب.

---

١. النساء: ١٤٠.

٢. آل عمران: ١٢.

٣. التوبة: ٦٨.

٤. العنكبوت: ٥٤ـ٥٥.

٥. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[١]

«الوقود» هو شيءٌ لديه استعدادٌ شديدٌ للاشتعال، وفي يوم القيامة، أولئك الذين كانوا قد اكتسبوا في الدنيا مثل هذا الاستعداد وأصبحوا مثل حجر الكبريت قد خبَّؤوا النّار في داخلهم وجهّزوها وحملوها من داخلهم إلى الآخرين بواسطة الوقود والاحتراق، وهو نفس ذلك الشيء الذي كانوا يملكونه في الدنيا والنّار التي أشعلوها لأنفسهم؛ لذلك يقول في آخر الآية: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، أي أنّ جهنّم مجهزةٌ مسبقًا، وقد جعلوا أنفسهم حجارة كبريتٍ معدٌّ للانفجار.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ولقد مررنا مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله بجبلٍ، وإذا الدّموع تخرج من بعضه. فقال له ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول اللّه، كان المسيح مرّ بي وهو يخوّف النّاس بنارٍ وقودها النّاس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة. قال: لا تخف، تلك الحجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن وهدأ وأجاب».[٢]

نعم، إنّ الحجارة التي نظنّها جامدة وبلا إحساس، مثلها مثل العالم تتمتّع بالإحساس والإدراك، وقد كشف القرآن مرارًا الحجاب عن هذه الأسرار: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛[٣] ويقول أيضًا: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.[٤]

٦. ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.[٥]

تبصرة: على الرغم من أنّ العصيان المصطلح والكفر والنفاق يتسبب كلٌّ منها في دخول المرء إلى جهنّم، إلاّ أنّ استحقاق دركاتها وكذلك دوامها وانقطاعها وشدّة عذاباتها الجانبيّة وضعفها ليست متساوية.

---

١. البقرة: ٢٤.

٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٣ـ٤٤، ح٥٨.

٣. البقرة: ٧٤.

٤. الحشر: ٢١.

٥. الفتح: ٦.

الثالث: غضب الله

١. ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.[١]

يقول الإمام الصادقؑ في تفسير ذيل الآية أعلاه على قاعدة الجري والتطبيق: «...فهم واللّه الذين جحدوا حقّ عليّ بن أبي طالب، وحقّ الأئمّة منّا أهلُ البيت فباؤوا بذلك بسخط من اللّه».[٢]

٢. ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٣]

تبصرة: إنّ استحقاق الغضب الإلهيّ مسبوقٌ بالعُصيان أو الكفر والنفاق كما ذُكر أعلاه، بناءً عليه فإنّ استحقاق غضب اللّه في حدّ ذاته ليس هو السبب البتدائيّ لدخول جهنّم.

الرابع: الصدّ عن سبيل الله

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾؛[٤] تحذّر هذه الآية أولئك الذين يصدّون النّاس ويُبعدونهم عن القيم الإلهيّة والإسلاميّة العليا والسامية ويشكّلون عائقًا أمام وصولهم إلى السعادة، أو أنّهم يهدّمون الفكر الدينيّ للنّاس ويقومون بحَرفهم عن جادّة الحق، وفي الحقيقة إنّ هذه المجموعة هي مساعِدَة للشيطان وماكرة مثله. والصدّ يعني صَرف النفس والآخر، وإذا ما أحدث امرؤٌ حاجزًا حتى لا يتمكّن النّاس من الوصول إلى المساجد والمقامات الدينيّة والمراكز الثقافيّة الإسلاميّة، فهذا أيضًا في حدّ ذاته صدٌّ عن سبيل اللّه.

الخامس: القتل العمد للمؤمن

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.[٥]

---

١. آل عمران: ١٦٢.

٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٠٦، ح٤٢٠.

٣. الأنفال: ١٦.

٤. النساء: ٥٥.

٥. النساء: ٩٣.

وقد وردت أحاديث في تفسير ذيل هذه الآية تعتبر قتل النّفس من الذنوب الكبيرة التي لا تُغتفر وتُصرّح أنّ كِبر هذا الذنب بقدرٍ يجعل الحقّ تعالى يلعن القاتل، في حين أنّ لعنة اللّه في القرآن تشمل حال الكفّار فقط، إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.[١]

إشارة: أحيانًا يكون القتل العمديّ بسبب مسائل قانونيّة، اجتماعيّة، سياسيّة واقتصاديّة وأمثال ذلك، فإن كان المقتول في هذه الحالة مؤمنًا، فسوف يعتبر مثل هذا القتل من الذنوب الكبيرة ويستلزم الدخول إلى النّار، ويتمّ طرح كلّ من حكمه الفقهيّ من ناحية الكفّارة وحكمه القانونيّ من ناحية القصاص، وحكمه الكلاميّ من ناحية التوبة على نحوٍ منفصل، وأحيانًا يحصل القتل العمديّ بسبب المسائل العتقاديّة؛ كأن يقوم امرؤٌ بقتل مؤمنٍ بسبب اعتقاده الإيمانيّ، فإنّ مثل هذا القتل، فضلاً عن أحكامه الآنفة الذكر، يصاحبه مسار الإخلاد في جهنّم. فإذا كان مُراد الآية مثل هذا النوع من القتل، فمعنى خلود الكافر واضحٌ، وإذا لم يكن من أجل الاعتقاد، فيُحمل عنوان الخلود على المكث الطويل.

السادس: اتّباع سبل الانحراف

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.[٢]

تبصرة: ينشأ اتّباع الطريق المنحرف من عدم اتّباع سبيل النبيّ ﷺ وشقاقه واتخاذ الموقف الباطل تجاهه. على هذا الأساس فإنّ السبب المهم لدخول جهنّم هو ذلك الشّقاق والموقف السيّئ والخاطىء تجاه الرسول الأكرم ﷺ.

السابع: اتّباع الشيطان

١. ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛[٣] إنّ اتّباع الشيطان إمّا أن يكون في التمرّد أو في الكفر والنفاق، ولن يكون ثمّة سبب منفصلٌ

---

١. الأحزاب: ٦٤ـ٦٥.

٢. النساء: ١١٥.

٣. الأعراف: ١٨.

أبدًا.

٢. ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾؛[١] ويرجع اتّباع إبليسَ كما قيل إلى أحد الأمور السابقة الذكر.

٣. ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ❋ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[٢]

وينقل أبو بصير عن أبي عبد اللّهعليه السلام أنّه:

«إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس في سبعين غلًّا، وسبعين كبلاً (القيد)، فينظر الأوّل إلى زُفَرٍ في عشرين ومئة كبلٍ وعشرين ومئة غلٍّ، فينظر إبليس فيقول: من هذا الذي أضعفَ اللّه له العذاب وأنا أغويت هذا الخلق جميعًا؟ فيقال: هذا زُفر، فيقول: بما جُدّد له هذا العذاب؟ فيقال: ببغيه على عليّعليه السلام، فيقول له إبليس: ويل لك وثبوره لك، أما علمت أنّ اللّه أمرني بالسجود لآدم فعصيته، وسألته أن يجعل لي سلطانًا على محمّدٍ وأهل بيته وشيعته فلم يجبني إلى ذلك، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ❋ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾».[٣]

٤. ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❋ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ❋ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ❋ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[٤]

ويقول الإمام الجوادعليه السلام: «من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان النّاطق عن اللّه فقد عبد اللّه، وإن كان النّاطق عن إبليس فقد عبد إبليس».[٥] من البديهيّ أنّ مصير عبادة الشيطان واتّباع كلامه ليس إلّا جهنّم. إذًا من الواجب علينا أن لا نسمح لحيله وخِدعه الملوّنة والبرّاقة أن تنطلي علينا، وأن لا نبيع جوهرة الفطرة الثمينة والطاهرة بثمنٍ كاذب.

تبصرة: كما تمّت الإشارة سابقًا، يظهر اتّباع إبليس في ترك الامتثال لأمرٍ اللّه، وهذا

---

١. الإسراء: ٦٣.

٢. الحجر: ٤٢_٤٣.

٣. *نور الثقلين*، ج٣، ص١٦، ح٥٨.

٤. يس: ٦٠_٦٣.

٥. *نور الثقلين*، ج٤، ص٣٩١، ح٧٠؛ *البحار*، ج٢، ص٩٤، ح٣.

يكون إمّا بترك الواجب أو فعل الحرام، والعمل الحرام إمّا يكون جزءًا من المعاصي العاديّة، أو من الكفر والنفاق. أعاذنا اللّٰه من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

الثامن: كنز الذّهب والفضّة

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.[1]

يظهر من حديثٍ عن نبيّ الإسلامﷺ أنّ عدم دفع الزكاة هو من أسباب جهنّم أيضًا؛ إذ يقولﷺ: «كلّ مالٍ تؤدّى زكاته فليس بكنزٍ، وإن كان تحت سبع أرضين، وكلّ مالٍ لا تؤدّى زكاته كنزٌ إن كان فوق الأرض...».[2]

ويُستفاد من سائر روايات الأئمّةعليهم السلام أيضًا أنّه ليس من اللائق في الإسلام اكتناز الذهب والفضّة (المال والائتمان)، ولا ينبغي أن يُصرف إلّا في المورد الصحيح والمناسب، بل من الضروريّ أن تتم مداورته دومًا؛ وكما يقول أمير المؤمنينعليه السلام نقلًا عن رسول اللّٰهﷺ أنّه قال: «الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مُهلكاكم».[3] وكذلك جاء في الحديث أنّ الذهب والفضة حجران ممسوخان فمن أحبّهما كان معهما.[4] أي أنّ لديهما الاستعداد والاقتضاء في أنّ يُخرجا الإنسان من حالة الطُّهر وعدم التلوّث ويهبانه صورةً أخرى كأنّها صورةٌ قد مُسخت.

تبصرة: إنّ المال الحلال إذا ما دُفع منه الحقوق الواجبة ولم يتعلّق به خمسٌ ولا زكاة، ولم يكن مالكه محكومًا بكفّارة أو صدقة واجبة عن طريق نذرٍ وما شاكل أو دية وسائر الغرامات، ولم يبلغه وجود فقيرٍ معرّض للخطر، فإنّه لا يعتبر من المال المكنوز.

---

١. التوبة: ٣٤ـ٣٥.

٢. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢١٣، ح١٣٠.

٣. ن.م.، ص٢١٤، ح١٣٦.

٤. *ن.م.*، ج٢، ح١٣٧.

التاسع: العداء لله والرسولﷺ ومعارضتهما

١. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.[1] إنّ من لا يرعى حدود الوحي وحُرمة النبوّة والشريعة، ولا يحترم حدّه في العبودية وإطاعة أمر اللّه، ونتيجة عدم مراعاة حدود العبد والمولى، فإنّه يقع في المحادّة، سوف يتلوّث مثل هذا الإنسان بالكفر والنفاق.

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛[2] وكما تمّت الإشارة سابقًا إنّ منشأ هذا النوع من الصيرورة الجهنّمية هو ذلك الكفر والنفاق اللذين جاء ذكرهما في بداية المطلب.

العاشر: التكبّر

١. ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾؛[3] وكذلك فإنّ المعنى نفس موجودٌ في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[4]

ويقول أمير المؤمنينعليه السلام:

«...وإن كان عدوّ اللّه، فُتحت له أبواب النّار وشُرّع له طرقُها، ونظر إلى ما أعدّ اللّه له فيها، فاستقبل كلّ مكروهٍ ونزل كلّ شرور، كلّ هذا يكون عند الموت وعنده يكون بيقين..».[5]

تبصرة: التكبّر تجاه اللّه هو ذلك الخلُق الاستكباري لإبليس نفسه والذي يصاحبه الكفر، على عكس التكبّر تجاه الآخرين الذي هو في مرتبة المعاصي العاديّة.

٢. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[6]

---

١. التوبة: ٦٣.

٢. المجادلة: ٥.

٣. النحل: ٢٩.

٤. الزمر: ٧٢.

٥. *نور الثقلين*، ج٣، ص٥٢، ح٧٥.

٦. الزمر: ٦٠.

تبصرة: سيكون الكذب على اللَّه والتكبّر تجاهه مصاحبًا مع الكفر.

يقول الإمام الصادقؑ: «إنّ في جهنم لوادٍ للمتكبّرين يُقال له سَقَر، شكا إلى اللَّه عزّ وجلّ شدّة حرّه وسأله أن يتنفس فأذن له، فتنفّس فأحرق جهنّم».[1]

٣. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[2]

ويفسّر أمير المؤمنينؑ الاستكبار بأنّه: «هو ترك الطّاعة لمن أُمروا بطاعته والترّفّع على من نُدبوا إلى متابعته»؛[3] ويقولؑ في خطبةٍ أخرى: «فإنّ اللَّه عزّ وجلّ يستجيب لكلّ من دعاه، ويورد النّار من عصاه، وكلّ مستكبرٍ عن عبادته».[4]

ويقول الإمام السجادؑ بعد ذكرة الآية أعلاه: «فسمّيتَ دعاءك عبادةً، وتركه استكبارًا، وتوعّدتَ على تركه دخول جهنّم داخرين».[5]

تبصرة: تترافق العناوين المذكورة أعلاه مع جحود المبدأ وإنكاره حينًا، وهذا العمل هو الكفر، وتترافق مع الاعتقاد بالمبدأ والأصول الأوّليّة حينًا آخر، ولكن من دون الطاعة على مستوى العمل، وعندها يكون مرادفًا للمعاصي العاديّة.

الحادي عشر: الشرك وعبادة الأوثان

١. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾.[6] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[7]

إشارة: الاستقلال في التأثير من لوازم الألوهيّة، ولن يكون الاستقلال في التأثير على مستوى العالَم ممكنًا من دون النفوذ في مقام الحكم المطلق؛ لأنّه لدى الموجود المحدود قدرة محدودة، فإن أراد أن يكون مستقلًّا في التأثير،ف يجب أن يستمدّ العون من قدرةٍ

---

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٤٩٦، ح٩٧.

٢. غافر: ٦٠.

٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص٥٢٦، ح٦٨، ذيل الآية ٤٧ من غافر.

٤. ن.م.، ص٥٢٧، ح٧٣، ذيل الآية ٦٠ من غافر.

٥. *ن.م.*، ص٥٢٧، ح٧٥؛ *الصحيفة السجادية*، الدعاء الرابع والخمسين.

٦. الإسراء: ٣٩.

٧. الإسراء: ٤٢.

أعلى، ولا تنسجم القدرة الأعلى مع الاستقلال؛ إذن يجب أن يكون الموجود الذي يتمتّع بالاستقلال في الألوهيّة، قادرًا على نيل مقام الحاكميّة المطلقة أي صاحب العرش، وفي هذه الحالة لن يكون شريكًا للّه أبدًا، بل سيكون هو اللّه نفسه. بناءً على ما تقدّم، يجب إعلان بطلان كلّ شركٍ بالرجوع إلى التوحيد.

٢. ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.[١]

وتعني كلمة «حَصَب» حطب جهنّم، وهذا المعنى عميق؛ لأنّ الحطب يُحرق أولاً نفسه ومن ثمّ الشيء الآخر، والإنسان المجرم الفاسد يجرّ وجوده إلى النّار أوّلاً فيُسلب ذاتيته ويُقضى على شخصيّته ومن ثمّ يُفسد الآخرين، وقد جاء في الحديث أنّ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النّار الحطب؛ ولذلك يدعوهم القرآن بصفتهم «وقودًا» تارةً كما أُشير إلى ذلك سابقًا. ويدعوهم «حطَب» وأحيانًا «حَصَب جهنّم» تارةً أخرى؛ لأنّ المذنب سواء أكان حطبًا أم حجارةً محترقة، فإنّهما مشتركان من هذه الجهة.

الثاني عشر: الاستهزاء بالقيم

١. ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[٢]

٢. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]

٣. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[٤]

ربما تنشأ شبهة مفادها أنّه هل من الممكن أن يستهزىء اللّه بعباده ويسخر منهم أيضًا؟ وعندها ما الفرق بين الخالق والمخلوق؟

---

١. الأنبياء: ٩٨ـ١٠٠.

٢. الكهف: ١٠٦.

٣. الجاثية: ٩ـ١٠.

٤. البقرة: ١٤ـ١٥.

وقد طرح فضّال هذا الأمر على الإمام الرضا، فأجابه:

«إنّ اللّٰه تعالى لا يسخر ولا يستهزىء ولا يمكر ولا يخادع، ولكنّه تعالى يجازيهم جزاء السّخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة، تعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا».[١]

إشارات:

١. إنّ العناوين الآنفة الذكر هي من الأوصاف الفعليّة للّٰه، وليست من أوصافه الذاتيّة.

٢. لقد تمّ وضع الألفاظ من أجل أرواح المعاني وأهدافها وليس لخصوصيّة المصداق من دخالةٍ في نصّ المعنى والمفهوم.

٣. يمكن إسناد صفات من قبيل الاستهزاء، المكر، الخديعة و... إلى اللّٰه سبحانه بعد تصفيتها من خصوصيّات المصداق.

الثالث عشر: خِفّة الموازين

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ❁ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.[٢]

إشارة: إنّ منشأ خِفّة موازين أعمالهم يعود إلى أنّ الوَزن هناك هو الحقّ، ويتمّ قياس كلّ عقيدة وخُلق وعملٍ بالحقّ: **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾**.[٣] فإن كان امرؤٌ فاقدًا للعقيدة والخُلق والعمل على أثر الإلحاد والكفر، فستكون كفّته الموزونة خفيفة، ومثل هذا الشخص محكومٌ بجهنّم بسبب كفره وإلحاده؛ كما تمّ بيانه سابقًا.

ويقول طاووس الفقيه:

رأيتُ الإمام السجّاد زين العابدين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلمّا لم يرَ أحدًا رمق إلى السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتحات للسّائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه محمّد

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٥، ح٢٣.

٢. المؤمنون: ١٠٣ـ١٠٤.

٣. الأعراف: ٨.

في عرصات القيامة، ثمّ بكى وقال: «وعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك ... فوا سوأتاه غدًا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحطّ؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي، ثمّ بكى...».[1]

إشارة: من كانت كفّة الحقّ لديه خفيفة، فسوف تكون كفّةً باطله ثقيلة؛ ولذلك يكون وزنهم خفيفًا بلحاظ الحقّ، أو يكون وزنهم ثقيلاً بلحاظ الباطل، وما جاء في الحديث أعلاه ناظرٌ إلى ثقيلي الوزن بلحاظ الباطل؛ كما أنّ ثقيلي الوزن من ناحية الحقّ هم خفيفو الوزن بلحاظ الباطل.

الرابع عشر: العُتوّ

١. ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[2]

عن النبيّ ﷺ والإمام الصادق عليه السلام أنّهما قالا:

«ويُسقى من ماءٍ صديد، أي ويُسقى ممّا يسيل من الدّم والقيح من فروج الزواني في النار، يُقرب إليه فيتكرّهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقع فروة رأسه، فإذا شرب قطّع أمعاءه حتى يخرج من دبره». «من شرب الخمر لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا، فإن مات وفي بطنه شيءٌ من ذلك كان حقًّا على اللّه أن يسقيه من طينة خبال...».[3]

إنّ منشأ استحقاق مثل هذا العذاب هو ذلك العناد في مقابل الدين الإلهيّ طبعًا.

٢. ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۞ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ۞ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾.[4]

---

١. *نور الثقلين*، ج٣، ص٥٦٣، ح١٥٥.

٢. ابراهيم: ١٥_١٧.

٣. *نور الثقلين*، ج٢، ص٥٣٢، ح٣٩ و٤٠ و٤١.

٤. ص: ٥٥_٦١.

وبناءً على ما ورد في بعض الأحاديث، فإنّ مضمون هذه الآيات هي حول أعداء أهل البيت سواء أكانوا من بني أمّية أم بني العباس وتشاجرهم في نار جهنّم، ثم يُقسم الإمامعليه السلام بأنّه لا يدخل النار منكم ـ أي الشيعة الخلّص ـ رجلٌ واحد.[١] وما يُفهم من هذا الحديث المأثور، أوّلاً أنّه تفسير من باب الجري والتطبيق، وليس تفسيراً مفهوميًّا، وثانيًا حتى لو لم تكن الآيات المذكورة مصداقًا للشيعة الخُلّص، فإنّ مضمونها غير مختصٍّ بأمويّ وعباسيّ، بل تشمل كلّ امرئ مثلهم يُسلّم نفسه للفساد والزوال.

٣. ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا**﴾.[٢]

وورد في حديثٍ أنّ مدّة عذاب الطّغاة هي: «الأحقاب ثمانية أحقابٍ والحُقُب ثمانون سنة، والسّنة ثلاثمئة وستون يومًا، واليوم كألف سنةٍ ممّا تعدّون».[٣] وهذا يبلغ بحسب الظاهر مليار وثمانمئة وثلاثين مليون وأربعمئة ألف سنة (١,٨٣٠,٤٠٠,٠٠). واللّه العالم.

الخامس عشر: الظلم

١. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾.[٤]

وقد ورد عن الإمام الصادقعليه السلام في تأويل هذه الآية مفادها أنَّ أولئك الذين كفروا وظلموا حقّ آل محمّدٍصلى الله عليه وآله، لم يكن اللّه ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا، إلّا طريق جهنّم خالدين فيها أبدًا.[٥]

﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ**

---

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٤٦٧، ح٧٤ و٧٩ و٨١.
٢. النبأ: ٢١ـ٢٦.
٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٩٥، ح٢٤.
٤. النساء: ١٦٨.
٥. *نور الثقلين*، ج١، ص٥٧٦، ح٦٨٤.

فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[١]

إنّ هذه الآية ناظرةٌ بالدرجة الأولى إلى تأسيس قاعدة فكريّة واعتقاديّة؛ التوحيد أو الإلحاد، الإيمان أو الكفر، الإخلاص أو الرياء والسمعة، الإسلام أو النفاق؛ وتشمل بناء الجمعيّات الخيريّة والأماكن النافعة والمباركة، وكذلك الأبنية التي تكون محلّ نشر الفساد والانحراف، والأماكن غير المباركة والموجِدة للفتن في الدرجة الثانية.

٢. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٢]

يقول الإمام الصادق‏عليه السلام: «..إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادقٍ من نارٍ حتّى يحكم اللَّه بين العباد».[٣]

٣. ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[٤]

وقد اعتبر الإمام الباقر‏عليه السلام معاويةَ المصداق البارز لهذه الآية؛ لأنّه انحرف عن جادّة ولاية عليّ بن أبي طالب‏عليه السلام أوّلًا، وقد اتّبعه جماعةٌ كثيرون ووقفوا بوجه عليّ‏عليه السلام وغصبوا حقّ عليّ‏عليه السلام وسائر الأوصياء‏عليهم السلام: «﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ معاوية وأصحابه ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الطريقة الولاية لعليّ».[٥]

السادس عشر: عدم التوبة من إثارة الفتن

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[٦]

٢. ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ

---

١. التوبة: ١٠٩ـ١١٠.

٢. الكهف: ٢٩.

٣. *نور الثقلين*، ج٣، ص٢٥٩، ح٧٢.

٤. الجن: ١٥.

٥. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٣٨، ح٣٠.

٦. البروج: ١٠.

مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.[1]

لا شكّ أنّ المنشأ الأساس لاستحقاقهم دخول جهنّم هو كفرهم وإلحادهم وما سائر المعاصي من قبيل فتنة إيمان الناس والبحث عن الأعذار والتبريرات لتقديمها لرسول اللّه‌ﷺ إلاّ المحصول المرّ لذلك الكفر المتأصّل فيهم.

السابع عشر: الآمال البعيدة والطويلة

إنّ مصائد الشيطان ومكائده ملّونة، متنوعة، مخادعة، جميلة المظهر ومضلّة، وسوف نمرّ في الآيات أدناه على نماذج من ذلك:

﴿...وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.[2]

من الممكن القول إنّه عندما يكون العقل حاكمًا على وجود الإنسان، فيمكن أن يندم فيستغفر ويتوب وينجو من حبائل الشيطان. وهكذا، فإنّ يدي وقدمي الإنسان غير مقيّدتين والشيطان أصغر من أن يوقعه في مكيدته ويبقيه فيها.

ولكن الشيطان لم يستسلم وعمل على إيجاد حلٍّ أيضًا؛ وقد أفشى الإمام الصادق‌ؑ سرّ الشيطان، إذ يقول‌ؑ:

«لما نزلت هذه الآية: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾**، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريتٌ من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها. فقام آخر، فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال «الوسواس الخنّاس»: أنا لها، قال: بماذا؟ قال:

---

١. التوبة: ٤٨ـ٤٩.

٢. النساء: ١١٧ـ١٢١.

«أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار»، فقال: «أنت لها، فوكلّه بها إلى يوم القيامة».[١]

على هذا الأساس يجب على الإنسان أن يراقب نفسه باستمرار حتى لا يقع في شِرك الشيطان.

الثامن عشر: تكذيب الآيات الإلهيّة

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.[٢]

٢. ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[٣]

كما ذكرنا في أشباه ونظائر هذا النوع من أسباب دخول جهنّم، فإنّه تندرج جميعًا تحت عنوان الكفر والنفاق أو عنوان العصيان الجامع والشامل.

التاسع عشر: الغفلة

١. ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[٤] على الرغم من أنّ هدف خلق الإنسان معرفة الخالق وعبادته، ولكن من يتعمّد ألّا يصغِ إلى نداء الفطرة من الداخل وإلى هتاف النبوة من الخارج، فلن يكون مصيره سوى جهنّم. بناءً عليه، إنّ عاقبة مثل هذه المخلوقات هي النّار.

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٣٩١، ح٣٦٤.

٢. الأعراف: ٤٠ـ٤١.

٣. الطور: ١١ـ١٦.

٤. الأعراف: ١٧٩.

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[١]

وقال عليّ بن إبراهيم في تفسير الآية المذكورة: «...الآيات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام» والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما للّه آيةٌ أكبر منّي**».[٢]

على هذا الأساس، عندما وفّر اللّه أداة المعرفة للإنسان أي العين، الأذن، القلب، العقل والوحي، قام بإثارة نبيّ من الداخل (العقل) ونبيٍّ أو أنبياء من الخارج حتى يضعوا الإنسان على جادّة السعادة. فإن لم يعتقد بجميع ذلك، بل بقي غافلاً عن كلّ ذلك، لن يكون مصيره سوى نار جهنّم، وهذا العذاب أيضًا سيكون نتيجة طبيعية لهذا المسار. ومن البديهيّ أنّه من الخطأ ترك اللجام مطلقًا وغير مقيّد، وعلى فرض الابتلاء بذلك يجب وضع حدّ ونهاية لذلك؛ حيث إنّه لا بدّ للحصان المتمرّد والجموح من أن يسقط يومًا ويضرب رأسه بالأرض.

وللأسف عندما يلتفت الإنسان إلى تمرّده وعناده يكون قد فات الأوان وبلغ الزبد الرُبى، فيكون قد غرق الإنسان في بحر هذا التمرّد والعناد، وما إن يفتح عينيه حتى يجد نفسه قد ابتلي بعذابٍ مذلّ. ويقول القرآن في هذا الشأن: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[٣]

وينقل الصدوق رحمه الله في كتاب علل الشرائع هذا المطلب الكلاميّ عن أبي بصير على صورة سؤالٍ وجوابٍ، إذ يقول:

> سأل رجلٌ الإمام الصادق عليه السلام: لأيّ شيءٍ بعث اللّه الأنبياء والرّسل إلى النّاس؟
> فقال: لئلاّ يكون للنّاس على اللّه حجّة بعد الرسل، ولئلاّ يقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ونذير، وليكون حجة اللّه عليهم، ألا تسمع اللّه عزّ وجلّ يقول حكايةً عن خزنةِ

---

١. يونس: ٧ـ٨.
٢. *تفسير القمّيّ*، ج١، ص٣٠٩.
٣. الملك: ٨ـ١١.

جهنّم واحتجاجهم على أهل النّار بالأنبياء والرسل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.[1]

إشارات:

١. إنّ العلم الصائب هو إمّا المستند إلى الوحي الإلهيّ، أو المتكىء على البرهان العقليّ، أو المرتبط بالشهود القلبيّ المتطابق مع الوحي السماويّ.

٢. إنّ كلّ علمٍ من هذه العلوم لن يكون نافعًا إلّا عندما يكون محفّزًا للعمل الصالح؛ لأنّ الفكر العلميّ من دون الدافع العمليّ هو فكرٌ غير نافع.

٣. إنّ مراد أهل جهنّم من تمنّي امتلاك السمع أو العقل هو ذلك الدليل النقليّ أو العقليّ والقلبيّ الصائب الذي يصبح عاملاً للدافع العمليّ، وإلّا فمن الممكن أن يمتلك المرء فكرًا علميًّا وأن يكون من أصحب السعير على أثر فقدان الدافع العمليّ.

العشرون: تكلفة الصدّ عن القيم

أثبت التاريخ منذ القِدم أنّ ثمّة جماعة قد صرفت الأموال الطائلة من أجل الصدّ عن طريق الحقّ والاستعانة بالمطامع الشيطانيّة، ويكشف القرآن المجيد عن هذه الحقيقة والمصير المرّ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[2]

ولا شكّ أنّ الصدّ عن سبيل اللّه والصرف عنه هو مخطّط الكفر والنفاق الذي هو السبب الأساس في الدخول إلى النّار.

الواحد والعشرون: الفرار من الجهاد والتخلّف عنه

١. ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.[3]

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٣٨١، ح١٨.

٢. الأنفال: ٣٦ـ٣٧.

٣. التوبة: ٨١.

تتحدّث هذه الآية عن مصير أولئك الذين تخلّفوا عن مرافقة رسول اللّهﷺ والجهاد في سبيل اللّه في غزوة تبوك. ويوبّخهم القرآن بشدّة ويجعلهم عبرةً للأجيال اللاحقة؛ لأنّ الجهاد علامة مجد وعظمة للمسلمين، ويلزم من الاستخفاف به أو الفرار منه الخزي والعار والنّار، فقد كان الكفر والنفاق هو أساس وجذر هذه المعصية لدى الكثير من الأشخاص.

٢. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.[1]

ويقول أمير المؤمنينعليه السلام:

«...فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجنّة، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلاَءُ...».[2]

إشارة: على الرغم من أنّ ذكر اللّه هو عبادة وقد تمّ التشديد على الإكثار منه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾؛[3] إلّا أنّ تأثيره في بعض الموارد أكثر من موارد أخرى، ومن تلك الموارد الخاصّة التي تمّ الحديث عنها؛ أثناء الانشغال بالبيع والتجارة، ويقول القرآن الكريم بهذا الخصوص: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[4] ومثل الانشغال بالقتال أثناء هجوم العدوّ؛ إذ رسالة اللّه في هذا الشأن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[5] فالتأثير المهمّ لذكر اللّه في ساحة المعركة ليس كونه معانًا من الفرار من جبهة الحرب فقط، بل كونه سببًا خاصًّا للنصر أو بالحدّ الأدنى ﴿إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾.[6] انطلاقًا من ذلك، فإنّ الكثير من الخُطب العلويّةعليه السلام، التي طُرح فيها ذكر اللّه وذكر أسمائه الحسنى والصفات الإلهيّة العُليا، قد تمّ نشرها وإبلاغها في ميادين الجهاد.

---

١. الأنفال: ١٥ـ١٦.

٢. *نهج البلاغة*، الخطبة ٢٧.

٣. الأحزاب: ٤١.

٤. النور: ٣٧.

٥. الأنفال: ٤٥.

٦. التوبة: ٥٢.

الثاني والعشرون: الميل إلى الباطل

يمثّل القرآن الكريم مصير دعاة الحقّ والباطل في مثالٍ رائع على الشكل التالي: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.[١] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[٢]

الثالث والعشرون: كفران النعمة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.[٣]

لقد ورد في عددٍ من الأحاديث أنّ النعمة التي تمّ استبدالها بالكفر هي أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت النبيّ عليهم السلام: «...نحن النّعمة التي أنعم اللّه بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة»[٤]، وكذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: «نعمة اللّه، محمّدٌ وأهل بيته، حبّهم إيمانٌ يُدخل الجنّة، وبغضهم نفاقٌ يُدخل النّار».[٥] وكذلك يقول عليه السلام في حديثٍ آخر عندما سُئل عن الآية الآنفة الذكر، بأنّهم «الذين عادوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله ونصبوا له الحرب وجحدوا وصيّه».[٦] طبعًا، إنّ ما يُطرح في هذا النوع من الأحاديث هو من سنخ الجَري والتطبيق على المصداق، وليس التفسير المفهوميّ، ولكن المصاديق المذكورة هي من أكمل النِعم الإلهيّة التي يعتبر إنكارها من أسوأ أقسام كفران النعمة.

---

١. الرعد: ١٧.

٢. الرعد: ١٨.

٣. ابراهيم: ٢٨ـ٣٠.

٤. *نور الثقلين*، ج٢، ص٥٤٢، ح٧٩.

٥. ن.م.، ص٥٤٣، الهامش ح٨١.

٦. ن.م.، ص٥٤٢، ح٨٠.

الرابع والعشرون: طلب الدنيا

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾.[١]

من كان طالبًا للدنيا مريدًا لها، سواء أكانت عبادته من أجل الوصول إلى الدنيا أم كان يبحث عن الدنيا من دون عبادة، فإنّه في كلا الحالتين من الممكن أن ينجح في الدنيا إلى حدٍّ ما، ولكنّه لن ينعم بالآخرة وينتفع بها، وربما كان حبّه للدنيا هو السبب في أن يصبح من أهل النّار؛ كما ورد في الحديث: «رأس كلّ خطيئةٍ حبّ الدنّيا»[٢] و«حبّ الدنّيا رأس كلّ خطيئة»[٣]، وكذلك جاء في حديثٍ آخر: «...وحبّ الدنيا من الشّقاء»[٤]؛ وكذلك: «حبّ الدنيا يُعمي ويُصمّ ويُبكم»؛[٥] فحبّ الدنيا يعمي الإنسان عن إدراك المعارف الإلهيّة ويصمّه ويبكمه و... أينما رجح هوى النفس على حكم اللّه، فهو المصداق البارز لطلب الدنيا، وكل حالة كان فيها طعم المعصية الزائف حلوًا في ذوق شخص ما، فإنّها خير مثالٍ على الدنيويّة وحبّ الدنيا. أعاذنا اللّه من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

الخامس والعشرون: كتمان الحقّ وبيع الدين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾.[٦] والذين يكتمون ما أنزل اللّه من الكتاب بما فيه تبشيرٌ حول بعثة النبيّ محمّدﷺ. وقد جاء في الحديث عن الإمام الصادقؑ أنّه ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلى النار.[٧]

---

١. الإسراء: ١٨.
٢. *البحار*، ج٧٠، ص٧، ح١.
٣. ن.م.، ص٢٠، ح٩.
٤. ن.م.، ج٧٤، ص٦٧.
٥. ن.م.، ج٤٠، ص٧٥، ح٣٩.
٦. البقرة: ١٧٤ـ١٧٥.
٧. *نور الثقلين*، ج١، ص١٥٦، ح٥٠٨.

تبصرة: ليس المقصود من «ثمنًا قليلاً» بأنّه لو كان الثمن أكثر لكانت خسارتهم أقلّ، بل المقصود أنّه مهما حُصّل من أمور الدنيا وسلعها وأغراضها وأهدافها؛ ولأنّ تمام الدنيا هي متاعٌ قليل، فلن تكون إلاّ ثمنًا قليلاً، وهكذا فإنّ الخسارة باقية.

السادس والعشرون: الركون إلى الظالمين

١. ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.[1]

يقول النبيّ ﷺ في وصيّته لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «لا تركن إلى ظالمٍ وإن كان حميمًا قريبًا».[2]

وفي تأويلٍ جميلٍ، يعتبر الإمام السجّاد عليه السلام الدنيا مظهرًا ومصداقًا للظلم، ويقول: «ولا تركنوا إلى الدنيا فإنّ اللّه عزّ وجلّ قال لمحمّد ﷺ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾».[3]

نعم، سوف يحيط بالظالمين عذابٌ أليم في يوم القيامة:

٢. ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛[4] في يوم القيامة لن ينفع أحدٌ الآخر ولن يضرّه، فكلّ امرئ ضيفٌ عند عمله وتتقطع عُرى جميع العلاقات الاجتماعيّة والقرابيّة.

السابع والعشرون: نسيان القيامة

١. ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[5]

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.[6]

٣. ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.[7]

---

١. هود: ١١٣.

٢. *نور الثقلين*، ج٢، ص٤٠٠، ح٢٣٢.

٣. ن.م.، ح٢٣١.

٤. سبأ: ٤٢.

٥. السجدة: ١٤.

٦. ص: ٢٦.

٧. الجاثية، الية ٣٤.

ورد في بعض الأحاديث أنّ سبب دخولهم إلى جهنّم هو اتّخاذهم آيات اللّه هزوًا أي الأئمّة؛ إذ كذّبوهم واستهزؤوا بهم.[١]

الثامن والعشرون: ترك الصلاة

تعتبر الصلاة هي الركن المهم لفسطاط الدين في الإسلام، وكلّ شيءٍ دونها يدور حولها؛ لذا يوجب ترك الصلاة أشدّ العذابات الأخرويّة. وينقل اللّه الحكيم حوار أهل الجنّة حول أهل النّار ببيانٍ واضحٍ وصريح: ﴿**فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾.[٢]

إنّ شأن الصلاة وقدرها عظيمٌ لدرجة أنّها تستحق تأليف كتابٍ منفصلٍ خارجٍ عن نطاق هذا الكتاب.

وفي الآيات الآنفة الذكر ذُكرت عدّة أمور بصفتها عاملًا للدخول إلى الجنّة والتي في مقدّمتها مسألة الصلاة.

التاسع والعشرون: التصرّف بمال اليتيم

لقد تحدّث القرآن الكريم عن أكل مال اليتيم من دون مواربة وبوضوحٍ كوضوح سطوع الشمس في آياتٍ مهولة؛ إذ يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[٣]

وقد ورد في أحاديث عديدة أنّ أولئك الذين يأكلون مال اليتيم ظلمًا سوف يُبتلون بعقوبتين: الأولى في الدنيا والأخرى في الآخرة؛ أمّا العقوبة الدنيويّة، فهي بتسليط اللّه ظالمًا عليهم أو على أولادهم؛ إذ يقول: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾.[٤]

---

١. *نور الثقلين*، ج٥، ص٧، ح٢١.

٢. المدّثر: ٤٠ـ٤٦.

٣. النساء: ١٠.

٤. النساء: ٩.

أمّا العقوبة الأخرويّة، فهي ما دلّت عليها الآية أعلاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى...﴾.[١]

الثلاثون: أكل الربا

١. ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٢]

يقول النبيّ الأكرمﷺ:

«لما أُسري بي إلى السماء رأيتُ قومًا يريد أحدهم أن يقوم، فلا يقدر أن يقوم من عِظم بطنه، فقلتُ: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطانُ من المسّ».[٣]

وكذلك يقول الإمام الصادقعليه السلام: «آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتى يتخبّطه الشيطان».[٤]

٢. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[٥]

يقول نبيّ الإسلامﷺ: «من أخذ الربا وجب عليه القتل، وكلّ من أربى وجب عليه القتل ـ وفق شروطٍ».[٦]

ويقول الإمام الصادقعليه السلام: «درهم ربا أعظم عند اللّه من سبعين زنيةٍ بذات محرمٍ في بيت اللّه الحرام».[٧] وكذلك جاء في حديثٍ آخر: «...فمن خالف ما أمره اللّه به من التوبة سخط اللّه عليه، وكانت النّار أولى به وأحقّ».[٨]

---

١. *نور الثقلين*، ج١، ص٤٤٨، ح٧٧. طبعًا إنّ مثل هذه الموارد هي من مصاديق العصيان التي تمّ ذكرها في مقدّمة الموضوع بصفته سبب الدخول إلى جهنّم.

٢. البقرة: ٢٧٥ـ٢٧٦.

٣. *نور الثقلين*، ج١، ص٢٩١، ح١١٥٧.

٤. ن.م.، ح١١٥٨.

٥. البقرة: ٢٧٨ـ٢٧٩.

٦. *نور الثقلين*، ج١، ص٢٩٤، ح١١٧٦.

٧. ن.م.، ص٢٩٥، ح١١٧٧.

٨. ن.م.، ح١١٧٨.

٣. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[١] إنّ الربا من حيث كونه معصية للّه، فهو سببٌ للدخول إلى جهنّم، ولأنّ عصيانه شديدٌ جدًا؛ فقد تمّ التهديد بنار الكافرين.

إحدى وثلاثون: التطفيف

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾.[٢]

يقول الإمام الباقر عليه السلام إنّ «الويل» هي بئرٌ في جهنم[٣] وكذلك يقول عليه السلام: «...ولم يجعل الويل لأحدٍ حتى يسمّيه كافرًا»، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، بناءً عليه، إنّ التطفيف هو في حدّ الكفر، وكما أنّ «الويل» للكافرين كذلك هو للمطفّفين، أمّا «سجّين» وفق مجمع البيان، فهو عبارة عن جبّ في جهنّم مفتوح.[٥] ويقول الإمام الباقر عليه السلام أنّ سجّين هو وادٍ بحضرموت يقال له برهوت.[٦]

إشارة: رغم أنّ التطفيف يُستخدم في بيع السلع وشرائها، ولكن بالاستناد إلى الآية ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[٧]، فإنّها تشمل أيّ نوعٍ من تطفيف الحقّ المشروع للآخرين. ولذلك، سوف تكون مثل هذه الجريمة مشتركة، وسيكون مثل ذلك العقاب مشتركًا أيضًا.

الثاني والثلاثون: البحث عن عيوب الآخرين

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا

---

١. آل عمران: ١٣٠ـ١٣١.

٢. المطففين: ١ـ٩.

٣. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٢٧، ح٣.

٤. ن.م.ـ ح٤.

٥. مجمع *البيان*، ج٩ـ١٠، ص٦٨٨.

٦. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٣٠، ح١٤.

٧. سوةر الأعراف: ٨٥.

أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[١]

ووردت «الهُمزة» و«اللُّمزة» في معانٍ مختلفة؛ مثل: الذي يغتاب، الاغتياب في العلن باستخدام إشارة العين أو الحاجب، الاستهزاء بالناس في الخفاء والعلن، الكشف عن العيوب المستورة للناس وتحطيم شخصيّتهم. واللامزون الذين لديهم مال وثروة، ويتصوّرون أنّه يجب الاستهزاء بالآخرين وإعابتهم، هم من منظار الروايات الإسلاميّة مسوخٌ ملكوتيّة تلبسّوا صورة العقرب إذ أنّهم يلدغون الجميع. وقد سأل أمير المؤمنين﷤ النبيّ الأكرمﷺ عن عدد المسوخ، فقال رسول اللّهﷺ: «هي ثلاثة عشـر: الفيل والدبّ إلى أن قالﷺ: وأمّا العقرب فكان رجلاً لدّاغًا لا يُسلم من لسانه».[٢] ويقول النبيّﷺ: «رأيت ليلة الإسراء قومًا يقطّع اللّحم من جنوبهم ثم يلقّمونه، ويُقال: كلوا ما كنتم تأكلون من لحم أخيكم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الهمّازون من أمّتك اللّمّازون».[٣]

ويقول محمّد بن إسماعيل بن بزيع: سمعت الرضا﷤ يقول: «لا يجتمع المال إلّا بخمس خصال: بخلٍ شديد وأملٍ طويل، وحرصٍ غالب، وقطيعة رحم، وإيثار الدنيا على الآخرة».[٤] ولا شكّ أنّ هذا الحصـر هو حصرٌ إضافيّ وليس حقيقيًّا؛ لأنّ ثمّة طرقًا أخرى هي سببٌ لإدخار مال الدنيا واكتنازه، وإن كان من الممكن إرجاع الأسباب والعوامل إلى هذه الخصال الخمسة عبر تحليل تلك الطرق.

على أيّ حال، إنّ العذاب المذكور في هذه الآيات والكامن في مرصادهم هو من نوع «الحُطَمة»، أي التي تحطّم وتكسـر كلّ ما يُلقى ويُرمى إليها.

الثالث والثلاثون: الإسراف والتبذير

١. ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[٥].

---

١. الهمزة: ١ـ٩.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٦٦٧، ح٤.

٣. ن.م.، ح٥.

٤. ن.م.، ص٦٦٨، ح٧.

٥. غافر: ٣٤.

يقول نبيّ الإسلامﷺ: «أمّا علامة المسرف فأربعة: الفخر بالباطل، ويشتري ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويأكل ما ليس عنده».[١]

٢. ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.[٢] وفي عالمنا اليوم، تفشّى الإسراف والتبذير بشكلٍ كبير، وسيكون لذلك عواقب وخيمة، ويعتبر الإمام الصادقعليه السلام والإمام الرضاعليه السلام الإسراف والتبذير من الذنوب الكبيرة[٣] ويحذّر الإمام موسى بن جعفر الكاظمعليه السلام قائلاً: «من بذّر وأسرف زالت عنه النّعمة»[٤] وعاقبة الإسراف والتبذير، طبق الآية الشريفة، نار جهنّم، ومنشأ هذا النوع من أسباب الدخول إلى جهنّم تلك المعصية أو الكفر والنّفاق الذي تمّ التعرض له بداية الموضوع.

الرابع والثلاثون: الخسران

يرى القرآن المجيد أنّ الخسارة والضرر الأكبر يقع في قضاء الإنسان على رأسمال عمره وأسرته، أقاربه وأنسبائه وأتباعه وسوقهم ودعوتهم إلى مكان خُصّص للذين تحيط بهم النّار: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.[٥] والمقصود من الخسارة في الآخرة هو أنّه رغم كون الدنيا هي ظرف ووعاء حدوث الخسارة والضرر، إلاّ أنّ القيامة هي وعاء ظهور تلك الخسارة.

الخامس والثلاثون: الشهوانيّة والانغماس في التَرف

تَحُولُ الشهوانيّة والانغماس في التَرَف والشهوات والرغبات، بين الإنسان وبين اللّه تلقائيًّا وتُبعده عنه وتدخله جهنّم:

---

١. *البحار*، ج١، ص١٢٢.

٢. الإسراء: ٢٧.

٣. *البحار*، ج٧٦، ص١٠، ح١١.

٤. *البحار*، ج٧٥، ص٣٢٧، ح٤.

٥. الزمر: ١٥ـ١٦.

١. ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]

٢. ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾.[2]

إشارة: ذُكر سابقًا أنّ المقصود من اليمين واليسار أو اليمين والشمال، ليس جهة اليمين والشمال؛ لأنّ المؤمن مظهر جمال اللّه، واللّه لا يَدَين له و«كلتا يديه يمين»[3] والكافرون والمنافقون كلتا يديهم شمال وليس لديهم يد يمينٍ أصلاً. والمقصود من اليمين هو ذلك اليُمن والبركة الذي ورد في الآية: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.[4]

---

١. غافر: ٧٥ـ٧٦.

٢. الواقعة: ٤١ـ٤٥.

٣. *البحار*، ج٥، ص١٥٩، ح١٥.

٤. الواقعة: ٨.

الفصل الثالث والعشرين

أوصاف أهل النّار

العلاقة ما بين أبواب جهنّم والملكات النفسانيّة

يُستفاد من آيات القرآن الحكيم وأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام بأنّ لأبواب جهنّم وطبقاتها أسماء وعناوين مختلفة تعود جذورها إلى أخلاق الإنسان وملكاته؛ أي أنّه بمقدار ما يجعل الإنسان القيم المعنويّة والإلهيّة السامية في معرض الغزو والعدوان، فسوف يكون في الطبقة الأشدّ من العذاب. وإذا ما أصبحت «قيمة التمرّد والعصيان» ملكة فيه، فلا بدّ له من أن يدخل أحد أبواب جهنّم، بل إنّ وجوده جهنّمٌ صغرى قد دخلت إلى جهنّم الكبرى:

وينقل أمير المؤمنين عليه السلام حديثًا عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول:

«أربعةٌ يؤذون أهل النّار على ما بهم من الأذى، يُسقون من الحميم في الجحيم ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النّار بعضهم لبعضٍ: ما بالُ هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ فرجلٌ معلّقٌ في تابوتٍ من جمر، ورجلٌ يجرّ أمعاءه، ورجلٌ يسيل فوه قيحًا ودمًا، ورجلٌ يأكل لحمه.

فقيل لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداءً ولا وفاءً.

١. ثمّ يُقال للّذي يجرّ أمعاءه: ما بالُ الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده، (أي لم يكونوا يبالون بالطهارة والنجاسة، رافضين للطهارة والنظافة ـ المؤلّف ـ).

٢. ثمّ يُقال للذي يسيل فوه قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول:

إنّ الأبعد كان يُحاكي، فينظر إلى كلّ كلمةٍ خبيثةٍ، فيسندها ويحاكي بها.

٣. ثمّ يُقال للّذي كان يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة».[١]

إشارةٌ: حينًا يكون الذنب ضمن حدّ الحال، وحينًا آخر ضمن حدّ المَلَكة، وأحيانًا أخرى أشدّ وأكثر من المرحلتين السابقتين، إذ يصل إلى درجة تقوّم الهويّة لا الماهيّة، وفي هذه الحال ستكون هذه الدرجة بمثابة المقوّم الوجوديّ للمذنب وستوفّر الأرضيّة من أجل خلوده.

أسماء طبقات جهنّم وأبوابها

الأول: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.[٢] لا شكّ أنّ الأحاديث الواردة في ذيل هذا النوع من الآيات يحتاج إلى توضيحٍ، وسوف نشير إليها في الختام.

وتمّت الإشارة في بعض الأحاديث إلى أنّ هذه الأبواب السبعة عبارة عن الطبقات السبع لجهنّم، وكأنّ لكلّ طبقةٍ بابًا خاصًّا بها، وقد ورد في روايةٍ عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير ذيل الآية أعلاه: أنّ اللّه جعلها سبع دركات:

١. الجحيم: أعلى هذه الطبقات هي الجحيم يقوم أهلها على الصفا[٣] منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

٢. لَظى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾[٤]

٣. سقر: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٥]

٤. الحُطمة: ومنها يثور شرر كالقصر ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[٦]، تدقّ

---

١. *البحار*، ج٨، ص٢٨٠.

٢. الحجر: ٤٣ـ٤٤.

٣. الصفا جمع الصفاة وهي الحجر الصلب الضخم الذي لا ينبت.

٤. المعارج: ١٥ـ١٨.

٥. المدّثر: ٢٧ـ٣٠.

٦. المرسلات: ٣٢ـ٣٣.

كلّ من صار إليها مثل الكحل، فلا يموت الروح، كلما صاروا مثل الكحل عادوا ـ حتى يُعذّبوا بعذابٍ جديد ـ .

٥. الهاوية: فيها ملأٌ يدعون: يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر (من نوع النحاس لأنّ الإناء النحاسيّ أكثر تأثيراً وفعاليّة في التسخين من بعض المعادن)، من نارٍ فيه صديد ماءٍ يسيل من جلودهم كأنّه مهلٍ، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدّة حرّها، وهو قول اللّه تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.[1]

وعلى أيّ حال فإنّ من يهوي في هذه الطبقة من جهنّم، فقد هوى سبعين عامًا في النّار، كلّما احترق جلده ينبت جلدٌ جديدٌ غيره.

٦. السعير: فيها ثلاث مئةٍ سرادق من نار، في كلّ سرادق ثلاث مئة قصر من نار، في كلّ قصرٍ ثلاث مئة بيتٍ من نار، في كلّ بيتٍ ثلاث مئة لونٍ من عذاب النّار، فيها حيّاةٌ من نارٍ، وعقاربٌ من نار، وجوامعٌ (جمع الجامعة وهي الغلّ) من نار، وسلاسل من نار وأغلالٌ من نار وهو الذي يقول اللّه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾.[2]

٧. جهنّم: وفيها الفلق، وهو جبّ في جهنّم، إذا فُتح أسعر النّار سعرًا، وهو أشدّ النّار عذابًا، وأمّا «صعودًا» فجبلٌ من صفر من نار وسط جهنّم، وأمّا أثامًا، فهو وادٍ من صفرٍ مُذاب يجري حول الجبل فهو أشدّ النّار عذابًا.[3]

وفي حديثٍ آخر مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ جهنّم لها سبعة أبوابٍ، أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأخرى، فقال: هكذا، وأنّ اللّه وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض، فأسفلها «جهنّم»، وفوقها «لظى»، وفوقها «الحُطمة» وفوقها «سقر»، وفوقها «الجحيم»، وفوقها «السّعير»، وفوقها «الهاوية»، وفي بعض الروايات بالعكس؛ يعني: أسفلها الهاوية وأعلاها جهنم.[4]

---

١. الكهف: ٢٩.

٢. الإنسان، الآية٤.

٣. *البحار*، ج٨، ص٢٨٩، *نور الثقلين*، ج٣، ص١٧، ح٦٠.

٤. *نور الثقلين*، ج٣، ص١٩، ح٦٤.

ويعدُّ الإمام الصادق عليه السلام أهل هذه الطبقات على النحو التالي:

«إنّ للنّار سبعة أبواب، بابٌ يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وبابٌ يدخل منه المشركون والكفّار من لم يؤمن باللَّه طرفة عين، وبابٌ يدخل منه بنو أميّة هو لهم خاصّة لا يزاحمهم فيه أحد، وهو بابُ لظى، وهو باب سقر وهو باب الهاوية (أي أنّ باب سقر والهاوية يمرّان من هذا الممرّ)... وبابٌ يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وإنّه لأعظم الأبواب وأشدّها حرًّا... وهذا الباب الآخر يدخل منه بنو أميّة لأنّه هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصّة...».[1]

إشارة:

إنّ إثبات تفاصيل جهنّم يقع ضمن مجموعة الموضوعات والمباحث الكلاميّة، وليس بمقدور البرهان العقليّ ولا الحديث المرسل، المقطوع، الموقوف والضعيف أن يثبتها، وفي حال صِّحة الحديث يمكن إسناده ظنّيًّا إلى المعصوم عليه السلام، وليس إسنادًا قطعيًّا. وبالنسبة للمطلب الذي يكون اعتقاديًّا، فإن تحقّقت مبادئ حصوله، فسوف ينشأ الاعتقاد، وإلّا فلن يحصل، وإنّ ترتيب الأثر العمليّ واجتناب المعاصي، التي تعتبر من المسائل الأخلاقيّة والفقهيّة والقانونيّة، بالاستناد إلى الحديث الصحيح، فهو أمرٌ في محلّه ومناسب تمام، بل ضروريّ.

الثاني: ﴿**فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾.[2]

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله حيث أُسري به لم يمرّ بخلقٍ من خلق اللَّه إلّا رأى منه ما يحبّ من البِشر واللّطف والسرور به، حتى مرّ بخلقٍ من خلق اللَّه، فلم يلتفت إليه، ولم يقل له شيئًا، فوجده قاطبًا عابسًا، فقال: يا جبرئيل ما مررت بخلقٍ من خلق اللَّه إلّا رأيت البِشر واللّطف والسرور منه إلّا هذا، فمَن هذا؟ قال: هذا مالك خازن النّار، هكذا خلقه ربّه، قال: فإنّي أحبّ أن تطلب إليه أن يريني النّار، فقال له جبرئيل عليه السلام:

---

١. ن.م.، ص١٨، ح٦٣.

٢. النحل: ٢٩.

إنّ هذا محمدٌ رسول اللّهﷺ، وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النّار، قال: فأخرج له عنقًا منها فرآها، فلمّا أبصرها لم يكن ضاحكًا حتى قبضه اللّه عزّ وجلّ».[١]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

«واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النّار، فارحموا نفوسكم، فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدنيا، فرأيتم جزع أحدكم من الشّوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نارٍ ضجيع حجرٍ وقرين شيطان؟ أعلمتم أنّ مالكًا إذا غضب على النّار حطّم بعضها بعضًا لغضبه؟ وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعًا من زجرته؟ أيّها اليفن (الشيخ) الكبير الذي قد لهزه (خالطه) القتير (الشيب)، كيف أنت التحمت أطواق النّار بعظام الأعناق، ونشبت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد؟ فالله اللّه معشـر العباد، وأنتم سالمون في الصّحة قبل السقم، وفي الفُسحة قبل الضيق، فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تُغلق رهائنها، أسهروا عيونكم وأضمروا بطونكم واستعملوا أقدامكم وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم، فجودوا بها على أنفسكم ولا تبخلوا بها عنها».[٢]

الثالث. ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾.[٣]

وقال سيّد الساجدين عليه السلام في الصحيفة الكاملة فيما كان يدعو به بعد صلاة الليل، واصفًا جهنّم وعذاباتها:

«اللّهم إنيّ أعوذ بك من نارٍ تغلّظت بها على من عصاك، وتوعّدت بها من صَدَف عن رضاك، ومن نارٍ نورها ظلمة، وهيّنها أليم، وبعيدها قريب. ومن نارٍ يأكل بعضها بعضًا، ويصول بعضها على بعض. ومن نارٍ تذرُ العظام رميمًا، وتسقي أهلها حميمًا، ومن نارٍ لا تبقي على من تضرّع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تُلقي سكّانها بأحرّ ما لديها من أليم النّكال، وشديد الوبال، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحيّاتها

---

١. *البحار*، ج٨، ص٢٨٤، ح٩.

٢. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٨٣، *المقاطع* ١٥ـ٢١؛ *البحار*، ج٨، ص٣٠٦، ح٦٨.

٣. الزمر: ٧١.

الصالقة بأنيابها، وشرابها الذي يقطّع أمعاء وأفئدة سكّانها وينزع قلوبهم، وأستهديك لما باعد منها وأخّر عنها».[١]

الرابع. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.[٢] يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «وللمنافق ثلاثُ علاماتٍ: إذا حدّث كذب، وإذا وعد خلَف، وإذا ائتمن خان».[٣]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام عن علامات النفاق: «أربعٌ من علامات النّفاق: قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذّنب والحرص على الدّنيا».[٤]

وكذلك يقول نبيّ الإسلام المكرّم صلى الله عليه وآله: «...وأمّا علامة المنافق فأربعةٌ: فاجرٌ دخله، يخالف لسانُه قلبَه، وقولُه فعله وسريرته علانيته. فالويل للمنافق من النّار».[٥]

إحضار جهنّم

يقول القرآن المجيد حول أوصاف القيامة: ﴿..إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾.[٦]

إنّ جهنّم من منظارٍ ما هي مكانٌ يُعذّب فيه المجرمون والعاصون، وهي من الأماكن غير المنقولة؛ كما دلّت على ذلك الكثير من الآيات.

ولكن من منظار الآية الآنفة الذكر، فإنّها من الأماكن المنقولة مثل البيوت الجاهزة، سيتمّ إحضارها إلى ساحة المحشر، وتوجد روايات عديدة بهذا الخصوص؛ كما يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ سُئل عن ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقال: بذلك أخبرني الرّوح الأمين أنّ اللّه لا إله غيره إذا برز للخلائق وجمع الأوّلين

---

١. *الصحيفة السجادية*، الدعاء ٣٢؛ *البحار*، ج٨، ص٣٢٤، ح١٠٠.

٢. النساء: ١٤٥.

٣. *البحار*، ج٦٩، ص٢٠٦، ح٦.

٤. ن.م.، ص١٧٦، ح٤.

٥. ن.م.، ج١، ص١٢٢، ح١١.

٦. الفجر: ٢١ـ٢٣.

والآخرين أتى بجهنّم يُقاد بألف زمام لكلّ زمامٍ مئة ألف ملكٍ من الغلاظ الشّداد، لها هدّةٌ وغضبٌ وزفيرٌ وشهيق، وإنّها لتزفر الزّفرة، فلولا أنّ اللّه أخّرهم للحساب لأهلكت الجميعَ، ثم يخرج منها عنقٌ فيحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر. فما خلق اللّه عبدًا من عباد اللّه ملكًا ولا نبيًّا إلاّ ينادي: ربّ «نفسي نفسي»، وأنت يا نبي اللّه تنادي: «أمّتي أمّتي»، ثمّ يوضع عليها الصراط أدقّ من حدّ السيف، عليها ثلاث قناطر. فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم، وثانيها فعليها الصلاة، وأمّا الثالثة فعليها ربّ العالمين لا إله غيره. فيُكلّفون الممرّ عليها، فيحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ والنّاس على الصراط فمتعلّقٌ بيد، وتزول قدمٌ، ويستمسك بقدمٍ، والملائكة حولها ينادون: «يا حليم اعفُ و اصفح وعد بفضلك وسلّم سلّم»، والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فيها، فإذا نجا ناجٍ برحمة اللّه مرّ بها فقال: «الحمد للّه»، وبنعمته تتمّ الصالحات وتزكو الحسنات، والحمد للّه الذي نجّاني منكِ بعد أياسٍ بمنّه وفضله إنّ ربّنا لغفورٌ شكور».[1]

وفي حديثٍ آخر أنّه لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، تغيّر وجه رسول اللّهﷺ، وعُرف حتّى اشتدّ على أصحابه ما رأوا من حاله، وانطلق بعضهم إلى عليّ بن أبي طالبؑ:

«فقالوا: يا عليّ لقد حدث أمرٌ قد رأيناه في نبيّ اللّه، فجاء عليّؑ فاحتضنه من خلفه وقبّل بين عاتقيه ثمّ قال: يا نبيّ اللّه بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم؟ قال: جاء جبرئيل فاقرأني ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾. قال: فقلتُ يُجاء بها؟ قال: يجيء بها سبعون ألفًا يقودونها بسبعين ألف زمامٍ...».[2]

إشارة: يرى بعضٌ أنّ: ١. جهنّم موجودةٌ الآن فعلاً. ٢. موجودةٌ في باطن هذا العالم. ٣. المعاد عبارة عن ظهور الباطن. ٤. ظهور الشيءِ الباطن بمنزلة الخروج من حدٍّ إلى حدٍّ

١. *البحار*، ج٨، ص٢٩٣، ح٣٦؛ *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٧٤، ح٢٢.
٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٧٥، ح٢٤.

آخر. ٥. هذا الخروج والتطوّر نفسه مصحّحُ إطلاق كلمة إحضار وأمثال ذلك. على هذا الأساس، إنّ إحضار جهنّم يعني ظهورها من الباطن إلى الظاهر، وهذا نقل المكانة لا نقل المكان، ومظهرٌ لمجيء الربّ، لا من قبيل مجيء المطر (فتأمل).

تأثير ذكر جهنّم في التربية وبناء الذات

عن أبي بصير أنّه قال للإمام الصادق عليه السلام:

«يا ابن رسول اللّه خوّفني فإنّ قلبي قد قسا، فقال: يا أبا محمّد استعدّ للحياة الطويلة، فإنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو قاطبٌ، وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسّم، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطبًا، فقال: يا محمّد، قد وُضعت منافخ النّار، فقال: وما منافخ النّار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمّد، إنّ اللّه عزّ وجلّ أمر بالنّار فنفخ عليها ألف عامٍ حتى ابيضّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتى احمرّت، ثمّ نفخ عليها ألف عامٍ حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة، لو أنّ قطرةً من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنّ حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعًا وضعت على الدنيا، لذابت الدنيا من حرّها، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النّار عُلّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه، قال فبكى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل، ...فما رأى رسول اللّه صلى الله عليه وآله جبرئيلَ مبتسمًا بعد ذلك...».[1]

إشارة: يختلف النظام الملكوتيّ للآخرة عن النظام المُلكيّ للدنيا اختلافًا كبيرًا، ومن أجل تبيين نعمة الآخرة، وكذلك توضيح نقمتها، قد يُلاحظ استخدام تعابير مبالغ فيها في كلا طرفي الثواب والعقاب. ويجب الالتفات إلى أنّ أيًّا من هذه الأوصاف والتعابير غير مبالغ فيها؛ لأنّ موجودَ نشأةِ الأبد، أي الآخرة، إذا أراد الظهور أو التمثّل في نشأة الفناء، أي الدنيا، سوف يكون ذلك بنفس هذا الوضع الذي ذُكر حول نعمة الجنّة ونقمة النّار.

---

١. *البحار*، ج٨، ص٢٨٠، ح١. و قريب من هذا المضممون ورد أيضًا في ص٣٠٥، ح٦٤.

صوت أهل جهنّم

يقول عمرو بن ثابت: قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ أهل النّار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون من أليم العذاب، فما ظنّك يا عمرو بقومٍ لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها؟ عطاشٌ فيها، جياعٌ، كليلةٌ أبصارهم، صمٌّ بكمٌ عميٌ، مسودّةٌ وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوبٌ عليهم، فلا يُرحمون من العذاب، ولا يُخفّف عنهم، وفي النّار يُسجرون ومن الحميم يشربون، ومن الزّقوم يأكلون، وبكلاليب النّار يُحطّمون، وبالمقامع يُضربون. والملائكةُ الغلاظُ الشّداد لا يَرحمون، فهم في النّار يُسحبون على وجوههم، مع الشياطين يُقرّنون، وفي الأنكال والأغلال يُصفدون، إن دعوا لم يُستجب لهم، وإن سألوا حاجةً لم تقضَ لهم، هذه حال من دخل النّار».[١]

تبصرة: إنّ ما ذُكر حول مسألة غلاظة العذاب، وشدّة العقوبة، وما ورد في هذا الحديث هو نفسه ما ذُكر في الإشارة أعلاه.

عذاب النساء اللامباليات

ينقل الإمام الثامن عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«دخلتُ أنا وفاطمة على رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فوجدته يبكي بكاءً شديدًا، فقلتُ: فداك أبي وأمي يا رسول اللّه ما الذي أبكاك؟ فقال: يا عليّ ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت نساءً من أمّتي في عذابٍ شديدٍ، فأنكرتُ شأنّهنّ، فبكيتُ لما رأيت من شدّة عذابهنّ، ورأيتُ امرأةً معلّقةً بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيتُ امرأةً معلّقةً بلسانِها والحميم يُصبّ في حلقها، ورأيتُ امرأةً معلّقةً بثديها، ورأيتُ امرأةً تأكل لحمَ جسدها والنّار توقد من تحتها، ورأيتُ امرأةً قد شُدّ رجلاها إلى يديها وقد سُلّط عليها الحيات والعقارب، ورأيتُ امرأةً صمّاء عمياء خرساء في تابوتٍ من نارٍ، يخرج دماغُ رأسها من منخرها، وبدنها متقطّعٌ من الجذام والبرص، ورأيتُ امرأةً

١. ن.م.، ص٢٨١، ح٣.

معلّقةً برجليها في تنورٍ من نارٍ، ورأيتُ امرأةً تقطّع لحم جسدها من مقدمها ومؤخّرها بمقاريض من نارٍ، ورأيتُ امرأةً يحرق وجهها ويداها وهي تأكلُ أمعاءها، ورأيتُ امرأةً رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيتُ امرأةً على صورة الكلب، والنّار تدخلُ في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالتْ فاطمةﷺ: حبيبي وقرّة عيني، أخبرني ما كان عملهنّ وسيرتهنّ حتى وضع اللّه عليهنّ هذا العذاب؟ فقال: يا ابنتي، أمّا المعلّقة بشعرها، فإنّها كانت لا تغطّي شعرها من الرجال، وأما المعلّقة بلسانها فإنّها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلّقة بثديها فإنّها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأما المعلّقة برجليها فإنّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأمّا التي كانت تأكلُ لحم جسدها، فإنّها كانت تزيّن بدنها للنّاس، وأمّا التي شُدّت يداها إلى رجليها وسُلّط عليها الحيّات والعقارب، فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة، وأمّا العمياء الصماء الخرساء فإنّها كانت تلد من الزناء فتعلّقه في عنق زوجها، وأمّا التي تقرض لحمها بالمقاريض، فإنّها تعرض نفسها على الرجال، وأمّا التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنها كانت قوّادة، وأمّا التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار، فإنّها كانت نمّامة كذابة، وأمّا التي كانت على صورة الكلب والنّار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، فإنّها كانت قينة نوّاحة حاسدة. ثمّ قالﷺ: ويلٌ لامرأةٍ أغضبت زوجها، وطوبى لامرأةٍ رضي عنها زوجها».[1]

إشارة:

١. طالما يمكن تطهير الذنب وغفرانه من خلال العقاب الإلهيّ في مصائب الدنيا، أو حال الاحتضار أو في البرزخ أو في ساحة القيامة وساهرة المعاد، فإنّه لا يُعقّب بهذا الوضع المحزن المصاحِب لهذا القدر من العقاب.

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٠٩.

٢. إذا مُزج الذنب العمليّ بالذنب الاعتقاديّ، وبرز نتيجةً للكفر والنفاق، فإنّه من غير السهل تطهير مثل هذا المذنب في المصائب والمشكلات الآنفة الذكر على أمل رحمة اللّه السابقة على غضبه.

المكانة الضيّقة لأهل جهنّم

إنّ أصعب وأسوأ مكان بالنسبة لسجينٍ هو «السجن الانفراديّ» الضيّق والمظلم، وكذلك يُعذّب أهل جهنّم ويُقيَّدون لدرجة أنّهم يُلقَون في النّار وهم مكبّلون ولا يوجد أيّ حرّيّة في النّار، بل يجب أن يحترقوا في مكان محدّد.

ويقول القرآن الكريم حول ذلك: ﴿**إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**﴾.[١]

هذا في حين أنّ أهل جهنّم كانوا قد استقرّوا في مرحلة البرزخ في حُفرةٍ من النّار أيضًا. «القبر إمّا روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حُفر النّيران».[٢]

ومكان أهل جهنّم ضيّقٌ كما يضيق الزّج في الرمح؛ وكما يشير الإمام المعصوم عليه السلام في قوله: «والذي نفسي بيده! إنهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط».[٣]

إشارةٌ: من يُحرم عمدًا من شرح الصدر ويُبتلى بالضيق والتعب، فإنّما يكون ذلك بسبب ضيق نظره، وحقده، وحسده، وأنانيته، واستئثاره وإعراضه عن ذكر اللّه سبحانه، فإنّه في الدنيا يعيش في ضغطٍ يبن حفظِ مالٍ موجودٍ وطلب مالٍ مفقودٍ وفي القبر والبرزخ يُبتلى بضغطة القبر، وكذلك في جهنّم يحترق مقرّن ومقيّد اليدين والقدمين ـ أعاذنا اللّه من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

نزاع التّابع والمتّبوع في جهنّم

بعد أن يُبتلى جميع أهل جهنّم بالنّار، يقول الأتباع والأذناب: إلهنا لقد أضلّنا أئمّة الضلالة،

---

١. الفرقان: ١٢ـ١٤.

٢. *البحار*، ج٦، ص٢٧٥، ح١٢٨.

٣. مجمع *البيان*، ج٧ـ٨، ص٢٥٧.

فضاعِف عذابهم؛ إذ إنّهم عصوا وجرّوا الآخرين خلفهم، بناءً عليه، فقد ارتكبوا جُرمين. وفي المقابل، يدخل قادة الفساد والإجرام أيضًا في نزاعٍ مع أتباعهم قائلين لهم أنتم أيضًا قد ارتكبتم المعاصي، ولستم بأفضل منّا؛ لأنّكم بسوء اختياركم مشيتم خلفنا؛ وهكذا فإنّا وإيّاكم متساوون في المعصية. وحول هذا النزاع يقول اللّه تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.[1]

إشارة: سرّ مضاعفة عذاب رؤوس الضلالة هو أنّهم ضلّوا وأضلّوا، ولكلّ ذنبٍ عقابٌ منفصل، وسرّ مضاعفة عذاب أتباع الضلالة هو أنّهم ضلّوا وكذلك تركوا إمامة أئمّة الحقّ بسوء اختيارهم، فقد قبلوا بقيادة قادة الباطل؛ لذلك فقد ارتكبوا عدّة ذنوبٍ ولكلّ ذنبٍ عقابٌ منفصل.

أطعمة وأشربة أهل جهنّم

١. ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾.[2]

ووفق الراغب الزّقوم هو: «أطعمة كريهة في النّار»[3]، وقد ورد وصف هذه الشجرة في القرآن كالتالي: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾[4]

وعندما نزلت هذه الآيات، قال أبو جهل الذي كان يستهزىء بجميع القيم الإلهيّة، لجاريته: يا جارية زقّمينا، فأتته الجارية بتمر وزبد، فقال لأصحابه: «تزقّموا بهذا الذي

١. الأعراف: ٣٨ـ٣٩.
٢. الدخان: ٤٣ـ٤٦.
٣. *مفردات*، «ز غ م».
٤. الصافات: ٦٢ـ٦٧.

يخوّفكم به محمّد فيزعم أنّ النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر...». وأبو جهل هذا غافلٌ عن أنّ اللّه تعالى ـ بناءً لبعض الروايات ـ يجّوع أهل جهنّم حتى ينسوا عذاب النّار من شدّة الجوع، فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة وفيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم، فيستسقون فيُسقون شربةً من الماء الحارّ الذي بلغ نهايته في الحرارة، فاذا قرّبوها من وجوههم شوت وجوههم، فذلك قوله: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾، فإذا وصل إلى بطونهم صهر ما في بطونهم، كما قال سبحانه: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾، وذلك طعامهم وشرابهم.[1]

إشارة: من الجدير الالتفات إلى أنّه كما يوجد في الدنيا بعض الأشياء التي لا تحترق ولا تفنى رغم اشتعالها في النّار واحمرارها وإعطائها للحرارة، مثل التراب ضد الاحتراق، الآجر ضد الاحتراق، القطن ضد الاحتراق، الخيطان ضد الاحتراق و... كذلك يُضاف إليها يوم القيامة الأشجار التي لا تحترق. فضلاً عن ذلك، إنّ جميع الأمور الأخرويّة تملك حياةً وإدراكًا؛ فنار جهنّم تستعرّ بإشارةٍ من مالك ومن الغضب الذي تراه منه؛ أي عندما ترى جهنّم الغضب في وجه مالك تأخذ بالاشتعال، وعندما ترى أهل جهنّم من بعيدٍ تزداد التهابًا.

وعلى هذا الصعيد، يقول القرآن الكريم أيضًا: ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[2]

٢. ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[3]

وقد اعتبر عليّ بن إبراهيم في تفسير هذه الآيات، أنّ الغاصبين لحُقُوقُ آلِ مُحَمَّدٍ من مصاديق أهل جهنّم، ويكون طعامهم الغسلين أي عرق الكفار.[4] ورائحة هذا الماء الذي يغسل بدن الكفّار عفنة ونتنة جدًّا.

---

١. *نور الثقلين*، ج٤، ص٤٠٤، ح٣٢ و٣٣.

٢. الواقعة: ٥٢ـ٥٦.

٣. الحاقة: ٣٥ـ٣٧.

٤. *تفسير القمّيّ*، ج٢ـ ص٣٨٤.

٣. ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[١]

وقد ورد عن رسول اللّهﷺ أنّ: «الضريع شيءٌ يكون في النّار يشبه الشوك أمرُّ من الصبر وأنتن من الجيفة، وأشد حرًّا من النّار سمّاه اللّه الضريع».[٢]

ويقول عليّ بن إبراهيم نقلاً عن ابن عباس (لم تُذكر في نسخة الكتاب، ولكنها مذكورة في المصدر الأساس) حول «الضريع»: «عرق أهل النار وما يخرج من فروج الزواني»[٣]

٤. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.[٤]

وقد ورد ذيل هذه الآية رواياتٍ محزنة ومؤلمة عن الإمامين الصادق والكاظمعليهما السلام بأنّه كلّ امرئ يقوم بعملٍ لسلطانٍ جبّار وظالم، حتى لو كان صغيراً، مثل مَدّه بقلم أو بناءٍ يبنيه أو نهرٍ يكريه أو مسناةٍ يصلحها أو عقدةٍ يعقدها أو خيطٍ يخيطه...، فإنّ أهون ما يصنع اللّه عزّ وجلّ به أنّ يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ اللّه عزّ وجلّ من حساب الخلايق (بالحدّ الأدنى خمسين ألف سنة).[٥]

٥. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.[٦] وما ذُكر من عقوباتٍ مناسبة مع جرمهم ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾.

وتمّ التعبير عن الزمن الذي يجب قضاؤه في جهنّم بكلمة «حُقَب» وقد ورد أنّ الحقب ثمانون سنة أو بضع وستون سنة.[٧]

٦. ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ

---

١. الغاشية: ٤ـ٧.
٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٦٥، ح١٤.
٣. *تفسير القمّيّ*، ج٢، ص٤١٨.
٤. الكهف: ٢٩.
٥. الرجوع إلى *نور الثقلين*، ج٣، ص٢٥٩، ح٧٢ و٧٣.
٦. النّبأ: ٢١ـ٢٥.
٧. *نور الثقلين*، ج٥، ص٤٩٥، ح٢٤ و٢٥.

يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.[١]

و«الصديد» هو ما يسيل من الدم و القيح من فروج الزواني في النّار. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «يُقرّب إليه ـ الماء الصديد ـ إليه فيتكرّه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقع فروة رأسه، فإذا شرب قطّع أمعاءه حتى يخرج من دبره».[٢]

إشارة: ربما تكون بعض هذه التعابير مستبعدة لدى الأذهان العاديّة، ولكن إذا ما اتّضحت حقيقة الروح وهويّة الإنسان من جهةٍ، وظهر وباطن هذه الذنوب من جهةٍ أخرى، فسوف تُزال جميع هذه التصوّرات المستبعدة. وفي القيامة، سوف تحصل هذه الأمور؛ لذا لن يبقى مجالٌ في ذلك اليوم لتحاشي الاعتراف؛ أمّا اليوم فليبقى منكرًا كلّ من لا يعلم هذا الأمر.

لباس أهل جهنّم

١. **﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**.[٣]

وقد ورد في ذيل هذه الآيات رواياتٍ تفيد بأنّ بني أميّة، والذين قاتلوا نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله في بدر، والذين كفروا بولاية عليّ بي أبي طالب هم من مصاديق هذه المجموعة.[٤]

٢. **﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾**.[٥]

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «جبرئيل عليه السلام: لو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النّار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه».[٦]

---

١. إبراهيم: ١٥ـ١٧.
٢. *نور الثقلين*، ج٢، ص٥٣٢، ح٣٩ـ٤٠.
٣. الحج: ١٩ـ٢٢.
٤. *نور الثقلين*، ج٣، ص٤٧٦، ح٢٨ و٢٩ و٣٠.
٥. ابراهيم: ٤٩ـ٥١.
٦. *نور الثقلين*، ج٢، ص٥٥٨، ح١٤٨.

إشارة: كلّ ما في الآخرة (بالمعنى العام) نقيٌّ خالص؛ يعني إذا كان هناك من نعمةٍ في الجنّة البرزخيّة أو الخُلد، فإنّها نعمةٌ نقيّةٌ خالصة؛ وإذا كان من نقمةٍ في جهنّم البرزخيّة أو الخُلد، فإنّها نقمةٌ نقيّة خالصةٌ أيضًا؛ وميزة نقاء كلّ شيءٍ هو ما تطرّقت إليه هذه النصوص.

عذاب الجنّ والإنس

يُستفاد من آيات القرآن أنّ أصل التكليف والسعادة والشقاء والثواب والعقاب الأخرويّ غير مختصٍّ بالإنسان، بل إنّ الجنّ أيضًا مكلّفٌ ومثل الإنسان، إمّا سعداء أو أشقياء. من هنا يقول القرآن: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[1]

ويقول العلاّمة الطباطبائي﷯:

> إنّ جماعة الجنّ مخلوقٌ مخفيٌّ عن حواسنا، ويوجد العديد من المطالب حولهم في القرآن وبعضها عبارة عن:
>
> ١. نوع من الخلق مستورون من حواسنا يصدّق القرآن الكريم بوجودهم ويذكر أنّهم بنوعهم مخلوقون قبل نوع الإنسان، وأنّهم مخلوقون من النّار كما أنّ الإنسان مخلوقٌ من التراب، يقول اللّه تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾.[2]
>
> ٢. يعيش الجنّ، ويموتون ومن ثمّ سوف يُبعثون كالإنسان: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.[3]
>
> ٣. وأن فيهم ذكورًا وإناثًا يتكاثرون بالتّوالد والتناسل...

---

١. الأنعام: ١٢٨ـ١٣٠.

٢. الحجر: ٢٧.

٣. الأحقاف: ١٨.

٤. للجنّ شعور وإرادة، وهم يقدرون على حركاتٍ سريعة وأعمالٍ شاقّة كما في قصص سليمان عليه السلام وتسخير الجنّ له وقصة ملكة سبأ.

٥. الجنّ مكلّفون كالإنسان، منهم مؤمنون ومنهم كفّار، ومنهم صالحون وآخرون طالحون، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[١] ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾،[٢] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾،[٣] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾،[٤] {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾.[٥]

٦. ويظهر من كلام الحقّ تعالى أنّ إبليس من الجنّ ولديه ذرّية وقبيلاً: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾[٦]، ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.[٧]

وأمّا تلك الجماعة من النّاس الذين في اتّباعهم للشيطان قد تجاوزوا مرحلة الحال والملكة ووصلوا إلى مرحلة تقوّم الهويّة والدخالة في كيفيّة وجودهم، فقد اصبحوا يُعتبرون من نوع الشيطان؛ ولذلك فقد تمّ التعبير عنهم بـ «شياطين الإنس».

الاحتراق الظاهريّ والاحتراق الباطنيّ

يعتبر أصحاب الأدب والمعاجم أنّ: «زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني»، وعلى هذا الأساس، تمّ التعبير في القرآن الكريم عن تذوّق العذاب أحيانًا بـ «صَلى»، وأحيانًا أخرى

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. الجن: ١ـ٢.

٣. الجن: ١٤.

٤. الجن: ١١.

٥. الأحقاف: ٣٠ـ٣١.

٦. الكهف: ٥٠.

٧. الأعراف: ٢٧، *الميزان* ج ٢٢٠، ص٣٩.

بـ «تصلية»؛ كما قال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.[١]

ويعتقد بعض المفسرين بأنّ ﴿يَصْلَى﴾، وهو مضارعٌ ثلاثيّ مجرّد يعني الاحتراق بواسطة نارٍ تحرق بشدّة «ظاهر» الجسد، أمّا كلمة «صلى» عندما يتعدّى في باب التفعيل عن أبواب الثّلاثيّ المزيد ويُضاف إلى مبانيه، سوف يتّسع معنى «تصليه» أيضًا مقارنةً مع ما كانت تفيده سابقًا؛ كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.[٢]

إشارة: يوجد فرق بين النّار الكبرى والنّار الوسطى والنّار الصغرى، فمن الممكن أنّ «صلى» في النّار الكبرى، يعادلها تصلية النّار الوسطى أو الصغرى؛ لذا يُبتلى الإنسان «الأشقى» بها وتفصيل ذلك في محلّه مخفيّ عند أهله.

العذابات والآلام الروحيّة والعقليّة

كما تمّت الإشارة سابقًا، يمكن تقسيم «عذاب» يوم القيامة إلى قسمين: جسميّ وروحيّ. وقد أخبر القرآن الكريم، كما مرّ ذكره، عن العذابات الجسمانيّة والعذابات الروحيّة والعقليّة، فعندما يضع الإنسان أوامر اللّه وأحكامه تحت قدميه ويخالف القانون، يجب أن يُهزم ويُجازى بواسطة القانون، وكم هم كُثر الذين يتألّمون من العذابات الروحيّة بدرجاتٍ أكبر من تألّمهم من العذابات الجسميّة؛ وهم حاضرون لتحمّل كلّ ما هو ملموس وجسميّ في مقابل أن لا تتعرّض شخصيّتهم لأقلّ إهانة، أو إذلالٍ، أو توبيخٍ أو عتابٍ...، وهم غافلون عن أنّه في يوم القيامة سوف يُبتلون بمثل هذا المصير المشؤوم والعاقبة السيّئة وسوف يتحمّلون العذابات الروحيّة حتى تَنفُذ إلى أعماق أرواحهم. وآيات القرآن حول عقاب أهل جهنّم الروحيّ والعقليّ تتوزّع على عدّة طوائف:

١. آياتٌ تدلّ على عذاب المجرمين، ولأجل إذلالهم يُقال لهم بلُغةٍ ساخرة، «ذوقوا» عذابًا كنتم تظنّونه كذبًا: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٣]، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ

---

١. الأعلى: ١١ـ١٣.

٢. الواقعة: ٩٢ـ٩٤.

٣. السجدة: ٢٠.

ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[١]، ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾.[٢] وذلك حتى تسمع آذانهم صوت العقوبة وتتذوّق أذواقهم طعم العذاب.

٢. آياتٌ تدلّ على هوان أهل جهنّم وذلّهم؛ مثل: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.[٣] وكذلك: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾؛[٤] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[٥]

٣. ومن العذابات الروحيّة الأخرى لأهل جهنّم أنّه بعد مضي مدّةٍ من العذاب، فيتصوّرن بخيالهم الساذج أنّ موعد نجاتهم قد حان، ويبادرون إلى التحرّك من مكانهم قاصدين الخروج من هناك، وإذ بهم يواجهون تهديدًا شديدًا من قِبل القائمين على النّار بأن ارجعوا، فحُزنكم وغمّكم المؤلم والمخيّب للآمال لن ينتهي، فأين تذهبون، قفوا وذوقوا العذاب الشديد: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.[٦] بعد ذلك، يُذيقونهم عذابًا محرقًا وجديدًا بسياطٍ وأعمدةٍ من نار.

٤. إهانة أهل جهنّم بألفاظٍ خاصّة هي من أشدّ الإهانات التي قيلت لأهل جهنّم. نعم، عندما اشتروا أشدّ العذاب والألم بأرواحهم في مدّةٍ لا يعلم مقدارها إلّا اللَّه، وأصابهم الضيق والعجز، تنبس شفاههم عن: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.[٧] وهكذا، بعدما يطلب أهل جهنّم الخروج من جهنّم، ويقولون إنّنا إذا عدنا إلى العمل السيّئ، فإنّنا سنكون ظالمين، يأتيهم الجواب باستخدام تلك الكلمة التي تُستخدم من أجل طرد الكلب وإبعاده:

---

١. سبأ: ٤٢.

٢. يونس: ٥٢.

٣. آل عمران: ١٩٢.

٤. الأنعام: ٩٣.

٥. الحج: ٥٧,

٦. الحج: ٢٢,

٧. المؤمنون: ١٠٧ـ١٠٨.

﴿اخْسَئُوا﴾، أي ابتعدوا وتنحّوا ولا تتكلّموا معي. ويسمعون جوابًا آخرًا عندما تدفعهم شدّة العذاب إلى اللجوء إلى خزنة النّار، طالبين منهم أن يخفّف اللّه عنهم العذاب، فيأتيهم الجواب: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[1] وهكذا، لا تصل أمانيّ الكافرين ورغباتهم إلى أيّ نتيجةٍ؛ لأنّ القيامة ليست مكانًا لا للزرع ولا للحصاد: «في الصيف ضيَّعتَ اللّبن».[2]

٥. ما إن ترى جهنّم من بعيدِ النازلين بها حتى تزمجر وتهدر، معلنةً استعدادها لاستقبال ضيوفها: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.[3] لذا فإنّها تُظهر غضبها وتزمجر من أعماق قلبها، وتزأر كموجودٍ مفترس. إذن لجهنّم عقلٌ وإدراك وشعور وتعرف العدوّ حقّ المعرفة.

٦. ينشأ عن الحوار القائم بين أهل النّار وأهل الجنّة مشهدًا مفجعًا وممزوجًا باللوم والعتب لأهل جهنّم، وخاصّةً عندما يتمّ لعنهم ولومهم من عالم آخر: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.[4]

وقد ورد في رواياتٍ كثيرة من طرق أهل السنّة والشيعة أنّ المؤذّن هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[5]

وفي خطبةٍ يذكر أمير المؤمنين فيها نِعَم اللّه عزّ وجلّ عليه؛ ويقول:

«ألا وإنّي مخصوصٌ في القرآن بأسماء، احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم، وأنا المؤذّن في الدّنيا والآخرة. قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ

---

١. الزمر: ٧١.

٢. من الأمثال العربيّة، *مجمع البحرين*، ج١، الجزء٢، ص٦٥٠.

٣. الفرقان: ١٢.

٤. الأعراف: ٤٤.

٥. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٣، ح١٢٢ و١٢٣.

عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أنا ذلك المؤذن وقال: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ وأنا ذلك الأذان».[١]

٧. ربما كانت النّار التي تصهر قلب الإنسان وروحه أشدّ بكثير من العذابات الجسديّة؛ مثلاً كمن يفقد شابًّا كاملاً ومتخلّقًا بالأخلاق الحميدة، فإنّ قلبه سيحترق ويذوب بأشدّ من أيّ عذابٍ جسديّ حارق. ومن خلال تصوّر هذا المثال التقريبيّ، يقول الحقّ تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾؛[٢] فهذا من أشدّ العذابات؛ لأنّه منسوبٌ إلى اسم «اللّه» المقدّس، وليس «الربّ» و«المنتقم» و«الجبّار»، بل إلى الاسم الجامع، وهو مصهرةٌ للأرواح. يقول العلاّمة الطباطبائي‌ﷺ: «والأفئدة جمع فؤاد وهو القلب، والمراد به في القرآن مبدأ الشعور والفكر من الإنسان وهو النفس الإنسانيّة».[٣] وقد اعتبروا أنّ هذا النوع من العذاب هو عذابٌ عقليّ، وهذا الأمر في مقابل أنّ الإنسان في الدنيا منفصلٌ عن العقل، أي النبيّ الباطنيّ، وقد اعترف أهل جهنّم بهذه الحقيقة، إذ يقولون: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٤]

ويقول النبيّ‌ﷺ: «إنّ الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام وممّن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما يجزى يوم القيامة إلاّ على قدر عقله».[٥] وكذلك اثنى قومٌ على رجلٍ عند رسول اللّه‌ﷺ، «فقال رسول اللّه‌ﷺ: كيف عقله؟ قالوا: يا رسول اللّه نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال: إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنّما يرتفع العباد غدًا في الدرجات وينالون الزلفى من ربّهم على قدر عقولهم».[٦]

إشارة: إنّ قيمة كلّ عملٍ بروح ذلك العمل وروح العمل النيّة وعامل النيّة المعرفة.

---

١. ن.م.، ح١٢٤.

٢. الهمزة: ٦ـ٧.

٣. تفسير *الميزان*، ج٢٠، ص٣٦٠.

٤. الملك: ١٠ـ١١.

٥. *نور الثقلين*، ج٥، ص٣٨٢، ح٢٠.

٦. ن.م.، ح٢١.

على هذا الأساس، بمقدار ما يزداد العقل ومعرفة العقل النظريّ أكثر، فسوف تتوفّر أرضيّة شدّة إخلاص العقل العمليّ أكثر، وبمقدار ما تتحقّق النيّة الخالصة سوف يصبح العمل حيًّا أكثر، وبمقدار ما تكون درجة حياة العمل الصالح أكثر سوف تكون آثار العمر الإيجابيّة أكثر.

سرّ خلق أهل جهنّم

نظرًا إلى علم الحقّ تعالى المطلق واللامحدود، يُطرح السؤال التالي: لماذا خلق اللّه أهل جهنّم؟ لما كلّ هذه العذابات والآلام؟ ألم يكن من الأفضل منذ البداية ألّا يخلقهم حتى لا يحيط العذاب بهم؟ وحتّى لا تتراكم جهنّم بالجنّ والإنس؟ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾.[١]

الجواب: يمكن عرض بعض الأوجه في الرد على هذا النقد والتي بيّنها الأستاذ العلاّمة الطباطبائي في تفسيره القيّم الميزان:

أوّلًا: إنّ الغاية لخلق الخلق هي الرحمة، وهي الجنّة في الآخرة كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.[٢]

ويقول الإمام الصادقعليه السلام: «قال خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمة اللّه فيرحمهم».[٣]

ثانيًا: إنّ الهدف والغرض الأساس للخلق كما تمّت الإشارة إليه هو الرحمة، ولكن يختلف معنى الغرض بحسب كمال الفعل ونهاية الفعل التي ينتهي إليها؛ لأنّ الإنسان يخطو في اتجاه التزاحم، وربما في طيّه لهذا الطريق قد يصل إلى هدفٍ آخر ليس الهدف الرئيسيّ ويتخلّف عن الهدف الرئيسيّ، ويمكن توضيح هذا المطلب ببعض الأمثلة:

إذا أراد النّجار أن يصنع بابًا، عمد إلى أخشابٍ يهيّئها له، ثمّ هندسه فيها، ثمّ شرع في النّشر والنّحت والخرط حتّى أتمّ الباب، فكمال غرضه من إيقاع الفعل على تلك الأخشاب هو حصول الباب لا غير، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى هو يعلم من أوّل الأمر

١. الاعراف: ١٧٩.

٢. هود: ١١٩.

٣. *نور الثقلين*، ج٢، ص٤٠٤، ح٢٥٠.

أنّ جميع أجزاء تلك الأخشاب ليست تصلح لأن تكون أجزاءً للباب، فإنّ للباب هيئةً خاصّة لا تجامع هيئة الأخشاب، ولا بدّ في تغيير هيئتها من ضيعة بعض الأجزاء لخروجها عن هندسة العمل، فصيرورة هذه الأبعاض فضلة يُرمى بها داخلة في قصد الصانع مرادة له بإرادةٍ تسمى قصدًا ضروريًّا. فللنّجار في صنع الباب بالنسبة إلى الأخشاب التي بين يديه نوعان من الغاية: أحدهما الغاية الكماليّة، وهي أن يصنع منها بابًا، والثاني الغاية التابعة وهي أن يصنع بعضها بابًا، ويجعل بعضها فضلةً لا يُنتفع بها وضيعة يُرمى بها، وذلك لعدم استعدادها لتلبس صورة الباب.

وكذا الزّارع يزرع أرضًا ليحصد قمحًا، فلا يخلص لذلك إلى يوم الحصاد إلّا بعض ما صرفه من البذر، ويذهب غيره سدًى يضيع في الأرض أو تفسده الهوام أو يخصفه المواشي والجميع مقصودةٌ للزراع من وجهٍ، والمحصول من القمح مقصودٌ من وجهٍ آخر.

وقد تعلّقت المشيئة الإلهيّة أن يخلق من الأرض إنسانًا سويًّا يعبده ويدخل بذلك في رحمته، واختلاف الاستعدادات المكتسبة من الحياة الدنيويّة على ما لها من مختلف التأثيرات لا يدع كلّ فردٍ من أفراد هذا النّوع أن يجري في مجراه الحقيقيّ ويسلك سبيل النجاة إلّا من وُفّق له، وعند ذلك تختلف الغايات وصحّ أن للّه سبحانه غايةً في خِلقة الإنسان مثلاً، وهو أن يشملهم برحمته ويدخلهم جنّته، وصحّ أنّ للّه غايةً في أهل الخسران والشقاوة من هذا النّوع وهو أن يدخلهم النّار، وقد كان خلقهم للجنّة غير أنّ الغاية الأولى غايةُ أصليّة كماليّة، والغاية الثانية غايةُ تبعيّة ضروريّة، والقضاء الإلهيّ المتعلّق بسعادة من سعد وشقاوة من شقيّ ناظرٌ إلى هذا النّوع الثاني من الغاية فإنّه تعالى يعلم ما يؤول إليه حال الخلق من سعادةٍ أو شقاءٍ، فهو مريدٌ لذلك بإرادةٍ تبعيّة لا أصليّة.

وعلى هذا النوع من الغاية ينزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾، وما في هذا المساق من الآيات الكريمة، وهي كثيرة.[١]

إشارة: إنّ ما يجري طرحه في هندسة النظام العامّ في نطاق المادّة والطبيعة هو وجود فضلات وآفاتٍ وضِياعٍ تابعة وأشقياء بالعَرَض. ولكن تحديد الشخص الضائع والفرد

١. *الميزان*، ج٨، ص٣٣٤ـ٣٣٥.

الشقيّ يعود إلى سوء اختيار الضائع والشقيّ نفسه؛ مثل ضرورة المرض في عالم الطبيعة، ولكن تحديد المريض والمُبتلى بالمرض إنّما يرجع إلى سوء سلوك الشخص نفسه.

الفصل الرابع والعشرون

العقاب الخالد

أنواع العذاب

من خلال البحث في آيات القرآن وتدبّرها، يظهر أنّ العقوبات والعذابات متنوّعة، بحيث إنّ بعضها سيحصل في الدنيا وبعضها في الآخرة؛ مثل:

١. عذابٌ يغلي في البطون ومنشؤه أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١]

٢. عذابٌ ونارٌ ينهمر من فوق الرؤوس: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾[٢]، و﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٣].

٣. عذابٌ خاصٌ بالعينين ويُحشر المذنب المُعذّب بهذا العقاب أعمى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.[٤]

٤. كيّ الظهر والجبهة والجانبين بعذابٍ شديد: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[٥]

٥. تعرّض مجموعة الأعضاء والجوارح من الرأس إلى أخمص القدمين للعذاب: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾؛[٦] وعندها لن يوجّه أحدٌ سؤالاً

---

١. النساء: ١٠.

٢. الرحمن: ٣٥.

٣. الحج: ٢١.

٤. طه: ١٢٤.

٥. التوبة: ٣٥.

٦. الرحمن: ٤١.

للمجرمين؛ لأنّ حال كلّ امرئٍ واضحٌ من علامته ويُخبر «لونُ وجهه عمّا في الضمير»: ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1]

٦. عذابٌ بواسطة الألبسة: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[2]

٧. عذاباتٌ تحيط بالدنيويّين وعابدي الدنيا، وأحيانًا يتمّ تدمير جميع ممتلكاتهم ومزارعهم ومحاصليهم وحدائقهم دُفعةً واحدة: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[3]

بناءً على ما ورد في بعض الروايات المذكورة في ذيل هذه الآية، فإنّ سلالة الظالمين رغم تجذّر سلطانهم لمئات السنين بين النّاس، مثل خلفاء بني العباس، وامتلاكهم للمُلك والقدرة والسلطة والهيمنة والجيوش، إلاّ أنّهم سيُمحون من مسرح التاريخ وعالم الوجود، بحيث لن يبقى لهم أثرٌ، وكأنّهم لم يكونوا البارحة أبدًا؛ وكشجرةٍ قديمة اقتلعتها الأعاصير من الجذور ودمرتها، حتى كأنّه لم يكن بالأمس من وجود لها. نعم، «حتى إذا أَمِنوا مكر اللّه وأمِنوا عقابه صيح فيهم صيحةً لا يبقى لهم منادٍ يجمعهم ولا آذانٌ يسمعهم».[4]

٨. تصبح الأموال والأولاد سببًا للعذاب أحيانًا؛ كما ذُكر في القرآن: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.[5]

يمكن ذكر القصور الفريدة والأبنية العظيمة كناطحات السحاب والمدن الجميلة الشبيهة بالجنّة، كمثال في هذا المجال، وقد أشار القرآن إلى نموذج عن ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ

---

١. الرحمن: ٣٩.

٢. إبراهيم: ٥٠.

٣. يونس: ٢٤.

٤. *نور الثقلين*، ج٢، ص٢٩٩، ح٤٠.

٥. التوبة: ٨٥.

بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.[١]

وينقل رجل من أهل الشام عن أبيه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول:

«شرّ خلق اللّه خمسة:

١. إبليس ٢. وابن آدم الذي قتل أخاه، ٣. وفرعون ذو الأوتاد، ٤. ورجلٌ من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم، ٥. ورجلٌ من هذه الأمّة يبايع على كفرٍ عند باب «لدّ» (قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين)، ثمّ قال إنيّ: لما رأيت معاوية يبايع عند باب «لدّ» ذكرت قول النبيّ ﷺ، فلحقت بعليّ عليه السلام كنت معه».[٢]

تبصرة: تعتبر البلاءات الدنيويّة من العذاب أيضًا، ولكنّها لن تكون من ضمن العذابات الإلهيّة محلّ البحث؛ مثل: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾؛[٣]

وقد جاء في تفسير مجمع البيان:

«...إنّه اشتدّ مرضه حتّى تجنّبه النّاس فوسوس الشيطان إلى النّاس أن يستقذروه ويُخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه أن تدخل عليهم، فكان أيّوب يتأذّى بذلك ويتألّم منه، ولم يشكُ الألم الذي كان من أمر اللّه تعالى».[٤]

ومثل: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.[٥]

على هذا الأساس، فقد تمّ استخدام كلمة العذاب هنا بالمعنى العرفيّ للكلمة، وهو عبارة عن البلاء وعدم الهناء والألم؛ كما أنّ كلمة «الشقاء» تُستخدم أحيانًا بهذا المعنى أيضًا؛ مثل: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.[٦]

---

١. الفجر: ٦ـ١٤.
٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص٥٧٢، ح٧.
٣. ص: ٤١.
٤. مجمع *البيان*، ج٧ـ٨، ص٧٤٥.
٥. الأعراف: ١٤١.
٦. طه: ٢.

ويقع الاختلاف بين الشرع والعرف في أنّ بعض الأمور يعتبرها العرف عذابًا، ولكن لا يعتبرها الشرع كذلك؛ مثل الآلام والبلاءات التي تؤدّي إلى السعادة الأخرويّة؛ مثل الجهاد في سبيل اللّه؛ إذ كان الناس المرفّهين والقصيري النّظر يقولون لمجاهدي صدر الإسلام: لماذا تلقون بأنفسكم في المشقّة؟ فيجيبهم القرآن بأنّ هذا العذاب الموجز الذي سيقابله أجر حسن مضاعف، لا ينبغي تلقّيه عذابًا وألمًا: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[١]

طبعًا، إنّ بعض الأمور المسبّبة لرفاهية الجسم وراحته أو زينته، وتُسلّي الروح وتؤدّي إلى الغفلة عن ذكر اللّه، لن تكون سببًا للطمأنينة، بل تعتبر في نظر الشرع شقاءً، حتى لو كانت بنظر العرف رفاهًا وراحةً أو زينة؛ ولذلك يعلّم القرآن أمورًا لا يمكن للبشر تعلّمها وفهمها من دون الوحي: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، ومن هذا القبيل يمكن التعلّم من هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.[٣] نعم، إذا كان امرؤٌ مرفّهًا في الحياة، ولكنّه فارغٌ من ذكر اللّه، فإنّ أدوات الرفاه وأسباب الراحة ستكون ألمًا وعذابًا عليه، ولكنّه لا يَفهم ذلك، مثل: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.[٤]

المهدّدون بالعذاب الخالد

لقد ذكر القرآن المجيد العذاب الخالد مرارًا وتكرارًا، وهدّد فئاتٍ بذلك العذاب؛ ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى الفئات أدناه والآيات الدالّة عليها:

---

١. التوبة: ١٢٠.

٢. البقرة: ١٥١.

٣. طه: ١٢٤.

٤. التوبة: ٨٥.

الأوّل: الكافرون

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[2]

٢. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[3].

الثاني: المشركون

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.[4]

٢. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾.[5]

الثالث: المنافقون

١. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.[6]

٢. ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[7]

---

١. آل عمران: ١١٦.

٢. البيّنة: ٦.

٣. الأحزاب: ٦٤ـ٦٥.

٤. البيّنة: ٦.

٥. الفرقان: ٦٨ـ٦٩.

٦. التوبة: ٦٨.

٧. المجادلة: ١٧.

الرابع: المرتدّون

١. ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.[1]

الخامس: المكذّبون بآيات الله

١. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[2]

٢. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.[3]

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[4]

السادس: أعداء الله والنبيّ ﷺ

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.[5]

السابع: عصيان أمر الله ورسوله ﷺ

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.[6]

---

١. آل عمران: ٨٦ـ٨٨.

٢. الأعراف: ٣٦.

٣. التغابن: ١٠.

٤. المؤمن: ٧٠ـ٧٦.

٥. التوبة: ٦٣.

٦. الجن: ٢٣.

الثامن: الظالمون

١. ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[١]

٢. ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾.[٢]

التاسع: الأشقياء

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ...﴾[٣].

العاشر: المجرمون والمذنبون

١. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.[٤]

٢. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[٥]

٣. ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦]

الحادي عشر: قاتل المؤمن

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.[٧]

إشارة: إنّ الذنب العمليّ، وهو غير الذنب الاعتقاديّ مثل الكفر والنفاق، لا يسبب الخلود، وقد تمّ البحث سابقًا حول معنى خلود قاتل المؤمن.

---

١. الأنعام: ١٢٨.

٢. يونس: ٥٢.

٣. هود: ١٠٦ـ١٠٧.

٤. الزخرف: ٧٤.

٥. السجدة: ١٢ـ١٤.

٦. البقرة: ٨١.

٧. النساء: ٩٣.

الثاني عشر: آكلو الربا

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

الثالث عشر: المعرضون عن القرآن

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[2]

الرابع عشر: الخفيف ميزانهم

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[3]

الخامس عشر: أتباع الظالمين

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[4]

السادس عشر: المتكبّرون

١. ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[5]

٢. ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[6]

لقد استُخدمت كلمة «الخلود» بحقّ الفئات والجماعات الآنفة الذكر، ويعتقد أصحاب المعاجم أنّ الخلود يعني دوام البقاء، البقاء، اللّبث والإقامة في مكانٍ؛ وإن كان

---

١. البقرة: ٢٧٥.

٢. طه: ١٠٠ـ١٠١.

٣. المؤمنون: ١٠٣.

٤. البقرة: ١٦٧.

٥. الزمر: ٧٢.

٦. غافر: ٧٦.

يُستخدم أحيانًا بمعنى المكث الطويل.

الآراء المختلفة حول خلود العذاب

لقد كانت مسألة الخلود في العذاب محلّ بحثٍ، وجدالٍ، وشبهةٍ وإشكالاتٍ كثيرة منذ القِدم. وسوف نشير هنا إلى بعضٍ من ذلك بإيجازٍ.

أ) أقوال المحدّثين (الرواة)

١. عدم خلود أهل الإيمان في النّار

توجد مجموعة من الروايات تشير إلى أن خلود في العذاب لا يكون إلّا للكافرين؛ كما ينقل ابن أبي عمير عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «لا يُخلّد في النّار إلّا أهل الكفر والجحود وأهل الضّلال والشّرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر. قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ قال: فقلت له: يا بن رسول اللّه، فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ فقال: حدّثني أبي عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون منهم فما عليهم من سبيل».[١]

ويقول ابن عباس: يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيرًا لا يعذّب اللّه بالنّار موحّدًا أبدًا، وإنّ أهل التوحيد يشفعون فيشفّعون...».[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

> «لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال حبّةٍ من خردلٍ من كِبرٍ، لا يدخل النّار من في قلبه مثقال حبّةٍ من خردلٍ من إيمان. فاسترجعت، فقال: ما لك تسترجع؟ فقلت: لما أسمع منك، فقال: ليس حيث تذهب، إنّما أعني الجحود، إنّما هو الجحود».[٣]

---

١. *توحيد الصدوق*، الباب ٦٣، حديث ٦؛ *البحار*، ج٨/ ص٣٥١.

٢. *البحار*، ج٨، ص٣٥٨، ح٢٣.

٣. *ن.م.*، ص٣٥٥، ح٧.

والكِبرَ هنا يعني ذلك الإنكار والكفر. فمن يُنكر في قلبه بمقدار حبّة خردلٍ لن يدخل الجنّة، ولكن هل سيبقى في جهنّم دائمًا أم أنّه سيقضي مدّةً خارجها، فذلك يحتاج إلى دليلٍ آخر، طبعًا إذا ما اعتبرنا الحرمان من الجنّة عذابًا فإنّ مثل هذا العذاب بالنسبة له مستمرٌّ ودائم.

٢. نجاة شيعة أهل الولاية

تدلّ بعض الروايات على أنّه لن يُخلّد شيعة أهل ولاية عليّ‌عليه السلام وأهل بيته في العذاب، وأنّ أعداءهم لن ينجوا من العذاب الخالد.

يقول النبيّ الأكرم‌صلى الله عليه وآله:

«إنّ ولاية عليّ حسنةٌ لا تضرّ معها شيءٌ من السيّئات وإن جلّت إلّا ما يصيب أهلها من التطهير منها بمحن الدّنيا، وببعض العذاب في الآخرة إلى أن ينجوا منها بشفاعة مواليهم الطّيّبين الطّاهرين، وإنّ ولاية أضداد عليّ‌عليه السلام ومخالفة عليّ‌عليه السلام سيّئة لا تنفع معها شيءٌ إلّا ما ينفعهم بطاعاتهم في الدنيا بالنّعم والصّحّة والسّعة، فيردوا الآخرة ولا يكون لهم إلّا دائم العذاب. ثمّ قال: إنّ من جحد ولاية عليّ‌عليه السلام لا يرى بعينه الجنّة أبدًا...».[1]

وعن ميسرة: قال: سمعت الرضا‌عليه السلام يقول: «واللّه لا يرى في النار منكم اثنان أبدًا، واللّه ولا واحد...».[2]

وفي عدة أحاديث واردة عن الإمام الصادق‌عليه السلام، يستفاد منها ما أكثر من ذلك، حيث يقول‌عليه السلام: «أما واللّه لا يدخل النّار منكم إثنان، لا واللّه ولا واحد».[3]

إشارة: على الرغم من أنّه سيتمّ بحث روايات الخلود ضمن الموضوعات اللاحقة، لكن من الضروريّ الالتفات إلى أنّه في استنباط مطلبٍ عقليٍّ مهمٍّ من الأحاديث، وبعد

١. *البحار*، ج٨، ص٣٥٢، ح٢.
٢. ن.م.، ص٣٥٣، ح٣.
٣. ن.م.، ص٣٥٤، ح٤.

إحراز السند المعتبر وإرجاع المطلق إلى المقيّد والعام إلى الخاصّ والمتشابه إلى المحكم وسائر ضوابط علم الحديث، يجب عرضه على الخطوط الكلّيّة للقرآن والسنّة القطعيّة، وحيث إنّ المطلب المذكور ذو صبغةٍ عقليّة، فيجب ألّا نغفل عن أحكام العقل التي هي نتاج البرهان القطعيّ، من آجل استنباط مطلبٍ ما من خلاصة الأدلّة العقليّة والنقليّة المعتبرة.

٣. العذاب الخالد

تُثبت مجموعة من الروايات العذابَ الخالد بحق جماعة أو جماعات بهذه الطريقة:

١. يقول الإمام الصادقعليه السلام في تفسير الآية ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[١]: «إذا جحد إمامة أمير المؤمنينعليه السلام، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾».[٢]

٢. وقال الإمام الباقرعليه السلام: «...يا أبا بصير إنّ أعداء عليّ هم الخالدون في النّار لا تدركهم الشّفاعة».[٣]

٣. وفيما كتب الرّضاعليه السلام للمأمون من محض الإسلام:

«إنّ اللّه لا يدخل النّار مؤمنًا، وقد وعده الجنّة، ولا يخرج من النّار كافرًا وقد أوعده النّار والخلود فيها؛ ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النّار ويخرجون منها والشّفاعة جائزةٌ لهم».[٤]

٤. عن منصور بن حازم قال: سألت أبي عبد اللّهعليه السلام عن: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٥]، قال: «أعداء عليّعليه السلام هم المخلّدون في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين».[٦]

٥. وكما جاء في حديثٍ عن جابرٍ إذ سأل الإمام الصادقعليه السلام عن الآية: ﴿... وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ

---

١. البقرة: ٨١.
٢. *نور الثقلين*، ج١، ص٩٣، ح٢٥٨.
٣. *البحار*، ج٨، ص٣٦١، ح٣٣.
٤. ن.م.، ص٣٦٢، ح٣٦.
٥. البقرة: ١٦٧.
٦. *البحار*، ج٨، ص٣٦٢، ح٣٧.

مِنَ النَّارِ﴾ «قالعليه السلام: قال أبو جعفرعليه السلام: هم واللَّه يا جابر أئمّة الظلم وأتباعه».[١]

تبصرة: إنّ الحكم النهائيّ حول المعذّبين الأبديّين لن يكون معتبراً دون الاستناد إلى الجمع النهائيّ للأدلة العقليّة والنقليّة جميعها.

٤. الخروج من جهنّم

تدلّ مجموعة من الروايات أنّ هناك مَن سينجو في النهاية من جهنّم.

١. عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد اللَّهعليه السلام عن الجهنميّين [عن مصيرهم النهائيّ]، فقال: كان أبو جعفرعليه السلام يقول: «يخرجون منها، فيُنتهى بهم إلى عين عند باب الجنّة تسمى عين الحيوان، فينضح عليهم من مائها، فينبتون كما تنبت الزرع، تنبت لحومهم وجلودهم وشعورهم».[٢]

٢. وفي حديثٍ آخر بالمضمون نفسه: يقول الإمام الباقرعليه السلام: «إنّ ناسًا يخرجون من النّار...».[٣]

٣. وفي حديثٍ عن الإمام الباقرعليه السلام: «إنّ آخر مَن يخرج من النّار لرجلٌ يُقال له همام، ينادي فيها عمرًا: يا حنّان يا منّان».[٤]

لقد جمع الرواة المسلمون بين مختلف الروايات المذكورة وقدّم كلٌّ منهم تفسيراً متناغمًا ومنسجمًا لها. بالطبع، بعض هذه الآراء مشتركة بين العديد من الأفراد أو الجماعات.

رأي العلاّمة المجلسيرحمه الله

يعتقد العلاّمة في مقام الجمع بين الروايات الآنفة الذكر بأنّ:

١. الكافر المنكر لضروريّ من ضروريّات دين الإسلام مخلّدٌ في النّار، لا يخفّف عنه العذاب إلاّ المستضعف الناقص في عقله أو الذي لم يتمّ عليه الحجّة ولم يقصّر

---

١. ن.م.، ص٣٦٣، ح٤١.
٢. ن.م.، ج٨، ص٣٦٠، ح٢٩.
٣. ن.م.، ص٣٦١، ح٣١.
٤. ن.م.، ح٣٤.

في الفحص والنظر، فإنّه يحتمل أن يكون من «المرجون لأمر اللّه».

٢. غير الشيعة الإماميّة من المخالفين وسائر فرق الشيعة ممن لم ينكر شيئًا من ضروريّات دين الإسلام، وهم فرقتان: إحداهما المتعصّبون المعاندون منهم ممّن قد تمّت عليهم الحجة، فهم في النّار خالدون، والأخرى المستضعفون منهم، وهم ضعفاء العقول، مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم ومن لم يتمّ عليه الحجة ممّن يموت في زمان الفترة، أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجّة، فهم المرجون إلى اللّه، إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم، فيرجى لهم النّجاة من النار.

٣. وأمّا أصحاب الكبائر من الإماميّة، فلا خلاف بين الإماميّة في أنّهم لا يُخلّدون في النّار، وأمّا أنّهم هل يدخلون النار أم لا؟ فالأخبار مختلفة فيهم اختلافًا كثيرًا، ومقتضى الجمع بينها أنه يحتمل دخولهم النار وأنهم غير داخلين في الأخبار التي وردت أنّ الشيعة والمؤمن لا يدخل النار، لأنه قد ورد في أخبار أخر أنّ الشيعة من شايع عليًّا في أعماله، وأنّ الإيمان مركّب من القول والعمل، لكن الأخبار الكثيرة دلّت على أن الشفاعة تلحقهم قبل دخول النار...[1]

ب) أقوال المتكلّمين

يقول المعتزلة، ومن جملتهم القاضي عضد الدين الأيجي:

> العاصي لا يخلو حاله من أحد أمرين: إمّا أن يعفى عنه، أو لا يعفى عنه، فإن لم يعف عنه فقد بقي في النار خالدًا، وهو الذي نقوله، وإن عفي عنه فلا يخلو إمّا أن يدخل الجنّة أو لا، فإن لم يدخل الجنّة لم يصح؛ لأنّه لا دار بين الجنّة والنار، فإذا لم يكن في النار وجب أن يكون في الجنّة لا محالة. ...فهذا هو الكلام في أن الفاسق يعذب بالنار أبد الآبدين.[2]

يرى المعتزلة أنّ أصحاب الكبائر يعذّبون بالعذاب الدائم من غير عفو ولا إخراج من

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٦٣، ذيل الحديث ٤١.

٢. *شرح الأصول الخمسة*، ص٤٥٠.

النار؛ لأنّ الذنوب الكبيرة توجِد في الإنسان حالةً بين الكفر والإيمان. إذًا مرتكب الكبيرة ليس بمؤمنٍ واقعيّ ولا كافرٍ حقيقيّ. على هذا الأساس، إذا لم يتب ومات فسوف يُخلّد في العذاب.[1]

ويقول التفتازاني في شرح المقاصد:«إنّ الكفّار مخلّدون في النّار دون الفسّاق».[2]

«اختلف أهل الإسلام فيمن ارتكب الكبيرة من المؤمنين ومات قبل التوبة، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعفو ولا بالعقاب، بل كلاهما في مشية اللّٰه تعالى، لكن على تقدير التعذيب نقطع بأنّه لا يخلد في النار بل يخرج البتة، لا بطريق الوجوب على اللّٰه تعالى، بل بمقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنّة».[3]

ويعتقد الجرجانيّ، شارح المواقف أيضًا بأنّ:

«غير الكفار من العصاة ومرتكبي الكبائر لا يخلد في النار لقوله تعالى من يعمل مثقال ذرة خيراً يره)[4] ولا شكّ أنّ مرتكب الكبيرة قد عمل خيراً هو إيمانه. (فأمّا أن يكون ذلك) أي رؤيته للخير (قبل دخول النار)، ثمّ يدخل النار (وهو باطل بالإجماع أو بعد خروجه عنها وفيه المطلوب)، وهو خروجه عن النار وعدم خلوده فيها».[5]

ويكتب الشيخ المفيدؒ:

«القول في الوعيد واتفقت الإماميّة على أنّ الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفار خاصّة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة باللّٰه تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة، ووافقهم على هذا القول كافة المرجئة سوى محمّد بن شبيب وأصحاب الحديث قاطبة. وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أنّ الوعيد بالخلود في النار عامّ في الكفار وجميع فسّاق أهل الصلاة.

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٧٠، نقلاً عن شرح المقاصد.

٢. *شرح المقاصد*، ج٥، ص٢٣١.

٣. *البحار*، ج٨، ص٣٧٠، نقلاً عن شرح المقاصد.

٤. الزلزلة، الآية٧.

٥. *شرح المواقف*، ج٨، ص٣٠٩.

واتفقت الإماميّة على أنّ من عذّب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة والصلاة لم يخلد في العذاب وأخرج من النار إلى الجنّة، فينعم فيها على الدوام، ووافقهم على ذلك من عددناه. وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أنّه لا يخرج من النار أحد دخلها للعذاب».[١]

ويقول العلاّمة الحلّيّ مثل قول أستاذه المحقّق الطوسيّ:

«أجمع المسلمون كافّة على أنّ عذاب الكافر مؤبّد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين.

فالوعيديّة (جماعةٌ من الخوارج) على أنّه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أنّ عذابه منقطع...، الحقّ أنّ عقاب أصحاب الكبائر منقطع والدليل عليه وجهان:

١. الأوّل أنّه يستحقّ الثواب بإيمانه لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾، والإيمان أعظم أفعال الخير، فإذا استحقّ العقاب بالمعصية فإمّا أن يقدّم الثواب على العقاب (أن يرد إلى الجنّة أوّلاً ومن ثمّ جهنّم)، وهو باطل بالإجماع؛ لأنّ الثواب المستحقّ بالإيمان دائم على ما تقدّم أو بالعكس (يرد جهنّم أولاً ومن ثمّ الثاني) وهو المراد، والجمع محال.

٢. الثاني يلزم أن يكون من عبد اللّه تعالى مدّة عمره بأنواع القربات إليه، ثمّ عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه مخلّدًا في النار كمن أشرك باللّه تعالى مدّة عمره، وذلك محال لقبحه عند العقلاء».[٢]

ويعتقد كلٌّ من المحقّق الطوسيّ والعلاّمة الحلّيّ (رحمهما اللّه) فيما يخصّ الآيات والروايات الدّالة على العذاب الخالد:

«والسمعيّات متأولّة ودوام العقاب مختص بالكافر. ...التأويل إمّا بمنع العموم والتخصيص بالكفار، وإمّا بتأويل الخلود بالبقاء المتطاول وإن لم يكن دائمًا،

---

١. *أوائل المقالات*، ص٤٦.

٢. كشف *المراد*، ص٤١٤.

وعن العقل بأنّ دوام العقاب إنّما هو في حقّ الكافر أمّا غيره فلا».[١]

ج) أقوال المفسّرين

يعرض العلاّمة الطباطبائي رأيه حول خلود العذاب في قسمين نقليّ وعقليّ:

«مسألة انقطاع العذاب والخلود مما اختلف فيه أنظار الباحثين من حيث النظر العقليّ ومن جهة الظواهر اللفظيّة.

... أمّا من جهة الظواهر، فالكتاب نصّ في الخلود، قال تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[٢] والسنّة من طرق أئمة أهل البيت مستفيضة فيه [قريب من اليقين]، وقد ورد من غير طريقهم أخبار في الانقطاع ونفي الخلود، وهي مطروحة بمخالفة الكتاب. [وقد تمّ التخلّي عنها، ونعتبر القرآن فقط معيارًا ونقبل فرض العذاب الدائم]

وأما من جهة العقل، فمن الضروريّ الإشارة إلى نكاتٍ عدة:

١. أنّ الاستدلال على خصوصيّات ما جاء به الشرع في المعاد بالمقدّمات الكلّيّة العقليّة غير مقدور لنا؛ لأنّ العقل لا ينال الجزئيّات، والسبيل فيه تصديق ما جاء به النبيّ الصادق من طريق الوحي للبرهان على صدقه. بناءً عليه، لا ضرورة لإثبات الفروع والأحكام بأدلّةٍ عقليّة منفصلة.

٢. وأمّا النّعمة والعذاب العقليّان الطارئان على النّفس من جهة تجرّدها وتخلّقها بأخلاقٍ وملكاتٍ فاضلةٍ أو رديّةٍ أو اكتسائها وتلبّسها بأحوالٍ حسنةٍ جميلةٍ أو قبيحةٍ، فقد عرفت أنّ هذه الأحوال والملكات تظهر للنفس بما لها من صورة القبح أو الحسن، فتنعم بما هي حسنةٌ منها إن كانت ذاتها سعيدة وتعذّب بما هي قبيحةٌ مشوّهة منها، سواء أكانت ذاتها سعيدة أم شقيّة.

---

١. ن.م.، ص٤١٥.

٢. البقرة: ١٦٧.

٣. وأنّ ما كانت من هذه الصور صورًا غير راسخة للنفس وغير ملائمة لذاتها، فإنّها ستزول؛ لأنّ القسر [من منظار العقل] لا يكون دائميًّا ولا أكثريًّا، وهذه النفس هي النفس السعيدة ذاتًا، وعليها هيئاتٌ شقيّة رديّة ممكنة الزوال عنها كالنّفس المؤمنة المجرمة، وهذا كلّه ظاهر. [بناءً عليه، إذا كانت ذات نفس الإنسان خيرّة وسعيدة، فسوف تزول صور الذنب والقبائح، عاجلاً أم آجلاً، عن صفحة النفس؛ وإذا كانت ذات النفس سيّئة وخبيثة، فسوف تزول عنها عمّا قريب تلك الصور الحسنة والجميلة (الثواب) التي نُقشت فيها. إذًا النفس تبقى وسعادتها أو شقاءها الذاتيّ؛ مثلاً تتّخذ نفس المؤمن على أثر الذنوب، صورًا قبيحة وفي النهاية سوف تزول؛ لأنّ القبح لا ينسجم مع ذات نفسه؛ كما أنّ نفس الكافر على أثر تكرار الأعمال الصالحة يتّخذ صورًا حسنة، ولكن في النهاية تزول عن نفسه؛ لأنّ ساحة نفسه لا تتوافق مع تلك الأعمال]

٤. وأمّا الهيئات الرّديّة التي رسّخت في النّفس حتّى صارت صورًا أو كالصور الجديدة تعطي للشيء نوعيّة جديدة، كالإنسان البخيل الذي صار البخل صورة لإنسانيّته، كما صار النطق لحيوانيّته الصائرة به نوعًا جديدًا تحت الحيوان، فالإنسان البخيل أيضًا نوع جديد تحت الإنسان، [الإنسان السابق مثل الجنس، والإنسان البخيل يعتبر نوعًا من ذلك الجنس، مثل انضمام] فمن المعلوم أنّ هذا النوع نوع مجرّد في نفسه دائميّ الوجود، وجميع ما كان يصدر عنه بالقسر حال عدم الرسوخ، فيعذب به ويذوق وبال أمره، فهي تصدر عن هذا النوع بإذن اللّه من غير قسر، إلّا أنّها لما كانت صادرة عن نوعيّته من غير قسر، فهي دائمة من غير زوال، بخلاف ما لو كانت حاصلة بالقسر، ومثل هذا الإنسان المعذّب بلوازم ملكاته من وجه مثل من ابتلي بمرض الماليخوليا أو الكابوس المستمرّ، فإنه لا يزال يصدر عن قوّة تخيّله صور هائلة أو مشوّهة يعذّب بها، وهو نفسه هو الذي يوجدها

من غير قسر قاسر، ولو لم تكن ملائمة لطبعه المريض ما أوجدها، فهو وإن لم تكن متألّمًا من حيث انتهاء الصدور إليه نفسه، لكنّه معذّب بها من حيث إن العذاب ما يفر منه الإنسان إذا لم يبتل به بعد، ويحب التخلّص عنه إذا ابتلي به، وهذا الحدّ يصدق على الأمور المشوّهة والصور غير الجميلة التي تستقبل الإنسان الشقيّ في دار آخرته، فقد بان أنّ العذاب خالد غير منقطع عن الإنسان الشقيّ الذي لذّاته شقوة لازمة».[1]

نتيجة البحث

النتيجة هي أنّه على الرغم من اختلاف علماء الكلام والمفسّرين حول موارد العذاب الخالد ومصاديقه وأصحابه، ولكنّهم يتّفقون بالأساس على وجود العذاب الخالد، خاصّةً فيما يخصّ الكافرين الجاحدين المعاندين، وكما تمّت الإشارة، فقد ادّعى المحقّق الطوسيّ والعلاّمة الحليّ في كشف المراد الإجماع، وكذلك يقول الفيض الكاشانيّ في علم اليقين:

«لا خلاف بين أهل العلم أنّ الكفّار مخلّدون في النّار إلى ما لا نهاية له كما هو ظاهر الكتاب والسنّة».[2]

وكذلك ادّعى الفاضل المقداد الاتفاق أيضًا في اللوامع الإلهيّة، وكذلك ادّعى الاتفاق من بين أهل السنّة الفاضل القوشجيّ في شرح التجريد، وادّعى القاضي عضد الدين الإيجيّ الإجماع في متن المواقف، وادّعى القاضي عبد الجبار الضرورة في كتاب الأصول الخمسة، أمّا «التفتازانيّ» اعتبر أنّ الخلود في جهنّم من المسلّمات وتمسّك برواياتٍ وآياتٍ كثيرة وبأدلّةٍ عقليّة من أجل إثبات أبديّة وخلود العذاب والتي من أهمّها ظواهر الآيات والروايات؛ وخاصّةً وحدة سياق الآيات التي وردت حول أبديّة الجنّة، ولم يعترض أحدٌ ـ يعني على أبديّة الجنّة ـ وقال: من الممكن أنّ يُخرج اللّه أهل الجنّة بعد مدّةٍ ولو طويلة؛

---

١. *الميزان*، ج١، ص٤١٢ـ٤١٣.

٢. *علم اليقين*، ج٢، ص١٣٢١.

ولذلك يقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1] و ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.[2]

بناءً عليه يلاحظ أنّ التعبير الأوّل في الآية بالنسبة لأهل الجنّة وتخليدهم في الجنّة كما في التعبير الثاني حول أهل جهنّم وخلودهم في النّار، ووحدة السياق شاهدٌ على تساوي الجنّة والنّار في الأبديّة.

تأويل الخلود في النّار

يعتقد بعض المتكلّمين أنّ معنى الخلود في الآيات الآنفة الذكر هو «المكث الطويل»، أو يُؤوّل بالمدّة الطويلة؛ لأنّ بعض الروايات تدلّ على خروج مجموعةٍ من جهنّم.

ولكن ثمّة الكثير من المفسّرين والمتكلّمين لم يعتبروا هذا التأويل صحيحًا، معتقدين بأنّه قد جاءت كلمة «أبدًا» في آياتٍ كثيرة مع الخلود، وكما أنّ هناك آياتٍ دالّة على خلود نِعم الجنّة ودوامها، مثل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[3] بمعنى النعمة الدائمة والأبديّة، لا النعمة الطويلة المدّة، يجب أيضًا اختيار نفس هذا المعنى من ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ الواردة في آيات العذاب؛ مثل: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾؛[4] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛[5] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.[6] وهذا النوع من العذاب يكون في حال كانت الملكات والصور القبيحة التي قد اكتسبها الإنسان في عمره بنحوٍ تكون قد عُجنت مع روحه وارتبطت به وغير قابلة للزوال والانفصال عنها؛ وذلك مثل الكافرين الذين قاتلوا الأنبياء بشدّة وكلٌّ بنحوٍ ما امتشق السيف مجريًا على لسانه متفرعنًا

---

١. النساء: ١٢٢.

٢. النساء: ١٦٨ـ١٦٩.

٣. النساء: ٥٧ و١٢٢؛ التوبة: ٢٢ و١٠٠؛ التغابن: ٩؛ الطلاق: ١١؛ البيّنة: ٨.

٤. النساء: ١٤.

٥. الأحزاب: ٦٥.

٦. الجن: ٢٣.

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، ساعين خلف هذا الفكر المشؤوم. وكما صرّح المجلسيّ الثاني﵀ متّبعًا المحقّق الطوسيّ والعلاّمة الحلّيّ (رحمهما اللّه) بأنّ الذين حاربوا أمير المؤمنين﵇ هم كفّارٌ، وذلك بالاستناد إلى كلام النبيّ﵌ ويستوجبون العذاب الخالد:

«المحارب لعليّ﵇ كافرٌ، لقول النبيّ﵌: «حربك يا عليّ حربي»، ولا شكّ في كفر من حارب النبيّ﵌».[1]

يعني أنّ جعل الحرب ضدّ عليّ بمنزلة الحرب ضدّ النبيّ﵌ يستلزم ترتّب آثار المُنزَّل عليه، وهو حرب النبيّ على المُنزّل، أي الحرب ضدّ عليّ، ومن أبرز آثار الحرب ضدّ النبيّ﵌ هو كفر المحارب. على هذا الأساس، محارب عليّ﵇ سيكون كافرًا أيضًا.

شاهدٌ آخر على الخلود في جهنّم

يمكن أن يُقال إنّ بعض الآيات تدلّ على أنّه يوجد«استثناء» للعذاب الخالد، ومع وجود الاستثناء لا يكون للعذاب الخالد من وجودٍ؛ مثل:

١. ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.[2]

٢. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[3]

والجواب على ذلك هو أنّه بعد الآية الأخيرة ترِد آيةٌ أخرى بالسياق والأسلوب والبيان نفسه، وهي تتحدّث عن السعداء، ويُلحظ فيها اعتماد الكلمات نفسها، وهي تتضمّن استثناءً أيضًا، إلاّ أنّه باتفاق جميع العلماء من المفسّرين والعقلاء لا يمكن تصوّر «استثناء» من الجنّة، ومحالٌ على اللّه أن يُخرج أحدًا من الجنّة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.[4] فجملة ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هي قرينةٌ أخرى على أنّ أهل الجنّة هم في ظلّ العطاء الأبديّ للحقّ تعالى دائمًا، ولن تُمنع

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٦٤.

٢. الأنعام: ١٢٨.

٣. هود: ١٠٦_١٠٧.

٤. هود: ١٠٨.

عنهم أو تُقطع نعمة الجنّة؛ يعني أنّ هذا الاستثناء قد جاء من أجل تأكيد المُستثنى منه؛ كما قال الإمام الباقر عليه السلام في جوابه لأبي بصير: «في ذكر أهل النّار استثنى وليس في ذكر أهل الجنّة استثناء».[1]

على هذا الأساس، فإنّه يجب المضي قُدمًا بطريقة الاستدلال نفسها بالنسبة لأهل جهنّم واعتبار عذابهم خالدًا.

تبصرة: إنّ ذكر السماء والأرض إمّا أن يكون كناية عن الدوام أو ناظرًا إلى البرزخ؛ لأنّه يوم القيامة سوف تُطوى السماء والأرض: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾[2]، ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾.[3] فإذا كانت تشير إلى الجنّة وجهنّم البرزخيّتين، ورغم أنّ نظام البرزخ محدودٌ، إلّا أنّ امتداده موصولٌ إلى القيامة بحيث لا تنفصم عراه.

عدّة شبهاتٍ حول خلود أهل جهنّم

الأولى: الرحمة الواسعة والعذاب الخالد

يعرّف العقل والنقل اللهَ بأنّه «أرحم الراحمين»، بناءً عليه فإذا كانت رحمة اللّه غير محدودة، ولا يوجد عادلٌ ورؤوفٌ مثله، فكيف يمكن أن يبتلي عدةٌ بسبب ذنوبٍ محدودة بعذابٍ غير محدود وأن لا تشملهم أبدًا رحمته الواسعة واللانهائيّة؟

ويمكن الإجابة على هذه الشبهة في مقامين:

المقام الأول: إنّ للّه رحمتين: إحداهما واسعة ومطلقة ولا مقابل لها، بل إنّ المقابل لها هو العدم لا الغضب، وهي تشمل كلّ شيءٍ؛ أي أنّها تشمل كلّ ما يمكن أن يُطلق عليه كلمة «شيء» والأخرى اسمها «الرحمة الخاصّة» التي تكون مقابل الغضب.

ومن جهةٍ أخرى، إنّ رحمة اللّه ليست على نحو الانفعال أو العاطفة ورقة القلب.

---

١. *نور الثقلين*، ج٢، ص٣٩٩، ح٢٢٦.

٢. الأنبياء: ١٠٤.

٣. الزمر: ٦٧.

على هذا الأساس، في الحالات التي من المرجّح أن يشعر البشرُ بالعاطفةَ فيها ويتصرّفون على أساسها، يأمر اللّه الرحمن والرؤوف بالقسوة، مثل: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[١]

لذلك فإنّه لا يوجد خزي ولا رحمة في تنفيذ الحدود الإلهيّة، ولا يمكن أن يُطلق عليه اسم «العنف»، ولن يتغيّر هذا الحكم بقراءةٍ جديدة أو إعادة نظرٍ أيضًا؛ لأنّ اللّه الحكيم قد خلق كلّ عالم الوجود على أساس خارطة الرحمة، وتقع جميع العذابات والعقوبات والمرارات والنواقص في مكانها الخاصّ وتحت غطاء الرحمة المطلقة، ويدير العالم طبق هذه الخارطة العامّة؛ محلٌّ يكون مكانًا للّطف، ومحلٌّ آخر يكون مكانًا للعذاب والعنف، مكانٌ لتنفيذ العذابات المرحليّة، وموردٌ آخر محلّ العذاب الخالد والأبديّ، ومكانٌ آخر موردٌ للغضب. بناءً عليه، لا مقابل للرحمة العامّة والواسعة، وحتى العذابات الخالدة فإنّها تقع تحت غطاء الرحمة المطلقة، وليس مقابل ذلك. إذًا الرحمة الخاصّة هي التي لها مقابلٌ.

وقد تمّ بيان المسائل الثلاث محلّ البحث بشكلٍ جامع في أجمل وجهٍ في بعض الآيات: ١. يحدّد اللّه خارطة العالم بناءً على الرحمة المطلقة. ٢. يوجد عذابٌ خاصّ، تتذوّقه جماعةٌ خاصّة. ٣. يوجد رحمةٌ خاصّة مختصّةٌ بعدّةٌ خاصّة. ومن جملة طلبات النبيّ موسى عليه السلام: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٢] وهذا دعاء جميع الأنبياء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.[٣] وعندما يقول: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[٤]، يعني أنّنا عدنا إليك ونحن يهود حقًّا. ويقول اللّه في إجابته على هذه الطلبات:

١. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾

---

١. النور: ٢.

٢. الأعراف: ١٥٦.

٣. البقرة: ٢٠١.

٤. «هُدنا» من «هادَ يَهُودُ» بمعنى العودة والرجوع.

٢. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ رحمتي شاملةٌ لكلّ الأشياء وجميع الموجودات، ولا يوجد شيءٌ لا يصدق عليه «الشيء»، ولا يكون مشمولاً برحمتي.
٣. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ والضمير في ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ بمثابة استخدام الرحمة الخاّصة. على هذا الأساس، تشمل الرحمة الخاصّة، وكذلك ما يقابلها أي العذاب، جماعاتٍ خاصّة، أمّا رحمة اللّٰه الواسعة والمطلقة، فإنّها تشمل جميع الموجودات بما في ذلك الجنّة وجهنّم والإنسان والجنّ.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ خارطة العالم بهندسةٍ دقيقة بيد المهندس المطلق، فهو من ينظّم خارطة الرحمة والغضب، وإلاّ لما كان هذا الانسجام والتناسق في العالم. انطلاقًا من ذلك، يحمد القرآن اللهَ على اقتلاع جذور الجماعة الظالمة؛ لأنّه أوّلاً قد فتحت لهم النعم الإلهيّة، ولكنّهم أصبحوا مغرورين وفرحين بسبب عدم امتنانهم، غافلين عن أنّهم سيبتلون فجأةً بعقاب عملهم القبيح: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[١]

على هذا الأساس، لا يوجد منافاة بين العذاب الخالد والرحمة العامّة، بل إنّ ذلك عين الرحمة المطلقة، رغم أنّها لا تجتمع في مكانٍ واحد مع الرحمة الخاصّة، ولكنّ الإنسان المعذّب إنّما يختار باختياره سبيل الأشقياء والكافرين ويجعل من نفسه شقيًّا. بناءً عليه، اللّٰه الرحمن، يعذّبُ أيضًا: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.[٢]

عندها ما هو جواب الذين يعتقدون أنّ رحمة اللّٰه تتنافى مع الإخلاد في العذاب، حول ذلك اليوم الذي يعادل خمسين ألف سنةٍ بتصريح القرآن: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.[٣] خمسون ألف سنة من سنوات الدنيا لمن أذنب خمسين سنة

---

١. الأنعام: ٤٤-٤٥.
٢. مريم: ٤٥.
٣. المعارج: ٤.

عاديّة، طبعًا إنّه يومٌ شاقٌ ومفجع، رغم أنّه بالنسبة للمؤمن بمقدار أداء صلاةٍ واجبة، لكن ألا تتنافى هذه المدة مع رحمة اللّٰه الواسعة والمطلقة؟ كيف يمكن للّٰه الرؤوف والرحمن أن يؤخّر بعض النّاس لمدة خمسين ألف سنة؟ بناءً عليه، لا تعني الرحمة الواسعة للّٰه العاطفة والشفقة، بل بمعنى أنّ كلّ موجودٍ يصل إلى كماله اللائق به بمقدار استعداده واكتساب الصور الباطنيّة.

المقام الثاني: الإجابة عن الشبهة التالية وهي أنّ أصل العدل يقتضي أن يكون العقاب بمقدار الجرم، كما يقول اللّٰه نفسه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[1] ويقول ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[2]، وليس أكثر من الجرم؛ إذًا لما العذاب الخالد؟

يمكن أن تُطرح هذه الشبهة من جهة التماثل والتوافق بين الجزاء والعمل، أو من جهة موضوعيّة العمل مع الثواب أو من جهة العدل والمساواة و... على أيّ حال، فإنّ الإجابة على ذلك هي، أنّه على الرغم من أنّ أعمال الجوارح محدودة ومؤقّتة، لكن الأعمال القلبيّة دائمة وأبديّة، والأمر الدائم يستتبعه أثر خالد. وكنموذجٍ على ذلك الشيطان، إذ بارتكابه ذنبًا كبيرًا أصبح كافرًا، ولكنّه أصبح مستحقًّا للعذاب الأبديّ؛ لأنّه طالما هو في الدنيا فإنّه طبق الآية ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[3] محكومٌ بالطرد واللّعن والرّجم ومع تبديل الدنيا بالآخرة، فسوف يدخل جهنّم ويبقى فيها إلى الأبد. الغرض هو أنّ ذنب إبليس الذي هو الاستكبار مقابل اللّٰه، غير تلك الذنوب الأخرى مثل الغيبة، التهمة والتلفّظ بالفحش والشتائم وسائر الذنوب الجوارحيّة، فمن يقف أمام اللّٰه ويقول: برأيي أنيّ أفضل من آدمعليه السلام: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[4]، فوجهة نظرك (اللّٰه) رأيٌ، ووجهة نظري رأيٌ آخر، ورأيي أفضل من رأيك، إنّ مثل هذه الوقاحة العظيمة تستتبع عذابًا أبديًّا. ولا ينفصل سائر الكفار الذين وقفوا بوجه الأنبياء ورسل اللّٰه وواجهوهم، عن هذا البرنامج أيضًا؛ وقد قال فرعون منذ أربعة

---

١. الشورى: ٤٠.

٢. النبأ: ٢٦.

٣. الحجر: ٣٥.

٤. ص: ٧٦.

آلاف سنة: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[١]، ولكن مثل هذا الادعاء عظيمٌ لدرجة أنّه سيُبتلى بعذابٍ برزخيٍّ طويل، وسوف يكون له في الآخرة والقيامة الكبرى عذاب خالد: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.[٢]

إنّ كلام أولئك الذين يقولون اليوم: «من وجهة نظرنا أنّ العلماء البشريّين يجب أن يديروا الإنسان، ولا حاجة للوحي والنبيّ والإمام المعصوم‍»، يتطابق مع كلام المستكبرين والفراعنة في مقابل اللّٰه.

قيل لمعاوية أن لا تشرب في وعاءٍ من الذهب؛ لأنّنا سمعنا النبيّ‍ يقول: «إنّ الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنّم»، فقال: «إنيّ سمعته أيضًا، ولكن لا أرى بذلك بأسًا».[٣] فالبشـر المستكبرون بنفوسهم الجامحة هذه، يجرّون أنفسهم إلى وادي الكفر.

نعم، إنّ الاعتقاد محور العمل وأساسه؛ إذ إنّ عمل الإنسان نابعٌ من اعتقاده، وينشأ من روحه، وروحه غير تابعة للزمان والتاريخ. فمن يعيش ثمانين أو مئة عامٍ وخلال هذه المدّة يطيع أو يُذنب، رغم أنّ جسمه محدودٌ، ولكن روحه لا تعرف الشيوخة والشباب والثمانين والمئة عام. بل الروح المجرّدة لا تموت، بل هي أمرٌ «ثابت» ولا سبيل للشيخوخة والشباب إلى ساحتها. بناءً على ما تقدّم، فإنّ من الضروريّ أن تتذوّق «العذاب الثابت»؛ ولأنّ تمام حقيقة الإنسان عبارة عن النفس والنفسُ غير العقل المجرّد؛ لذا لن يكون الإنسان من دون بدن، ولو أنّ بدن كلّ نشأةٍ متناسبٌ مع تلك النشأة، لذا فإنّ الإنسان الذي لديه روحٌ وبدن، إذا ما ارتكب الكفر والنفاق عمدًا، فسوف يُبتلى بالعذاب الأبديّ.

الثانية: خبو جهنّم

إذا قيل طالما أنّ جهنّم موجودة، فالكافرون مستقرّون فيها، ولكن اللّٰه سوف يقضي على أساس جهنّم يومًا ما؛ لأنّ وقودها سوف ينتهي وتخبو؛ ولذلك فقد قال القرآن: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ

---

١. النازعات، الية ٢٤.

٢. المؤمن: ٤٦.

٣. *شرح نهج البلاغة*، ابن أبي الحديد، ج٥، الباب ٦٠، ص١٣٠.

زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[١]، وهكذا كلّما أرادت أن تخبو، نسعّرها فلا ندعها تنطفىء فينقطع العذاب بانطفائها لتصبح جهنّم مثل الأماكن الأخرى بلا ألم ولا مشقّة.

ولكن الجواب كامنٌ في هذه الآية وأمثالها من الآيات الأخرى، وهو أنّ نار جهنّم ليست من شجرةٍ من نوع مادّة الدنيا حتى تفنى بالاحتراق، بل إنّها تنشأ وتستعرّ وتنمو وترتوي في النّار: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾؛[٢] شجرةٌ لا تحترق بل تنمو من قعر النّار الحارقة، وعندما يكون أهل جهنّم أنفسهم عبارة عن جهنّم صغيرة وينتقلون إلى جهنّم الكبيرة؛ فإنّ ذواتهم تكون مسعّرة لجهنّم: ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾؛[٣] فهم مادة اشتعال جهنّم؛ ولأنّ الروح مجرّدة ولا تفنى، بل هي ثابتة دائمًا، وعلى الرغم من أنّ أرواح أهل جهنّم من حيث أصل الوجود محدودة، إلّا أنّ محدوديّتها لا تتنافى مع دوامها وعدم تناهيها؛ فمن الممكن أن يكون الشيء مجرّدًا من المادّة، ولكنّه غير مجرّد من الماهيّة والحدّ الوجوديّ، وكما أشرنا فإنّ أرواح البشر سواء أكانت صالحة أم طالحة خارجةٌ عن أفق الزمان والمكان؛ أي أنّها ثابتة ودائمة. ودوام وخلود جهنّم غير مختصّ بالإنسان فقط، بل الجنّ مكلّفٌ أيضًا، وربما الكثير منهم سيُبتلى بجهنّم للأبد، والشيطان أحدهم، ولأنّ الشيطان سوف يبقى أبدًا في جهنّم بمعصيته العظيمة تلك؛ فسوف تبقى النّار إلى الأبد؛ لأنّ فكرة الشيطنة لن تنفصل عنه أبدًا، وقد ورد في أحاديث كثيرة أنّ الثواب على أساس النوايا، وعندما تصبح النيّة ملكة الروح العنود اللدود واللجوج، بل تصل إلى ما أعلى من حدّ الملكة، لن تنفصل أبدًا عن الروح، وسوف تبقى الروح ثابتة دائمة يرافقها الألم الدائم مع مثل هذا الوصف؛ لذا لا مجال للانقطاع.

تبصرة: تكمن في هذا البرهان العقليّ نكتةٌ موكولٌ تدوين مُعضِلها أوّلًا والأمل بجلائها ثانيًا إلى المستقبل.

---

١. الإسراء: ٩٧ز

٢. الصافات: ٦٤.

٣. البقرة: ٢٤.

سرّ الخلود

يُقال أحيانًا إنّه هل من الممكن أن يعذّب اللهُ المذنبَ بالنّار الخالدة من أجل عدّة سنواتٍ محدودة من المعصية؟ فالذنب المحدود والعذاب المحدود، فضلاً عن كونه غير عادلٍ، فإنّه ظلمٌ فاحش. ويمكن استنتاج الإجابة عن هذا السؤال من جوابٍ للنّبيّ الأكرمﷺ على سؤال شخصٍ يهوديّ: «قال اليهوديّ: فإن كان ربّك لا يظلم، فكيف يُخلّد في النّار أبد الآبدين من لم يعصه إلاّ أيّامًا معدودة؟ قالﷺ: يخلّده على نيته، فمن علم اللّه نيّته أنّه لو بقي في الدّنيا إلى انقضائها كان يعصي اللّه عزّ وجلّ خلّده في ناره إلى نيّته، ونيّته في ذلك شرٌّ من عمله، وكذلك يخلّد من يخلّد في الجنّة بأنّه ينوي أنّه لو بقي في الدّنيا أيّامها لأطاع اللّه أبدًا ونيّته خيرٌ من عمله، فبالنيّات يخلّد أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار، واللّه عزّ وجل يقول: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾».[١]

والاستدلال العقليّ للنبيّﷺ بالآية: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ يوضّح هذه الحقيقة والرؤية الكونيّة بأنّ أساس خلود الجنّة أو النّار لا يختصـر في الفكر فقط، بل إنّ شاكلة الإنسان يعني ذات الإنسان وطبيعته وعقيدته تميل بواسطة نيّته إلى الخير أو الشرّ، وتصبح المعصية أو العبادة من ذاته، وإلاّ لا يؤاخذ الفرد لمجرّد نيّته. على هذا الأساس، المُراد من النيّة هي نوع العمل والعقيدة، كما قال الإمام الصادقؑ: «النيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل، ثم تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[٢] يعني على نيّته»[٣].

في النتيجة، الإنسان المذنب في الدنيا يكتسب لنفسه وجودًا جهنّميًا وفي الآخرة سوف يصل إلى أصله أي جهنّم الكبرى، كما قال النبيّﷺ، مثل حجرٍ قد سقط في فمّ جهنّم منذ سبعين عامًا، وها قد وصل الآن إلى أعماق جهنّم؛ أي أنّ هذا الشخص المنافق قد طوى

---

١. *توحيد الصدوق*، باب الأطفال، ذيل الحديث ١٣، ص٣٩٨ـ٣٩٩؛ *علم اليقين* فيض الكاشاني، ج٢، ص١٢٨٥.

٢. الإسراء: ٨٢

٣. *نور الثقلين*، ج٣، ص.٢١٤، ح٤١٧..

مسير جهنّم لمدّة سبعين سنة، والآن قد وصل إلى «دار قراره» وعلى فرض أنّه سيعود إلى الدنيا، فسيعمل تلك الأعمال القبيحة ذاتها مجدّدًا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.[١]

بناءً على ما تقدّم، فإنّ العذاب عبارة عن تلك الآثار المترتّبة على صورة الشقاء ونوعه، وهذه الآثار هي معلول الانتهاكات التي يرتكبها الإنسان العاصي، والتي تتحوّل تدريجيًّا إلى ملكةٍ لديه، لا أنّ هذه الآثار المذكورة تصبح مباشرةً ومن دون واسطة معلول انتهاكاته حتى يُقال إنّ الانتهاكات محدودة ولا تتجاوز أصابع اليد، فلماذا يجب أن يكون عذابه بلا نهاية؟ أو أنّه محال أن يكون للانتهاكات المحدودة التي يرتكبها الإنسان خلال حياته، هذا الأثر اللامتناهي والأبديّ.

علاوة على ذلك، فإنّ بعض الخطايا والمعاصي عظيمةٌ لدرجة أنّ الحياة الأبديّة لا تكفي لتحمّل عقاب هذا العبء الكبير من المعصية؛ مثلاً إذا قام أحدٌ بتفجير قنبلةٍ من خلال الضغط على زرٍ لمدّة ثانيةٍ واحدة، فيُقتل الملايين من الناس ـ أُناسٌ يُرجح أنّه ربما سيأتي من ذريّتهم الكثير من الصالحين والعابدين إلى يوم القيامة ـ ، فمن المسلّم به أنّ أي محكمةٍ صالحة وعادلة سوف تحكم عليه بالعذاب الخالد.

تبصرة: من أجل تقرير شبهة عقاب العذاب الخالد للمعصية المؤقّتة، قد يُقال أحيانًا إنّه قد يقوم الإنسان في دقيقةٍ واحدة بعملٍ غير صالح؛ مثل أن يغرز مسمارًا في عينه ويصبح أعمى طيلة حياته، إذًا من الممكن أن يوجب عملٌ في لحظةٍ واحدة عذابًا لمدى الحياة، ولكن يجب القول إنّ هذا تمثيلٌ، وليس تحقيقًا وبحثًا؛ لأنّ غرز المسمار في العين نتيجته العمى لسبعين ثمانين سنة، وليس العمى الأبديّ والخالد.

ثانيًا: النكتة الأساس هي أنّه في اللحظات والأيّام الأولى من العمى سوف يشعر بالألم الشديد في عينه، ولكن بعد مضي مدّةٍ من الزمن سيصبح العمى عاديًّا بالنسبه له، ورويدًا رويدًا ستعود البسمة إليه ويطلق النكات وما شاكل ولا يعود يشعر بالألم ويخبو قلقه تدريجيًّا، خلاف العذاب الدائم والخالد والشديد الألم والمريع الذي ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

---

١. الأنعام: ٢٨.

بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[١]، فهو يتعذّب دائمًا، سواء أحترق أم لم يحترق، ولكن القرآن يقول إنّه سيحترق وسيتمّ تغيير جلد جسمه حتى يتلمّس العذاب أكثر.

الثالثة: خدمات الأشقياء

قدّم الأشقياء خدماتٍ جليلة للعالم والإنسان ولعلّها تكاد تكون مساوية لخدمات السعداء إن لم تكن أكثر. وبناء عليه فقد أدّوا دورًا عظيمًا في سعادة المجتمع وازدهاره، إذًا لماذا يجب أن يقضي مثل هؤلاء الذين قدّموا تلك الخدمات، في العذاب الخالد على أثر عقيدتهم الإلحاديّة مثلاً؟!

الإجابة: لن يضيع أجر وثواب أحدٍ وعلى أساس القصد والهدف الذي يسعون إلى تحقيقه، سوف يتلقّون أجرهم. وقد يكون منشأ الأجر والثواب هو الرحمة العامّة أحيانًا وتشمل حاله في الدنيا، وإذا كانت خدمته أكثر من وعاء عمره، فسوف يُخفّف من عذابه في الآخرة، وأحيانًا أخرى تنشأ من الرحمة الخاصّة التي تشمل حال المتقّين (وليس الأشقياء) ويتمتّعون بنعمٍ خاصّة والجنّة الخالدة.

على أيّ حال، العقيدة هي من تهب الصورة الجميلة أو القبيحة للعمل ويتمّ حساب الأجر أيضًا على هذا الأساس: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾؛[٢] فكلّ مَن يبحث عن متاع الدنيا بسعيه وجهده، فسنعطيه متاع الدنيا، ولكن وفق ما نريد وبمقدار مشيئتنا الأزليّة، من ثمّ سنجعل جهنّم نصيبه في عالم الآخرة، حيث سيدخلها مرفوضًا ملومًا، وأولئك الذين يريدون الحياة الآخرة ويبذلون قصارى جهدهم لأجلها، بشرط الإيمان باللّه، فبالتأكيد سوف يؤجرون على سعيهم وجهدهم، وسنمدّ كلا المجموعتين في الدنيا بلطفنا؛ لأنّه لن يُحرم أحدٌ من لطف اللّه وعطائه. ولو أنّ بعض الإمدادات يصاحبها الاختبار وبعضها بمثابة أجرٍ على عمل الخير.

---

١. النساء: ٥٦.

٢. الإسراء: ١٨ـ٢٠.

بناءً على ما تقدّم، إذا ما قام الكافرون والأشقياء بعملٍ صالحٍ، وقدّموا خدماتٍ جليلة، فسوف يتلقّون أجر أعمالهم قطعًا، بل سيتلقّونه على نحوٍ أحسن مما عملوه.

الرابعة: العذاب الأبديّ والانتقام الإلهيّ

التعذيب البشريّ هو شكلٌ من أشكال الانتقام الذي يلحق بالشخص العاصي نتيجة انتهاكاته وتجاوزاته من أجل إزالة عيب المعذَّب وإصلاحه، ولكن لا تشكّل المعاصي والخطايا والانتهاكات البشريّة نقصًا للنظام الربوبيّ حتى ينتقم اللّه منهم بواسطة العذاب، بل إنّ أساس الخِلقة على مبدأ الرحمة، لا العذاب والانتقام، فما بال العذاب الخالد.

الإجابة: إنّ ما يمكن استنباطه من هذا النقد وجود محذورين: المحذور الأوّل هو أصل التعذيب والآخر دوامه، والجواب على المحذور الأوّل قد تمّت الإجابة عليه سابقًا؛ كما أنّ الإجابة على المحذور الثاني موجودٌة في مطاوي الأبحاث السابقة أيضًا، لكن يمكن القول بشكلٍ موجز إنّ أصل التعذيب، وكذلك دوامه وخلوده، مستندٌ وتابعٌ لصورة الشقاء التي اكتسبها الفرد المذنب، وأظهر نفسه عمدًا بشكلٍ لا تصدق حقيقة الإنسان عليه. إذن، لا يمكن نسبة العذاب الخالد مباشرةً إلى اللّه، فما بال أن يكون عزّ وجلّ في مقام أصل الانتقام أو دوامه. فالحّق تعالى يعطي جزاء المجرم: ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[1] فالجزاء عين العمل وكلّ امرىءٍ سوف يحصد ما زرع.

تبصرة: إنّ تعذيب الطغاة العاصين في الدنيا عبر الخَسف أو الصاعقة، أو إغراقهم في البحر وأمثال ذلك، ليس من سنخ الانتقام والتشفّي، بل من صنف العقاب التكوينيّ لعمل طغيان الطغاة.

الخامسة: هناءة العذاب

من الممكن آن يُتوهم بأنّه إذا عُّذب المذنب بعد مدّةٍ طويلة في النّار، فسوف يصبح طبعه

---

١. النمل: ٩٠.

ناريًّا؛ وعندها لن يتألّم من النّار، بل يستمتع بذلك. مثلما يستمتع السلمندر بالنار والحيّة والعقرب من سمّهما القاتل، وكما يقول القرآن أيضًا: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.[١] إذن، المجرمون المذنبون هم حيواناتٍ ناريّة تبدّلت أعراضهم المفارقة إلى ذاتيّة، وكما أنّ السمكة تستمتع بالماء، كذلك يستمتع الكافرون بالنار ويسعدون بها؛ لأنّ عوارض الصورة النوعيّة عذبة في حدّ ذاتها.

الإجابة: فطريّات الإنسان لا تتبدّل: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾؛[٢] لا على مرّ الزمن ولا بعد تحوّل الأرض والوصول إلى ساحة القيامة؛ وإن كان الإنسان يستطيع أن يوقظ فطرته بحيث تكون الأمور الفطريّة أكثر وضوحًا لديه؛ والأنبياء إنّما بُعثوا لأجل هذا الأمر: «ليستأدوهم ميثاق فطرته ...، ويثيروا لهم دفائن العقول».[٣] منتهى الأمر أنّ ثمّة مجموعة قد قمعت فطرة اللّه ودفنوها حيّة في داخلهم، وبنوا على قبرها قصور الهوى والهوس: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٤] ومجموعاتٍ كبيرة قامت بركل الفطرة والتآمر عليها، ولكنّها لم تدمرها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.[٥] والحسرة هناك في يوم القيامة؛ إذ على الرغم من أنّ بعض الطغاة المعاندين سيحشرون على صورة حيوانات ويمضون إلى جهنّم، إلاّ أنّهم يعلمون تمامًا أنّهم كانوا بشرًا، وقد تحوّلوا إلى حيوان وكلّ فردٍ يعرف هويّته الدنيويّة في نفس ذلك الشكل الحيوانيّ الأخرويّ. إذن، ليست ذاتيّاتهم وفطريّاتهم من قبيل «العرض المفارق» حتى يُقضى عليها ويتمّ استبدالها بذاتيّاتٍ أخرى. على هذا الأساس، لن يكون العذاب هنيئًا وعذبًا أبدًا، وعقابهم ملائمٌ لوأدهم فطرتهم حيّة؛ إذ لم يكن عليه ـ ذلك الإنسان ـ تلويث فطرةٍ كالدّر الفريد بذنوبه ويدفنها ويقيم قصر الهوى والهوس فوقها.

وينقل العلاّمة المجلسيّ﵀ روايةً لطيفة عن تفسير العيّاشيّ، ولكن للأسف يحملها

---

١. الأعراف: ١٧٩.

٢. الروم: ٣٠.

٣. *نهج البلاغة*، الخطبة ١، الفقرة ٣٦ـ٣٧.

٤. الشمس: ١٠.

٥. الشمس: ٩.

على المجاز، في حين أنّه لا محلّ للحمل على المجاز، بل يمكن الاستفادة منها جيّدًا بأنّ ذنب الإنسان عين النّار، في تفسير الآية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[١]، قال الإمام الصادقعليه السلام:

«...فقال الجاهل بعلم التفسير: إنّ هذا الاستثناء من اللّه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إنّما هو لمن دخل الجنّة والنّار، وذلك أنّ الفريقين جميعًا يخرجان منهما فيبقيان فليس فيهما أحدٌ وكذبوا، بل إنّما عنى بالاستثناء أنّ وُلد آدم كلّهم وولد الجانّ معهم على الأرض والسماوات يظلّهم، فهو ينقل المؤمنين حتى يُخرجهم إلى ولاية الشياطين وهي النّار، فذلك الذي عنى اللّه في أهل الجنّة وأهل النار: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ يقول: في الدّنيا، واللّه تبارك وتعالى ليس بمخرج أهل الجنّة منها أبدًا، ولا كلّ أهل النّار منها أبدًا، وكيف يكون ذلك وقد قال اللّه في كتابه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٢] ليس فيها استثناء؟. وكذلك قال الإمام الباقرعليه السلام: من دخل في ولاية آل محمّدٍ دخل الجنّة، ومن دخل في ولاية عدوّهم دخل النّار، وهذا الذي عني اللّه من الاستثناء في الخروج من الجنّة والنّار والدخول».[٣]

ويقول العلاّمة الطباطبائيقدس سره:

«...فهذه الآثار ملائمة لذاته [في الشقّي] من حيث صدورها عن طبعه الشقيّ الخبيث والآثار الصادرة عن الطباع ملائمة، وهي بعينها عذابٌ لصدق حدّ العذاب عليها لكون الشيء لا يرتضيها فهي غير مرضية من حيث الذوق والوجدان في عين كونها مرضية من حيث الصدور».[٤]

---

١. هود: ١٠٧.
٢. النساء: ١٢٢ و ١٦٩.
٣. *البحار*، ج٨، ص٣٤٧ـ٣٤٨، ح٧.
٤. *الميزان*، ج١، ص٤١٥.

تبصرة: إنّ الجمع بين طبيعيّة الأثر بمعنى ملاءمته للطبع منشأ الأثر وبين العذاب يحتاج إلى تدبّرٍ دقيق، وصرف صدق عنوان العذاب في هذا الأمر القرآنيّ المهمّ والعميق والعريق غير كافٍ. على أمل دراسة هذا المطلب في محلّه المناسب.

السادسة: فناء المادّة

يبيّن العلاّمة المجلسيّ؛ شبهةً على النحو التالي:

القوى الجسمانيّة متناهية، فلا يعقل خلود الحياة، والرطوبة التي هي مادة الحياة تنفى بالحرارة أيضًا، سيّما حرارة نار جهنم، فيفضي إلى الفناء ضرورة، كما أنّ دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضيّة العقل.

ويجيب عليها قائلاً:

هذه قواعد فلسفيّة غير مسلّمة عند المليّين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار على تقدير تناهي القوى وزوال الحياة؛ لجواز أن يخلق اللّه البدل، فيدوم الثواب والعقاب، قال اللّه تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.[١]

من الجدير ذكره أنّه لغاية الآن لا يوجد فيلسوفٌ موحّد ومتألّه قد أقام حتى قاعدةً واحدة على خلاف الخلود، بل إنّ قواعد الفلسفة الإلهيّة تؤيّد خلود العذاب؛ لأنّ ما يشكّل شخصيّة الإنسان هو فكره؛ الإنسان موجودٌ مجرّدٌ وثابت، رغم أنّه من ناحية الماهيّة والحدّ الوجوديّ محدودٌ (طبعًا الثابت هو غير الأمر اللامتناهي). فالثابت وغير المتناهي هو الذات الأقدس للّه فقط التي ليست فقط هي خارج المادّة والماهيّة، بل منزّهةٌ عن الإمكان الفقريّ والحدّ الوجوديّ أيضًا. إذن الإنسان موجودٌ مجرّد وثابت لن يفنى أبدًا. بناءً على ما تقدّم، الإنسان إمّا من أهل الجنّة أو من أهل النّار، وفي الصورة الثانية إذا كان ملحدًا ومنافقًا، فسوف يُخلّد في النار الخالدة أبدًا.

ويؤيّد هذا المطلب الأدلّة النقليّة؛ فقد جاء في بعض الروايات حول النواصب: «لو أنّ كلّ ملكٍ خلقه اللّه عزّ وجلّ، وكلّ نبيّ بعثه اللّه، وكلّ صدّيقٍ وكلّ شهيدٍ شفعوا في ناصبٍ

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٥٠، النساء: ٥٦.

لنا أهل البيت أن يخرجه اللّه عزّ وجلّ من النّار ما أخرجه اللّه أبدًا، واللّه عزّ وجلّ يقول في كتابه ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾».[١]

فالكافر المعاند مثل الناصبيّ؛ وقد ذكرنا سابقًا عن عيون أخبار الرضا الحديث التالي: فيما كتب الرّضاﷺ للمأمون من محض الإسلام: «إنّ اللّه لا يُدخِل النّار مؤمنًا وقد وعده الجنّة، ولا يخرج من النّار كافرًا وقد أوعده النّار والخلود فيها، ومذنبوا أهل التوحيد يدخلون النّار ويخرجون منها، والشّفاعة جائزة لهم».[٢]

تبصرة:

١. إنّ شبهة فناء المادّة ناشئة من سوء فهم معنى المعاد؛ لأنّ المتوهّم يتصوّر أنّ الإنسان قد مات ويحيا مجدداً في الدنيا والجنّة والنّار موجودتان في نطاق الموجود الدنيويّ.

٢. في صورة صحّة هذه الشبهة القائلة بالأفول، لن يعود ثمّة فرق بين الجنّة والنّار؛ لأنّ أساس الشبهة قائمٌ على أساس امتناع الخلود سواء أكان في النعمة أم في النقمة.

السابعة: إغلاق باب جهنّم

من الممكن التوهّم أنّه في النهاية سيأتي يومٌ لن يبقى فيه أحدٌ في جهنّم، فعن حمران قال: قلت للإمام الصادقﷺ: «إن بلغنا أنّه يأتي على جهنّم حين يصطفق أبوابها [خلوّها من النّاس]، فقال: لا واللّه، إنّه الخلود، قلت: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[٣]؟ فقال هذه في الذين يخرجون من النّار».[٤]

والدليل على هذا الكلام (أي الخلود) الكثير من الروايات التي تتحدث عن «ذبح الموت»؛ أنّه سيأتي يومٌ يصل فيه الموت إلى نهايته ولا يوجد حينئذٍ شيءٌ باسم الموت، إذًا كلّ من هو في الجنّة أو النّار، سوف يُخلّد على تلك الحال.

---

١. *البحار*، ج٨، ص٣٦٩.

٢. ن.م.، ص٣٦٢.

٣. هود: ١٠٧.

٤. *البحار*، ج٨، ص٣٤٦، ح٣.

وقد أفرد العلاّمة المجلسيّ﵀ في كتابه الجليل بحار الأنوار بابًا خاصًا لـ «ذَبح الموت»، وجمع رواياتٍ عدة حول ذلك ومن جملتها رواية أو ولّاد الحنّاط الذي سأل الإمام الصادق﵇ عن قول اللّه تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[١]، فقال﵇:

«ينادي منادٍ من عند اللّه، وذلك بعد ما صار أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار: يا أهل الجنّة ويا أهل النّار، هل تعرفون الموت في صورةٍ من الصّور؟ فيقولون: لا، فيؤتى بالموت في صورة كبشٍ أملح فيطوف بين الجنّة والنّار، ثمّ ينادون جميعًا: أشرفوا وانظروا إلى الموت، فيشرفون ثمّ يأمر اللّه به فيُذبح. ثمّ يُقال: يا أهل الجنّة خلودٌ فلا موت أبدًا ويا أهل النّار خلودٌ فلا موت أبدًا، وهو قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي قُضيَ على أهل الجنّة بالخلود فيها، وقُضيَ على أهل النّار بالخلود فيها».[٢]

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ جملة «خلودٌ فلا موت أبدًا» قد وردت في رواياتٍ متعدّدة حول أهل الجنّة وأهل النّار، وهي دالّةٌ على الحياة الخالدة. بناءً عليه، لا يوجد أدنى شكٍّ في خلود الجنّة والنّار.

العذاب السرمدي

١. ينقل العلاّمة المجلسيّ﵀ في البحار:

«...وقال شارح المقاصد: اختلف أهل الاسلام فيمن ارتكب الكبيرة من المؤمنين ومات قبل التوبة، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعفو ولا بالعقاب، بل كلاهما في مشية اللّه تعالى، لكن على تقدير التعذيب نقطع بأنّه لا يخلد في النار بل يخرج البتة...»

ثم يضيف:

«النصوص المُشعرة بالخروج من النّار كقوله تعالى: ﴿مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا

١. مريم: ٣٩.

٢. *البحار*، ج٨، ص٣٤٦، ح٤؛ *تفسير علي بن ابراهيم*، ج٢، ص٥٠.

شَاءَ اللَّهُ﴾[١]، ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢] كقول النبيّ صلى الله عليه وآله: يخرج من النار قومٌ بعد ما امتحشوا وصاروا فحمًا وحممًا، فينبتون كما ينبت الحبّة في حميل السيل».[٣]

«وقد نقل محدّثو أهل السنّة رواياتٍ أيضًا بمضمون الحديث الآنف الذكر: «عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فإذا فرغ اللَّه عزّ وجلّ من القضاء بين العباد... فيخرجونهم قد امتحشوا فيصبّ عليهم من ماءٍ يُقال له ماء الحيوان، فينبتون نبات الحبّة في حميل السيل، ويبقى رجلٌ يُقبل بوجهه إلى النّار، فيقول: أي ربّ، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النّار... فيصرف وجهه عن النّار».[٤]»

ونَقل «الدارميّ» هذا المضمون أيضًا في سننه.[٥]

وينقل العلاّمة المجلسيّ رحمه الله رواياتٍ كثيرة بمضمون رواية النبيّ صلى الله عليه وآله، عن الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، ويذكر في ذيلها حديثًا عن الإمام الباقر عليه السلام: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ آخر من يخرج من النّار لرجلٌ يقال له همام، ينادي فيها عمرًا: يا حنّان يا منّان».[٦]

وقد نقل المحدّث الجليل الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام وآبائه المعصومين عليهم السلام عن نبيّ الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله: «من وعده اللَّه على عملٍ ثوابًا، فهو مُنجّزه له ومن أوعده على عملٍ عقابًا، فهو فيه بالخيار».[٧]

على أيّ حال، تقف هذه المجموعة من الروايات في تحدٍّ مع «سرمديّة العذاب»، فضلاً عن أنّ أصحاب المعاجم يصّرون على أنّ كلمة «سَرمَد» عبارة عن الدائم والمستمر. يقول

---

١. الأنعام: ١٢٨.

٢. آل عمران: ١٨٥.

٣. *البحار*، ج٨، ص٣٧٠ وبعد.

٤. *مسند أحمد بن حنبل*، ج٣، ص٥٣٤.

٥. *سنن الدارمي*، ج١، ص٢٨.

٦. *البحار*، ج٨، ص٣٦١، ح٣٤.

٧. *توحيد الصدوق*، ص٤٠٦، ح٣؛ عين اليقين، ج٢، ص١٣٢٢.

صاحب مجمع البحرين: «السّرمد كَفَرقَد، الدائم المستمر الذي لا ينقطع».[١] هذا في حين أنّ كلمة «أَبَد» بمعنى عن مدّة الزمان الممتدّ الذي لا يتجزّأ كما يتجزّأ الزمان ... ويعبّر به عما يبقى مدّة طويلة.[٢]

٢. كلام اللّه حول الجنّة والنّعم الأخرويّة كلّه من باب الإنشاء والوعد، وسوف يوفي بكلّ ما وعد به (إنشاء) وأقرّه؛ لأنّه جاء في القرآن: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[٣]؛ لذلك إنّ وعود اللّه حتميّة وصادقة ولا تخلّف عنها، وسوف تتحقّق وعوده يقينًا. وهذا خلاف «الوعيد» والتهديد بجهنّم والعذاب السرمديّ الذي يعتبر التخلّف عنه ليس محالاً وغير قبيحٍ فحسب، بل مناسبٌ مع روح الكرم، العفو والإحسان الإلهيّ؛ كما قال الرسول الأكرمﷺ: «من وعده اللّه على عملٍ ثوابًا، فهو منجّزه له ومن أوعَدَه على عملٍ عقابًا فهو له بالخيار».[٤] ومن هنا، قال العلماء: إنّ «إخبارات» اللّه حتميّة و«إنشاءاته» غير حتميّة واختياريّة، فيداه مطلقتان؛ لذلك:

٣. تفتح نافذةٌ أخرى من باب الشفاعة والرحمة: «وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين»[٥]، فعن حمران: قال الإمام الباقرعليه السلام:

«إنّ الكفار والمشركين يرون أهل التوحيد في النّار، فيقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئًا، وما أنتم ونحن إلّا سواء! قال: فيأنف لهم الربّ عزّ وجلّ، فيقول للملائكة: اشفعوا فيشفعون لمن شاء اللّه، ويقول للمؤمنين مثل ذلك، حتى إذا لم يبقَ أحدٌ تبلغه الشفاعة، قال تبارك وتعالى: أنا أرحم الراحمين أخرجوا برحمتي، فيخرجون كما يخرج الفراش».[٦]

فالحق تعالى يتجلّى باسمه المبارك «أرحم الرّاحمين» وبعد أن يمضي أهل النّار مدّةً

---

١. مجمع *البحرين*، ج٢، ص٣٦٧.
٢. *مفردات الراغب*، ذيل كلمة أَبَد.
٣. إبراهيم: ٤٧.
٤. عين اليقين، ج٢، ص١٣٢٢.
٥. *علم اليقين*، ج٢، ص١٣٢٥.
٦. *البحار*، ج٨، ص٣٦٢؛ *علم اليقين*، ج٢، ص١١٩٣.

في العذاب حتى يشاء اللّه، يجعلهم محلّ شفاعته، فينجون من جهنّم زرافاتٍ زرافات كالفراش. وفي حديثٍ ينقله أهل السنّة عن النبيّ ﷺ يؤيّد هذه النظرة:

«عن النبيّ أنّه قال: سيأتي على جهنم زمانٌ ينبت في قعرها الجرجير».[١]

ويمكن أن يكون هذا الحديث علامةً على نهاية الانتقام وجهنّم وثبات الرحمة ودوامها.

٤. إنّ «الفطرة» في مجال الفكر الدينيّ المستمد من نبع القرآن والأحاديث الزلال عبارة عن البنية والبناء (الشاكلة) الوجوديّ للإنسان المصاحب لخصائص وميول خاصّة تجاه القيم السامية، مثل أصل التوحيد وحُسن العدالة، قُبح الظلم، و... وهذا التعريف من وجهة نظر المعصومين عليهم السلام ومنظار الروايات يُفصح عن أنّ القيم المذكورة هي ذاتيّة الإنسان (الصغرى)، وذاتيّات الإنسان خالدةٌ في كلّ عصر، ولا يمكن أن يطالها الخطأ ولا تتبدّل (الكبرى). على هذا الأساس، يقول القرآن: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[٢]

وينقل زرارة أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فقال: «هي الإسلام، فطرهم جميعًا على التوحيد».[٣]

وكذلك في جواب الإمام الباقر عليه السلام لزرارة، يقول: «فطرهم على المعرفة به» ... ثم أضاف عليه السلام: «قال رسول اللّه ﷺ: كلّ مولودٍ يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأنّ اللّه عزّ وجلّ خالقه، وكذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾».[٤]

بناءً على ما تقدّم يعرف الكافرون والملحدون في أعماق أنفسهم خالقًا باسم اللّه، ولكن السؤال الذي يُطرح هو أنّه إذا كان كل النّاس قد خُلقوا على أساس التوحيد ومعرفة الخالق، فكيف يُتصوّر الكفر والجحود، وكيف ظهر الكافرون والملحدون؟

وقد سأل هذا السؤال حسين بن نعيم الصحّاف للإمام الصادق عليه السلام فأجابه:

«إنّ اللّه عزّ وجلّ خلق النّاس كلّهم على الفطرة التي فطرهم عليها لا يعرفون إيمانًا

---

١. *علم اليقين*، ج٢، ص١٠٨٤.

٢. الروم: ٣٠.

٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص١٨٢، ح٥٤ و٥٥.

٤. ن.م.، ح٥٦.

بشريعة ولا كفرًا بجحود، ثمّ بعث اللَّه عزّ وجلّ الرُّسل يدعو العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدى اللَّه ومنهم من لم يهده».[١]

ويظهر من هذا الحديث جيّدًا أنّ منزلة الكفر والجحود والإلحاد بعد خلقة الإنسان على أساس الفطرة التوحيديّة والمعرفة الربوبيّة، ولا يمكن القول إذن يعتبر الكفر والإلحاد من «ذاتيّات الإنسان» أيضًا، كما أنّ التوحيد ومعرفة اللَّه يعتبران من ذاتيّاته؛ يعني لا في بداية الخلقة كان الكفر والإلحاد ذاتيَّ بعض الأفراد ولا الفطرة التوحيديّة التي هي ذاتيّة الجميع، زائلةٌ حتى يصبح الكفر والإلحاد ذاتيَ جماعةٍ قد فقدت فطرتها التوحيديّة، وتأييد هذا الكلام واردٌ في روايتين:

أ) قال النبيّ ﷺ: «كلّ مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه».[٢]

ب) ينقل الفضيل بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من مولودٍ ولد إلّا على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه».[٣] أو لن يكون تابعًا لأيّ دينٍ أصلًا، أو يكون في مقام الإنكار، والعناد، والجحود أو...

بناءً عليه، لا يبقى محلٌّ لأي كلامٍ يُقال، إذا كان الدين فطريًّا، ألن ينقض وجود الملحدين والمنكرين للدين هذه النظريّة؟ بعبارةٍ أخرى، إذا كان الدين فطريًّا، لماذا هناك جماعةٌ من الناس تخلّوا عن الدين ويعتبرون أنفسهم مستغنين عن الدين؟[٤] كما تمّت الإشارة التخلّي عن الدين والاستغناء عنه يأتي بعد الولادة وبعد الاستقرار في جوٍّ متنوّعٍ ومتفاوتٍ ويسيطر عليها الإعلام السامّ.

على هذا الأساس، لا يعتبر الكفر والجحود من الذاتيّات الوجوديّة والفطريّات الثابتة لهويّة الإنسان، بل هي أمورٌ عارضة، وإذا أُلبس الإنسان صورةً أخرى يوم القيامة، فإنّها صورةٌ اكتسابيّة ويعرفونه جميع معارفه بأنّه كان إنسانًا قد اتّخذ شكل حيوانٍ معيّن (الذئب، السبع، القرد، الحيّة و...)؛ يعني لا يوجد أدنى شكٍّ في كونه إنسانًا، إلّا أنّه قد ألبس نفسه

---

١. ن.م.، ص١٨٣، ح٥٨.

٢. *البحار*، ح٥٨، ص١٨٧.

٣. ن.م.، ج٩٧، ص٦٥، ح٨.

٤. *مجلة كيان*، السنة الثالثة، خردادماه ٧٢، ص٣٦.

كسوةً أخرى كانت عقيدته، أخلاقه وأعماله المنحرفة الدنيويّة هي سبب تلك الصورة الجديدة. بناءً عليه، يجب أن يخضع للعذاب لمدّةٍ طويلة حتى يزيل وجهه وكسوته العارضيّة التي أحاطت بذاته الطاهرة والتوحيديّة وتلبّستها مثل الغبار والرين، ويبقى الذهب الخالص لوجود ذاته؛ ولذلك لا يمكن القبول بأنّ الإنسان الدنيويّ بمنزلة الجنس، واعتبار الصور الأخرويّة هي الفصل المقوّم لنوعه، وأنّه سيكون ثابتًا ولا يتغيّر في هذا الأمر، إذًا عذابهم مستمرٌّ وأبديّ لا ينقطع، بل يجب أن ينقطع عذابهم، وكما أنّهم سيبقون في جهنّم للأبد، يمكن القول إنّ لطف اللّه ورحمته ستشمل حالهم وتفقد جهنّم وجه عذابها، وطبق رواية أهل السنّة عن النبيّ الأكرمﷺ: «سيأتي على جهنّم زمان ينبت في قعرها الجرجير»،[1] وهذا الامر كناية عن انطفاء نار جهنّم وخبوّها؛ لذلك فإنّ دلالة الآيات على خلود الحياة في جهنّم صحيحةٌ كلّها، ولكن ليس بمعنى أنّ العذاب دائمٌ أيضًا؛ لأنّه لا يوجد تلازمٌ بين دوام أصل جهنّم وأبديّة مكث أهل جهنّم الملحدين فيها وبين دوام العذاب.

د) أقوال العرفاء

لم يقبل بعضٌ من العرفاء نظرًا إلى ما ورد أعلاه، «سرمديّة» العذاب؛ مثلاً يقول عبد الرزاق الكاشانيّ، أحد العرفاء الشيعة:

«إنّ أهل النار إذا دخلوها وتسلّط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم ملكهم الجزع والاضطراب، فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا، متخاصمين متقاولين ـ كما ينطق به كلام اللّه في مواضع ـ وقد أحاط بهم سرادقها.

فطلبوا أن يخفّف عنهم العذاب أو أن يقضى عليهم ـ كما حكى اللّه عنهم بقوله: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[2] ـ أو أن يرجعوا إلى الدنيا [وهم يظنّون أنّهم سيصبحون صالحين]، فلا يستجاب لهم، بل يأتيهم الجواب: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[3] [ففي تلك النشأة لا مكان للعمل؛ كما أنّه لا مكان

---

١. *علم اليقين* فيض، ج٢، ص١٠٨٤، نظر رسول اللّهﷺ إلى الجرجير فقال:«كأنّي أنظر إلى منبته في النّار».
٢. الزخرف: ٧٧.
٣. البقرة: ١٦٢.

للموت؛ لأنّ أساس الموت كما مرّ ذكره، قد مات؛ يعني قد زال أصل التحوّل والانتهاء من نشأةٍ والورود إلى نشأةٍ أخرى بصفتها ميلادًا] وخوطبوا بمثل قوله: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[١]، [وخوطبوا بكلماتٍ عقابيّة] ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٢].

فلمّا يئسوا ووطّنوا أنفسهم على العذاب والمكث على مرّ السنين والأحقاب، وتعلّلوا بالأعذار، ومالوا إلى الاصطبار وقالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[٣]، فعند ذلك رفع اللّه العذاب عن بواطنهم، وخبت ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٤].

ثمّ إذا تعوّدوا بالعذاب بعد مضيّ الأحقاب، ألفوه ولم يتعذّبوا بشدّته بعد طول مدّته، ولم يتألّموا به وإن عظم؛ ثمّ آل أمرهم إلى أن يتلذّذوا به ويستعذبوه...».[٥]

وقال داوود القيصريّ تلميذ عبد الرزاق الكاشانيّ:

«اعلم أنّ من اكتحلت عينه بنور الحقّ يعلم أنّ العالم بأسره عباد اللّه، وليس لهم وجود وصفة وفعل إلاّ باللّه وحوله وقوّته، وكلّهم محتاجون إلى رحمته، وهو الرحمن الرحيم.

ومن شأن من هو موصوف بهذه الصفات [الرحمانيّة والرحيميّة] أن لا يعذّب أحدًا عذابًا أبديًّا، وليس ذلك المقدار من العذاب إلاّ لأجل إيصالهم إلى كمالاتهم المقدّرة، كما يُذاب الذهب والفضّة بالنار لأجل الخلاص مما يكدّره وينقص عياره، فهو يتضمّن أمتن اللطف والرحمة ـ كما قيل:

وتعذيبكم عذبٌ وسخطكم رضا ... وقطْعكم وصلٌ وجوركم عدلٌ».[٦]

على هذا الأساس، يقول الرسول الأكرمﷺ:

---

١. الزخرف: ٧٧.

٢. المؤمنون: ١٠٣.

٣. إبراهيم: ٢١.

٤. الهمزة: ٦ـ٧.

٥. *علم اليقين*، ج٢، ص١٣٢٢ـ١٣٢٣، شرح فصوص الحكم، الفصّ الإسماعيليّ.

٦. *ن.م.*، ص١٣٢٢ـ١٣٢٤، شرح فصوص الحكم، الفصّ الهودي.

«خلق اللّٰه عزّ وجلّ يوم خلق السماوات والأرض مئة رحمة، فجعل في الأرض منها رحمةً. فيها تعطف الوالدة على ولدها، والبهائم بعضها على بعضٍ، والطّير، وأخّر تسعةً وتسعين إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة، أكملها اللّٰه بهذه الرحمة».[١]

تبصرة: إنّ عقاب المذنبين يوم القيامة موازٍ لأعمالهم؛ لذلك يعبّر القرآن عن هذا التناسق بـ «جزاءً وفاقًا»: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا﴾.[٢]

التوازي والتناسق وفي ثواب الحسنة بين مقدار الثواب والعمل ليس ضروريًّا، بل تارةً أكثر: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[٣] وتارةً أخرى أكثر من ذلك: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾،[٤] أمّا عقاب السيّئات، فليس أكثر من السيّئة أبدًا.

نزاع الشعراء العرفاء والحكماء

وجدت مسألة عدم وجود التناغم والتوازي بين العذاب السرمدي وعدل اللّٰه طريقها إلى ساحة شعر الحكماء والأدباء أيضًا، ومن جملة ذلك:

وضع الحكيم ناصر خسرو قبادياني علامة استفهامٍ على أنّه كيف يكون من الجائز في حكم العادل المطلق وقضائه أنّ يرى إنسانٌ بسبب معصيته مثلاً لمدة ثلاثين سنة عقابًا خالدًا في النار؟ أولم يقل اللّٰه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٥] وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾؛[٦] بناءً عليه، الجهلاء ليسوا فى وارد أن يقفوا متغطرسين ومتكبّرين أمام اللّٰه العالم المطلق حتى يستوجبوا العذاب الخالد.[٧]

---

١. *سنن ابن ماجة*، ج٢، ص١٤٣٥، ح٤٢٩٤، كتاب الزهد.

٢. النّبأ: ٢٤_٢٦.

٣. القصص: ٨٤.

٤. الأنعام: ١٦٠.

٥. الشورى: ٤٠.

٦. يونس: ٢٧.

٧. *ديوان اشعار ناصر خسرو*، ص٣١٣. چون كند سى ساله عاصى را عذاب جاودان؟ اين جنين حكم وقضاى حاكم دادار نيست/ گر همى گويد كه يك بد را بدى يكى دهم باز چون گويد كه هرگز بدكنش رستار (رستگار)

ويردّ أديب البيشاوريّ في معرض الإجابة عليه: إنّ معيار العذاب الخالد للمعصية ليس ثلاثين سنة أو أقلّ أو أكثر؛ بل إنّ ذلك مرتبطٌ بنيّة الكافر الذي هو في مقام الإنكار الدائم للحقّ، وقد أصبح ذلك ذنبه الذاتيّ، بل عين ذاته نتيجة التكرار وبناءً لاتحاد العاصي والعصيان كما يعتقد بعض الحكماء. بناءً عليه، تتفاوت الذنوب عن بعضها؛ فبعضها يستلزم ثوابًا غير أبديّ، وبعضها عقابًا أبديًّا؛ مثلاً إذا عاقر أحدٌ الخمر لمئة سنة على أساس المعصية (وليس بقصد إهانة القرآن)، يجري في حقّه العفو، ولكن إذا كان يقصد الاستخفاف بالقرآن وازدراء أحكامه وشرب جرعة خمرٍ واحدة، فلا يوجد أمل للعفو والمغفرة.

ثم يضيف أديب: أمّا قول ناصر خسرو: لا يستكبر الجهلاء عند العالم؛ فإن كانت الحقيقة كذلك، إذن لماذا اتّخذ إبليس اللعين موقف الاستكبار وإنكار أمر اللّه؟[1]

ولكن من الممكن أن يُقال إنّه انطلاقًا من هذه الرؤية، فإنّه في الإسلام لا يؤاخذ امرؤٌ لمجرّد سوء نيّته طالما أنّ هذه النيّة لم تصل إلى منصّة الظهور، ولا يُلقى به في العذاب الخالد، وإلا فإنّ عقابه يكون مخالفًا لصريح القرآن: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[2]

أمّا اتحاد العاصي والعصيان، وصيرورة المعصية ذاتيّة، بل صيرورة العصيان عين العاصي، فهي رأي خاطئ، لأنّ الإمام الصادقؑ اعتبر الكفر والعصيان بعد مرحلة الخِلقة القائمة على الفطرة؛ أي أنّه اعتبر الكفر عارضًا، وقال:

«إنّ اللّه عزّ وجلّ خلق النّاس كلّهم على الفطرة التي فطرهم عليها لا يعرفون إيمانًا بشريعةٍ ولا كفرًا بجحود، ثمّ بعث اللّه عزّ وجلّ الرّسل يدعو العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدى اللّه ومنهم من لم يهده».[3]

بناءً عليه، لا يعتبر الكفر والإلحاد من الذاتيّات والفطريّات، إنّما هما عارضان وليس للأمر العارضيّ من دوام؛ لذا فإنّه بعد تمضية مدّة العقاب المناسب، ستُجلّى جوهر الفطرة

نيست/ راه بنمايم تو را گر كبر بندازى ز دل جاهلان را پيش دانا جاى استكبار نيست).

١. *ديوان اديب بيشاوري*، ص٢٥٣.

٢. الشورى: ٤٠.

٣. *نور الثقلين*، ج٤، ص١٨٣، ح٥٨.

النقيّة من الكدورات، وينفصل عنها الرين، ويُزال الغبار، وتُدفع الدسائس ويبقى ذَهب وجودها الخالص في جوفها.[١]

والجدير بالذكر أنّ صدر المتألهين في كتبه الأسفار والشواهد الربوبيّة، وفي تفاسيره للسور القرآنيّة، قد تبنّى هذه الرؤية، واعتقد بانقطاع العذاب عن أهل النار ولم يقبل سرمديّته، ولكنه يبيّن عقيدته ورأيه النهائيّ في كتاب رسالة الحكمة العرشيّة الذي هو موجز عقيدته حول المبدأ والمعاد، على النحو التالي:

«وأمّا أنا، والذي لاح لي بما أنا مشتغلٌ به من الرياضات العلميّة والعمليّة أنّ دار الجحيم ليست بدار نعيم وإنّما هي موضع الألم والمِحن وفيها العذاب الدائم، لكن آلامها متفنّنةٌ متجدّدةٌ على الاستمرار بلا انقطاعٍ والجلود فيها متبدّلة».[٢]

ولأنّ رؤية صدر المتألهين قد كُتبت بالتفصيل في شرح الأسفار، سوف نغض النظر عنها ههنا.

على أيّ حال، فإنّ من المرجح أنّ يتعامل الحقّ تعالى في النهاية مع عباده ومخلوقاته طبقًا لأصل الرحمة، الفضل، العدل، الكرم والعظمة، إلى هنا تمّ نقل الآراء المتضاربة في ثلاث مسارات، خلود جهنّم، وأهل جهنّم، وتعذيبهم؛ ولكن ما يمكن قوله بإيجاز هو أنّ الكثير من شبهات المعتقدين بانقطاع العذاب إمّا أنّها من سنخ القياس الشعريّ التي وجدت المبادىء العاطفيّة سبيلاً إليها، أو التمثيل المنطقيّ الذي هو نتاج قياس الآخرة على الدنيا، على الرغم من وجود اختلاف جوهريّ بين المقيس (أي الآخرة) والمقيس عليه (أي الدنيا)؛ وإمّا التحليل الإنسانيّ ومقارنة اللّه سبحانه وتعالى بإنسانٍ عادلٍ رؤوف، ومرةً أخرى اعتبار التمثيل المنطقيّ قياسًا برهانيًّا، أو على طريقة القضاءً وجعلَ القانون الاعتباريّ محورًا لمثل هذه الفكرة، وأساسًا لذاك الدافع، بحيث إنّ هذه الشبهة هي أيضًا من سنخ التمثيل المنطقيّ، فيُتصور الانتقام الإلهيّ مثل انتقام قاضي محكمة العدل، ولا يعتبر العقوبة الدائمة وفاقًا ومناسبًا للذنب المحدود، وللمرّة الثالثة يحتلّ التمثيل المنطقيّ

---

١. *مثنوى*، دفتر دوم، ص٢٧٧، ابيات ٢٦١٧ـ ٢٦٣٤. المثنوي، ترجمة ابراهيم الدسوقي شتا، ١٩٩٧.

٢. *العرشية*، ص١٩٥، *شرح حال وآراى فلسفي ملا صدرا*، سيد جلال الدين آشتيانى، ص٢١٤.

مكان القياس البرهانيّ غصبًا. على أمل التحليل النهائيّ لهذا المطلب في كتاب «الرحيق المختوم».

والمطلب المهمّ المُثار فيما يخص الخلود هو أنّه:

١. هل الخلود ممكنٌ أم محال؟

٢. الإمكان على أساس تجرّد الروح سيكون مصاحبًا بالضرورة بالغير، وليس الإمكان الخاص، رغم أنّه مصاحبٌ مع الإمكان مقارنةً مع المراحل الأدنى.

٣. إذا كان الخلود محالًا، فسوف تُحمل تمام الآيات التي يشير ظاهرها إلى دوام العذاب وعدم انقطاعه، على المكث الطويل بالاستناد إلى الدليل اللبّي، وكذلك الروايات التي هي دليلٌ على عدم انقطاع العذاب.

٤. إذا كان الخلود ممكنًا، عندئذٍ سوف يُطرح بحثٌ تفسيريّ حول كيفيّة الاستظهار من النصوص القرآنيّة وكذلك الروائيّة. وفي حال الظهور المعتبر لها في خلود العذاب سوف تُحمل على الظاهر، ولا ضرورة لأيّ تأويلٍ بخلاف الظاهر.

٥. في حال إمكان التعذيب الخالد وظهور الدليل النقليّ المعتبر في ذلك، ثمّة مطلبٌ آخر يمكن إثارته، وهو أنّ التقارير الإلهيّة عن الأوضاع العامّة للمعاد ذات صبغةٍ إخباريّة وتحقّقها ضروريّ، ولكن بالنسبة للأشخاص والأشياء الجزئيّة، فإنّها من سنخ الإنشاء والوعيد، وليس من صنف الإخبار؛ ولأنّ خُلف الوعيد ليس بمحالٍ ولا قبيحٍ، فعلى هذا الأساس من الممكن أن يغلب العفو الإلهيّ على انتقامه وينقطع العذاب. إذًا الجزم بخلود التعذيب بالنسبة للأفراد الجزئيّين صعبٌ؛ لأنّه مع احتمال عفو اللّه وشفاعته، لا يمكن القطع بعدم انقطاع العذاب.

٦. إنّ قضية انقطاع العذاب الذي يحصل في كلّ مرحلةٍ تترافق مع التحوّل، كما أنّ التعذيب والتأليم في حدّ ذاته مصاحبٌ أيضًا للتحوّل والانقلاب. بناءً عليه يجب أن يكون لدينا رسمٌ للنفس المجرّدة وكيفيّة تجرّدها والتي تتحمّل إمكان التحوّل، فإنّ قضية جهنّم وأحكام مهالكها وسقطاتها هي أقلّ بلحاظ الدرجة الوجوديّة من قضيّة الجنّة ومدارجها ومعارجها ومصاعدها.

٧. الأمر القلبيّ هو مقدّمةٌ لاقتراف الذنب أحيانًا؛ مثل النيّة الحرام بحيث إنّ سِعة الرحمة الإلهيّة تؤدّي إلى أن لا يحيط بها العقاب لمجرّد محاولة اقتراف الذنب قبل الابتلاء به، ومجرّد قصد الذنب لا يجعل منه معصيةً. وأحيانًا أخرى يكون الأمر القلبيّ مقدّمةً للعمل الحرام، بل إنّه في حدّ ذاته من سنخ العقيدة، وليس النيّة؛ مثل الاعتقاد الإلحاديّ، العقيدة المنافقة، الاعتقاد بالتثليث والإيمان بتقريب الأصنام والاعتقاد بشفاعتهم وأمثال ذلك، فإنّ صرف هذا النوع من العقائد لا يعدّ معصيةً فحسب، بل من أكبر المعاصي؛ وفي مطاوي الكثير من الانتقادات الموجّهة إلى خلود العذاب لم يتمّ التفكيك بين هذين الأمرين القلبيّين الآنفي الذكر، وترتَّب حكم النية بالذنب الذي هو أمرٌ قلبي ولا يتعرّض للمؤاخذة، على العقيدة الإلحاديّة والاعتقاد المنافق وأمثال ذلك، وهو من أكبر المعاصي؛ وإرجاع مثل هذا الحكم غير الصواب هو نتيجة قياس العقيدة الإلحاديّة على نيّة المعصية، وهذا تمثيلٌ منطقيّ يفتقر لأيّ معيار الاستدلال مثله مثل التمثيلات الآنفة الذكر.

٨. إنّ ما ورد في بعض الروايات بصفته علّة خلود العذاب بأنّ نيّة الكافر والملحد كانت على أساس أنّه لو كان عمره طويلاً لما توقف عن ارتكاب الذنب، ليس معناه أنّ مجرّد نيّة ارتكاب الذنب باعثٌ على التعذيب الدائم، ولو أنّ المعصية لم تقع في الخارج حتى تتعرّض للنقد بأنّ صرف نيّة ارتكاب الذنب ليس بمعصية، بل نقول إنّه من الممكن ألاّ تُحسب نيّة الذنب عصيانًا بلحاظ البحوث الفقهيّة، بل من الممكن من ناحية البحث الكلاميّ أن تكون سببًا للملاحقة والتعقيب؛ لأنّها تكشف عن التجرؤ والوقاحة والتطاول، ومثل هذه الروحيّة تحكي عن الطغيان الداخليّ... وثانيًا إنّ منشأ نيّة الذنب المستمر هي ذات عقيدة الكفر والنفاق والعصيان والطغيان وإنّ ما يسبب التعذيب ويبعث على دوام العذاب أيضًا هو عقيدة السوء تلك والاعتقاد الباطل، رغم أنّ ذلك الاعتقاد الباطل كافٍ وحده لاستحقاق العقاب الدائم؛ لأنّه في حدّ ذاته من أكبر الذنوب، وهو مستمرٌ وثابتٌ، كما أنّ العقيدة الصائبة والاعتقاد الصحيح من أكبر الطاعات، فيكون سببًا ضمنًا لظهور الدافع للعمل الصالح، ونيّة

عمل الخير وتمام حيثيّة خلود الثواب والعقاب تعود إلى العقيدة الصحيحة والسقيمة، ذلك أنّ العمل الصالح والطالح يظهران خلف العقيدة الصحيحة والسقيمة. إذًا المحور الأساس للتعذيب المستمرّ هو تلك العقيدة الراسخة للكفر والإلحاد والزندقة؛ كما أنّ المدار الأساس للإنعام المستمرّ هو تلك العقيدة الراسخة للإيمان والإسلام وأمثال ذلك؛ لأنّ كلًّا من الإيمان والكفر طاعةٌ وعصيان في حدّ ذاته، ومع رسوخ الإيمان والكفر يترسّخ الطوع والطغيان ويستتبع كلّ منهما أثرًا مستمرًّا؛ كما أنّ إبليس على أثر رسوخ الكفر، ابتُلي برسوخ الطغيان ولا يوجد محذورٌ للتعذيب الدائم لمثل هذا الطاغي.

نهاية العالم وبداية عالمٍ جديد

كيف ستكون نهاية العالم وأين ستكون عاقبة الخَلق؟ شغل هذا السؤال أذهان البشر منذ القدم، وقد طُرح هذا السؤال تكرارًا ومرارًا على أئمّة الدين{عليهم السلام}، وقد أجابوا على ذلك بإجاباتٍ لطيفة، عميقة، جميلة ومدهشة.

«عن جابر بن يزيد قال: سُئل الإمام الباقر{عليه السلام} عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١] قال: يا جابر تأويل ذلك أنّ اللّه عزّ وجلّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم، وسكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، جدّد اللّه عالمًا غير هذا العالم، وجدّد خلقًا من غير فحولةٍ ولا إناثٍ يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضًا غير هذه الأرض تحملهم وسماءً غير هذه السماء تظلّهم، لعلك ترى أنّ اللّه إنّما خلق هذا العالم الواحد أو ترى أنّ اللّه لم يخلق بشرًا غيركم؟ بلى واللّه لقد خلق ألف ألف عالمٍ، وألف ألف آدمٍ، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين».[٢]

الخصال: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن عبدالله بن هلال، عن العلاء، عن محمد، قال: سمعت الإمام الباقر{عليه السلام} يقول: لقد خلق اللّه عزّ وجلّ

---

١. ق: ١٥.

٢. *نور الثقلين*، ج٥، ص١٠٨، ح١٧؛ *البحار*، ج٨، ص٣٧٥.

في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحدًا بعد واحد مع عالمه، ثمّ خلق اللَّه عزّ وجلّ أبا هذا البشـر وخلق ذرّيته منه، ولا واللَّه ما خلت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النّار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها عزّ وجلّ، لعلّكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة وصيرّ اللَّه أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة، وصيرّ أبدان أهل النّار مع أرواحهم في النّار إنّ اللَّه تبارك وتعالى لا يُعتبد في بلاده ولا يخلق خلقًا يعبدونه ويوحّدونه، بلى واللَّه، ليخلقن اللَّه خلقًا من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، ويخلق لهم أرضًا تحملهم وسماءً تظلّهم، أليس اللَّه عزّ وجلّ يقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[1] وقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.[2]

ويقول العلاّمة الطباطبائيّ في ذيل الآية ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ...﴾:

«وللمفسّرين في معنى تبدّل الأرض والسماوات أقوال مختلفة فقيل:

١. تبدّل الأرض فضّةً والسماوات ذهبًا، وربما قيل إنّ الأرض تبدّل من أرضٍ نقيّةٍ كالفضّة والسماوات كذلك.

٢. تبدّل الأرض نارًا والسماوات جنانًا.

٣. تبدّل الأرض خبزةً نقيّةً تأكل النّاس منها طول يوم القيامة.

٤. تبدّل الأرض لكلّ فريقٍ مما يقتضيه حاله، فتبدّل لبعض المؤمنين خبزةً يأكل منها ما دام في العرصات، ولبعضٍ آخر فضّةً، وتبدّل للكافر نارًا.

٥. وقيل التبديل هو أنّه يُزاد في الأرض وينقص منها، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها، وتمدّ مدَّ الأديم، وتصير مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، وتتغيرّ السماوات بذهاب الشمس والقمر والنجوم، وبالجملة يتغيرّ كلٌّ من الأرض والسماوات عمّا هو عليه في الدنيا من الصفات والأشكال.

---

١. إبراهيم: ٤٨.

٢. ق: ١٥؛ *نور الثقلين*، ج٥، ص١٠٨، ح١٦. هذا الحديث المذكور في الكتاب مصدره التالي: *البحار*، ج٨، ص٣٧٤.

ومنشأ اختلافهم في تفسير التبديل اختلاف الروايات الواردة في تفسير الآية، مع أنّ الروايات لو صحّت واتّصلت كان اختلافها أقوى شاهد على أن ظاهرها غير مراد، وإنّ بياناتها واقعة موقع التمثيل للتقريب».[١]

ومن ثمّ يستعرض الأستاذ العلاّمة الطباطبائي الروايات عن الشيعة والسنّة، وسوف نشير إلى بعضٍ منها:

١. عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّهﷺ في قول اللّه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾، أرضٌ بيضاء كأنّها فضّة لم يُسفك فيها دمٌ حرامٌ ولم تعمل فيها خطيئةٌ.

٢. ابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب في الآية قال: تبدّل الأرض من فضّةٍ والسماء من ذهبٍ.

٣. يقول زرارة: «سأل أبرش الكلبيّ الإمامَ الباقرﷺ عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ...﴾ قال: تبدّل خبزةً نقيّة يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب. فقال الأبرش: إنّ الناس يومئذٍ لفي شغلٍ من الأكل، فقال الإمام الباقرﷺ: «فهم في النار لا يشتغلون عن أكل الضريع وشرب الحميم، وهم في عذابٍ، فكيف يشتغلون عنه في الحساب؟» أقول وقوله تبدل خبزة نقيّة يحتمل التشبيه... أقول واختلاف الروايات في تفسير التبديل لا يخلو عن دلالة على أنّها أمثال مضروبة للتقريب، والمسلّم من معنى التبدّل أنّ حقيقة الأرض والسماء وما فيهما يومئذ هي هي، غير أنّ النظام الجاري فيهما يومئذ هو غير النظام الجاري فيهما في الدنيا».[٢]

مصير مادّة الأرض والأجرام الفلكيّة

على فرض التبديل، هل تتبدّل مادّة الأرض والسماء ذاتها إلى جوهرٍ وجرمٍ جديدٍ، غير العناصر الحاليّة المشكّلة للأجسام والأجرام، أم أنّ ذاتها وماهيّتها ثابتة وغير قابلة للتغيير، وما يتغيّر هو صورتها وشكلها فقط؟

ويظهر من القرآن الكريم أنّ الفرض الثاني هو الصحيح؛ يعني لا تدلّ الآيات التي

---

١. *الميزان*، ج١٢، ص٨٨.

٢. ن.م.، ص٩١ـ٩٣.

تتحدّث عن تحوّل الأجسام والأجرام قبيل القيامة بأنّ العناصر بذاتها تفنى وتُباد:

١. ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾.[١]

٢. ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]

٣. ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[٣]

٤. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[٤]

٥. ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[٥]

٦. ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٦]

٧. ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[٧]

على هذا الأساس، ليس بعيدًا أن يُبنى من مادّة العناصر نفسها التي أُستخدمت حاليًّا في بناء السماء والأرض نظامًا جديدًا، وأن يُخلق موجودات جديدة؛ كما أخبر به الإمام الباقر عليه السلام.

تبصرة: الآيات الآنفة الذكر ناظرةٌ إلى أشراط القيامة وعلاماتها. يدلّ القسم الآخر من الآيات على طيّ السماوات: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٨] والقبض على الأرض: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٩]؛ في مثل هذه الآيات لم يتمّ التطرّق إلى شيءٍ بعنوان «التبديل»؛ كما أنّ الآية: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[١٠] تشير إلى مطلبٍ آخر يصعب الإفصاح عنه، ويحتاج تبريره وتوضيحه إلى دليل قرآنيّ

---

١. الفجر: ٢١.

٢. الزلزال، الآيات ١ـ٢.

٣. الحاقة: ١٤.

٤. طه، لآيات ١٠٥ـ١٠٧.

٥. التكوير: ١ـ٣.

٦. الإنفطار: ١ـ٣.

٧. الإنشقاق: ١.

٨. الأنبياء: ١٠٤.

٩. الزمر، الثيبة ٦٧.

١٠. النبأ: ٢٠.

معتبر أو روائيّ من جهة، وإمكانيّة وجود الانسجام والتناغم بين ذلك الدليل وظاهر القرآن من جهةٍ أخرى.

عدّة نكاتٍ

١. بعد قيام القيامة، لن يُجمع بساط الخلق، رغم أنّ اللّه تعالى يطوي وُسعة السماء كالكتاب.

٢. الذرّيّة الحاليّة للإنسان المقيمة على وجه الكرة الأرضيّة والذين هم أبناء النبيّ آدم عليه السلام وحواء عليها السلام، هم ليسوا أوّل سلالة بشريّة، بل هي سلسلة تأتي في المراتب والدرجات التالية، وقبل ذلك انقرضت عدّة أجيال، وهذا إذا ما اعتبرنا أنّ تاريخ نشأة آدم وحواء عليهما السلام أقلّ من عشرة آلاف عام، فإنّ الهياكل العظمية والجماجم التي اكتُشفت في هذا العصر، يُقال إنّها تعود إلى مئات الآلاف من السنين؛ إذن يجب أن تكون هذه الهياكل والجماجم راجعة إلى الأجيال والعصور السابقة.

٣. في خلق الموجودات وتكاملها، أحيانًا تُنجز الدرجات الوسط بسرعة وأحيانًا أخرى بشكلٍ عاديّ وبطيء.

والخلق السريع مثل صيرورة قطعة الخشب الجافّة ثعبانًا بيد النبيّ موسى عليه السلام وبإذن إلهيّ، وكذلك تحوّل قبضةٍ من الطين إلى طيرٍ بيد النبيّ عيسى عليه السلام وبأمرٍ من اللّه: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[١] وكذلك: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾.[٢]

على أيّ حال، جعْل الجماد يتحوّل إلى صورة حيوانٍ وإطلاق اسم الخلق عليه هو من فعل الخالق الحقّ، أي الذات الأقدس للّه وخالق العالمين، بحيث طُويت المراحل الوسطى بسرعة وطُويت في بعضها.

---

١. آل عمران: ٤٩.

٢. المائدة: ١١٠.

أمّا الخلق مع تأخيرٍ وتدريج فمثل تحوّل الخشبةِ ثعبانًا، حيث يجب أن تتعفّن الخشبة أوّلاً، وتصبح ترابًا وتقع تحت جذور نباتٍ، ومن ثمّ يهطل المطر عليها فيجذبها النبات لتصبح طعامًا مناسبًا لحيّة عابرة، ومن ثمّ تصبح نطفة حيّةٍ كبيرة قويّة، إذًا في مثل هذه العمليّة، لا يكون تحوّل الخشبة إلى حيّة أمرًا محالاً عقليًّا، بل ممكن الحصول. ولا شكّ أنّه في تمام الصورة، سواء أكان سريعًا أم بطيئًا، عاديًّا أم غير عاديّ، فإنّ الخالق الأساس هو اللّٰه.

٤. في خلق آدم وحواء، قد خلقهما اللّٰه العظيم مع مراعاة التدريج والتكامل من التراب، الصلصال، الحمأ المسنون و... وخطا الدرجات الوسطى إلى أن وصل إلى التفتّح اللائق وأصبح محبوب الموجوات ومنتجبها.

٥. بعد انقراض هذه الذرّيّة، سوف يتمّ خلق خلق آخر من دون أبٍ وأمٍ في أرضٍ جديدة وليس مستبعدًا أبدًا بأنّ يكونوا قد أُخبروا بالخبر نفسه الذي أُخبرنا به عنهم، وقيل لهم إنّه قبلكم كان هناك خلقٌ، آدم وآدم وغيرهم، مرحلةٌ ومرحلةٌ ومراحل و... وسوف يستمرّ ذلك بعدكم أيضًا، إلى ما شاء اللّٰه.

٦. إنّ هذا النوع من القضايا يدلّ على دوام فيض اللّٰه. ألف ألف عالَمٍ وألف ألف آدمٍ، يعني عالمٌ لا حدود له، وليست بدايته معروفة لنا ولا مدى نشأته، لكنّنا نعلم أنّ فيض اللّٰه لن ينقطع حتّى لو كان عالم الطبيعة حادثًا:

فالفيض منه دائمٌ متّصل   والمستفيض داثرٌ وزائلٌ[1]

٧. قبل هذا، كانت الجنّة والنّار، وكانت أرواح المؤمنين والمذنبين هناك. من هنا، يتّضح أنّ الأجيال السابقة كانت مكلّفة أيضًا ومختارةٌ ومتمتّعة برأسمال العقل.

ربما يتمّ بناء الأرض والأرضين وكُراتٍ جديدة مرّةً أخرى من بعض المواد والعناصر الموجودة في الأرض والفضاء اللامحدود؛ كما أنّ العلم المعاصر قد توصّل إلى أنّه كلّ مدّةٍ تظهر وتتشكّل نجمةٌ ونجومٌ، وقد تكون ثمّة مجموعة منها قد أصبحت في منتصف

---

١. *شرح منظومة السبزواري*، ج٥، ص٢١٢.

عمرها، ولعلّ عددًا منها صار في طور العجز والتآكل. إذًا من غير المستبعد أنّ يشمل هذا القانون كلّ العالم ويأتي يومٌ يُطوى فيه بساط كلّ هذه الأمور: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾[١]؛ ويبدأ من جديد بناءٌ جديدٌ وهيكلٌ خلاّق وجديدٌ.

---

١. الأنبياء: ١٠٤.

المصادر

- *القرآن الكريم*
- *الاربعين للشيخ البهائي*؛ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي(١٠٣١هـ.ق)، تحقيق مؤسسة نشـر اسلامي، ١٤١٥هـ.ق.
- *الصحيفة السجادية؛ الإمام زين العابدين (ع)*؛ ترجمة الهي قمشهاي، انتشارات اسلامي.
- *الامالي* للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (م ٣٨١هـــ.ق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٠هـ.ق.
- *الامالي* للشيخ المفيد، محمدبن النعمان العكبري البغدادي(م ٤١٣هــــ.ق) ترجمة حسـين استادولي، بنياد پژوهش هاي اسلامي، ١٣٦٤هـ.ش.
- *اوايل المقالات*؛ باهتمام: واعظ چراندابي، نشـر مكتبه حقيقت تبريز، ١٣٧١هـ/ ١٣٣٠ش.
- *بحارالانوار الجامعة لدُرر اخبار الأئمة الأطهار*؛ محمدباقر المجلسي ـ(١٠٣٧ـــــ١١١٠) داراحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.ق.
- *التبيان في تفسير القرآن*، ابوجعفر محمد بن الحسن الطوسي(٣٨٥ــــ٤٦٠هـــ.ق)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- تسنيم، تفسير القرآن الكريم، عبدالله الجوادي الآملي، مركز نشـر اسراء، قم، ١٣٧٨هـ.ش.
- *تفســير ابن عربي*؛ محي الدين بن عربي(م ٦٣٨هـــــ.ق) (تأويلات عبدالرزاق الكاشـاني)، تحقيق الدكتور مصطفي غالب، دار الاندلس، بيروت، ١٩٦٨م.
- *تفسير البرهان*؛ السيدهاشم البحراني(م ١١٧٠هـــ.ق)، مؤسسة دار التفسير اسماعيليان، قم، ١٤١٧هـ.ق.
- *تفسـير القرآن الكريم*؛ صـدرالدين محمد بن ابراهيم الشـيرازي، ملاصـدرا (م ١٠٥٠هــــ.ق)، تصحيح محمد الخواجوي، انتشارات بيدار، قم، ١٣٦٦هـ.ش.
- *تفسير القمي*؛ ابوالحسن علي بن ابراهيم القمي، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ.ق.
- *التفسـير الكبير*، محمد بن عمر، فخرالدين الرازي(٥٤٤ــــ٦٠٤هـــ.ق)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.ق.

- *تفسير المنار*؛ محمدرشيد رضا، دارالفكر، بيروت.
- *تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة*؛الحاج سلطان محمد الجنابذي، سلطان علي شاه، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٠٨هـ.ق.
- *تفسير منهج الصادقين*؛ المولى فتح اللّه الكاشاني، تصحيح: علي اكبر الغفاري، انتشارات علمية اسلامية، تهران.
- *تفسير موضوعي قرآن كريم*؛ ج٧، سيره پيامبران در قرآن، عبدالله الجوادي الآملي، مركز نشر اسراء، قم، ١٣٧٦هـ.ش.
- *تفسير نمونه*؛ ناصر مكارم الشيرازي، ناشر دارالكتب الاسلامية، ط ٢٣، طهران، ١٣٧٤هـ.ش.
- *الجامع لأحكام القرآن*، ابوعبدالله محمدبن احمد الانصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.ق.
- *الخصال*؛ الشيخ الصدوق(م٣٨١هـ.ق)تصحيح على اكبر الغفاري، مؤسسة نشراسلامي، چاپ پنجم، قم.
- *الدرّ المنثور في التفسير المأثور*؛ عبدالرحمن جلال الدين السيوطي(م٩١١هـ.ق)، دارالفكر، بيروت، ١٤١٤.
- *ديوان اديب پيشاوري*؛ باهتمام علي عبدالرسولي، سلسلة نشريات(ما)،چاپ دوم، ١٣٦٢ش.
- *ديوان ناصر خسرو قبادياني*؛ باهتمام مجتبى مينوي ومهدي محقق، انتشارات اميركبير، ١٣٥٧ش.
- *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*؛ شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(م١٢٧هـ.ق)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.ق.
- *سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار*؛الشيخ عباس القمي(١٢٩٤ـ١٣٥٩هـ.ق)، نشر اسوه، ١٤١٦هـ.ق.
- *سنن الدارمي*؛ عبدالله بن بهرامي، نشر دارالفكر قاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- *شاهنامه فردوسي*، باهتمام محمود دبير سياقي، مطبعة محمدعلي علمي، ١٣٣٥ش.
- شرح *الأصول الخمسة*؛ القاضي عبدالجبار المعتزلي، نشر مكتبه وهب القاهرة،

١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

- *شرح المقاصد*؛ مسعود بن عبدالله سعدالدين التفتازاني(٧١٢ــ٧٩٣هـ.ق)، منشورات الشريف الرضي، چاپ اول، قم.
- *شرح نهج البلاغة*؛ ابن ابي الحديد المعتزلي(٥٨٦ــ٦٥٦هـ.ق)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ.ق.
- *علم اليقين*؛ الفيض الكاشاني(م١٠٩١هـ.ق)، تحقيق محسن بيدارفر، انتشارات بيدار، چاپ اول، ١٤١٦هـ.ق.
- *قاموس كتاب مقدس*؛ مسترهاكس، انتشارات اساطير، ١٣٧٧ش.
- *الكافي(اصول وفروع)*؛ محمد بن يعقوب الكليني الرازي(م٢٣٨هـ.ق)، دار التعارف ودار صعب، چاپ چهارم، بيروت ١٤٠١.
- *كشف الاسرار وعدّة الابرار*؛ رشيد الدين ابوالفضل الميبدي، باهتمام علي اصغر حكمت، انتشارات ابن سينا، تهران، ١٣٤٤هـ.ش.
- *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*؛ العلامة الحلّي(م ٧٢٦هـ.ق)، انتشارات جامعة مدرسين، ط ٥، قم ١٤١٥هـ.ق.
- *مثنوي معنوي*، جلال الدين محمد البلخي، انتشارات راستين، چاپ اول، ١٣٧٥هـ.ش.
- *مجمع البحرين*؛ فخرالدين الطريحي، نشر دفتر نشرفرهنگ اسلامي، ١٣٦٧/١٤٠٨ش.
- *مجمع البيان في تفسير القرآن*؛ ابوعلي امين الاسلام الطبرسي(٤٦٨ـ٥٤٨هـ.ق)، دار المعرفة، چاپ دوم، بيروت، ١٤٠٨هـ.ق.
- *المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء*؛ المولى محسن الفيض الكاشاني(م١٠١٩هـ) تصحيح علي اكبر الغفاري، انتشارات جامعه مدرسين، چاپ دوم، قم.
- *المعجم الاحصائي لالفاظ القرآن الكريم*؛ الدكتور محمود الروحاني، انتشارات آستان قدس رضوي، ١٦٦٦هـ.ش.
- *مفاتيح الجنان*؛ الشيخ عباس القمي، (١٢٩٤ـ١٣٥٩هـ.ق).
- *مفردات الفاظ القرآن*؛ حسين بن محمد الراغب الاصفهاني(م٤٢٥هـ.ق)، دار الكتاب العربي.
- *الميزان في تفسير القرآن*؛ العلامه السيد محمدحسين الطباطبايي، مؤسسة مطبوعات

اسماعيليان، قم١٤١٢هـ.ق.

- *نهج البلاغة*؛ محمد بن الحسين بن موسى، السيد الرضي(٣٥٩ـ٤٠٦هـ.ق)، تحقيق صبحي صالح، دار الاسوة.

- *نور الثقلين*؛ الشيخ جمعة العروس الحويزي، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، قم.

- *الهيّات شفا*، الشيخ الرئيس ابن سينا(٣٧٣ـ٤٢٧هـ.ق)، تحقيق حسن زاده الآملي، مركز انتشارات دفتر تبليغات، ط الاولى، قم، ١٤١٨هـ.ق.

- *وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة*؛ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيتعليهم‌السلام، دار احياء التراث، ١٤١٤هـ.ق.

يُعدّ موضوع المعاد من أهم المباحث الكلاميّة والفلسفيّة التي أثارت جدلًا واسعًا، وأخذت قسطًا وافرًا من البحث والتقصّي، حول أصل إثباته وكيفيته وسائر تفاصيله وجزئياته.
وقد اختلفت النتائج باختلاف المباني والمناهج، إذ باختلاف المباني تختلف المعاني، فهناك من تناول الموضوع بمنهجية نقلية صرفة، والاعتماد على ما ورد في القرآن والروايات الشريفة، وآخر تطرّق اليه بمنهج عقلي: كلامي أو فلسفي، ناهيك عن المنهج العرفاني المعتمد على الكشف والشهود. علمًا بأنّ أصل المعاد، ووجود يوم الجزاء، لايقتصر على الدين الاسلامي، بل إنه قد شغل جميع الاديان التوحيديه وحتى غير التوحيدية، وما مسألة التناسخ المدّعاة عند بعض أرباب الديانات الوضعية، الّا شبح خاطئ يكشف عن قلق الانسان الوجودي حيال مصيره ومستقبله بعد الموت.

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية
http://www.iicss.iq
islamic.css@gmail.com
تطبيق المركز